

كُورُونَا

و
الأُوبئةُ المُتَبِّسَةُ في التُّراثِ

العَرَبِيِّ الإِسْلَامِيِّ

(٦-٨٩٧هـ = ١٤٩١-٦٢٨م)

الأستاذ الدكتور

علي عبد مشالي

كلية التراث الجامعة

٢٠٢١م

كُورُونَا

و

الأُويَّةُ المُتَبَسُّةُ فِي التُّرَاثِ العَرَبِيِّ الإِسْلَامِيِّ

(٦-٨٩٧هـ = ٦٢٨-١٤٩٢م)

كُورُونَا

و

الأُويَّةُ المُتَبَسُّةُ في التُّرَاثِ العَرَبِيِّ الإِسْلَامِيِّ

(٦-٨٩٧هـ = ٦٢٨-١٤٩٢م)

الأستاذ الدكتور

علي عبد مشالي

كلية التراث الجامعة/ بغداد

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف:

عنوان الكتاب: كُورُونَا والأوبئةُ المُلتبسةُ في التُّراثِ العَرَبِيِّ الإسلاميِّ

المؤلف: الأستاذ الدكتور/ علي عبد مشالي

تدريسي حالياً في: كلية التراث الجامعة/ قسم الدراسات الإسلامية/ بغداد - العراق .

المطبعة: دار الحدّثة للطباعة والنشر والتوزيع/ بغداد - العراق .

الطبعة الأولى: ٢٠٢١ م.

الإخراج الفني: المهندس مروان هشام الجبوري .

القياس: ٢٥ سم X ١٧,٥

عدد الصفحات: ٣١١

عدد النسخ: ١٠٠٠ نسخة

لا يجوز نشر أي جزء من هذا كتاب أو تخزين مادته بطريقة الاسترجاع، أو نقله على أي نحو أو بأي طريقة كانت (الكرونية) أو (ميكانيكية) أو بالتصوير أو بالتسجيل أو بخلاف ذلك إلا بموافقة كتابية من المؤلف أو الناشر .

All rights reserved. No part of this publication may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted in any form by any means, Electronic, Mechanic photocopying, recording or otherwise without prior permission in writing of the writer or of the publisher.



مرقم الإيداع في دارة الكتب والوثائق/ المكتبة الوطنية العراقية - بغداد ذي العدد - ٢١٣٠ لسنة ٢٠٢٠ م.

ISBN13: 9789922928777

www-alhadatha.site123.me

krmalbtat371@gmail.com

رقم موبايل المطبعة: ٠٧٧٠٤٣١٠٥٤١ - ٠٧٥٠٥٦٠١٥٥٢

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

﴿وَنُنزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ
وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾

صَدَقَ اللهُ الْعَظِيمُ

سُورَةُ الْاِسْرَاءِ، الْاَيَةُ (٨٢)

الإهداء

== == == == ==

إلى/

الحاج الأستاذ (علي العكيلي)

رئيس مجلس إدارة كلية التراث الجامعة

المحترم

يُطِيبُ لِيَّ أَنْ أُعْرِبَ لَكُمْ عَنْ شُكْرِي وَتَقْدِيرِي لِمَنْ مَنَحَنِي ثِقْتَهُ وَتَقْدِيرَهُ بِمَا يَمْلِكُ
مِنْ حَسَبِ عِلْمِي، لِأَسِيْمَا فِي تَثْمِينِ الْجُهُودِ الْعِلْمِيَّةِ لِلتَّدْرِيسِيِّينَ وَالطُّلُبَةِ فِي كَلِيَّةِ
التُّرَاثِ الْجَامِعَةِ الْمَعْطَاءِ دَعْمًا لَهُمْ، وَحَافِزًا لِسَوَاهِمِ خِدْمَةِ التَّلْعِيمِ الْعَالِي فِي الْعِرَاقِ
وَتَطَوُّرِهِ ...

الأستاذ الدكتور

علي عبد مشالي

جدول المختصرات

المختصر	دلالته
ت	توفى
د. ط	دون ذكر أسم المطبعة
د. م	دون ذكر مكان الطبع
د. ت	دون ذكر تاريخ طبع المؤلف
ط	الطبعة
هـ	الهجري
م	الميلادي
تح	تحقيق
مج	مجلد
ف	فصل
ق	قسم
ق. م	قبل الميلاد
ق. هـ	قبل الهجرة
[]	الكلمة التي بين قوسين تعني إضافة من الباحث إلى النص الحرفي
...	إن وضع ثلاث نقاط داخل أي نص تعني رفع بضع كلمات لا ضرورة لها

محتويات الدراسة

رقم الصفحة	الموضوعات
أ	الآية الكريمة
ج	الإهداء
هـ	جدول المختصرات
٩-١	المقدمة
٤٨-١١	الفصل الأول وباء كورونا والأوبئة والأمراض المتنبئة به
١٣	المبحث الأول: مفهوم الوباء والمرض والعدوى
١٣	تمهيد
١٣	مفهوم الوباء epidemic
١٦	تاريخ علم الأوبئة
١٧	١. طريقة الوصف Descriptive Epidemiology
١٧	٢. طريقة استرجاع الأوبئة Retrospective Epidemiology
١٧	٣. طريقة علم الأوبئة المستقبلي Prospective Epidemiology
١٩	مفهوم المرض
٢١	مفهوم العدوى
٢٦	مؤرخون كتبوا عن الأوبئة
٢٨	طرق انتقال علوم الطب إلى الأندلس
٣٢	المبحث الثاني: وباء كورونا في المصادر الحديثة
٣٦	اعلان منظمة الصحة العالمية عن الوباء
٤٢	انتشار وباء كورونا في العراق (نموذجاً)
٤٣	عمل حكومة العراق نموذجاً
٤٤	توافر المواد الأولية للحد من الوباء

٤٦	الجيش الأبيض
٩٧-٤٩	الفصل الثاني ذكر الأوبئة من عصر النبوة حتى نهاية العصر الأموي
٥١	المبحث الأول: ذكر الوباء في القرآن الكريم والسنة النبوية
٥١	ذكر الوباء في القرآن الكريم
٦١	ذكر الوباء في السنة النبوية
٧٥	المبحث الثاني: الأوبئة في عصر النبوة
٨١	المبحث الثالث: الأوبئة المتبسة في عصر الخلافة الراشدة
٩٠	المبحث الرابع: الأوبئة المتبسة في العصر الأموي
١٧٤-٩٩	الفصل الثالث الأوبئة المتبسة في العصور العباسية والمتأخرة
١٠١	المبحث الأول: الأوبئة المتبسة في العصر العباسي الأول
١٠٨	المبحث الثاني: الأوبئة المتبسة في العصر العباسي الثاني
١٢١	المبحث الثالث: الأوبئة المتبسة في العصر العباسي الثالث
١٣٦	المبحث الرابع: الأوبئة المتبسة في العصر العباسي الرابع
١٥٩	المبحث الخامس: الأوبئة المتبسة في العصور المتأخرة
٢٣٨-١٧٥	الفصل الرابع الطب عند العرب والوقاية والعلاج
١٧٧	المبحث الأول: الطب عند العرب
١٨٠	الوباء العلمي في التراث العربي
١٨٣	أشكال وباء الطاعون

١٨٥	العدوى الناقلة للمرض
١٨٩	المبحث الثاني: انتشار الأوبئة والأمراض
١٩١	انتشار الأوبئة المعدية والحد منها
٢٠٠	المبحث الثالث: الوقاية من الأوبئة
٢٠٣	الطب الوقائي
٢١٢	أنواع الأمراض المرضية
٢١٦	التأمين الصحي
٢١٩	المبحث الرابع: العلاج بالأعشاب
٢٢٩	المبحث الخامس: الحالة النفسية عند انتشار الوباء
٢٦٦-٢٣٩	الفصل الخامس التعامل مع الوباء والمشاهير الذين قضى عليهم
٢٤١	المبحث الأول: كيف نتعامل مع وباء كورونا
٢٤٢	وسائل الوقاية
٢٥٠	المبحث الثاني: الحماية من الفيروسات والأوبئة المصنعة
٢٥٤	سبل مواجهة الأوبئة
٢٥٧	المبحث الثالث: طبيعة المناخ
٢٦١	المبحث الرابع: مشاهير قضى عليهم الوباء
٢٧٠-٢٦٧	الخاتمة
٢٧١	الملاحق
٢٩٧-٢٧٧	قائمة المصادر والمراجع

المقدمة:

الحمد لله ذي القدرة والجلال، والعظمة والكمال أحمدته على سوابغ الإنعام
وجزيل الثواب، وأرغب إليه في الصلاة على نبيه ورسوله محمد المختار،
وعلى آله الأبرار، وصحابته الأخيار (رضي الله عنهم)، والتابعين لم بإحسان إلى يوم
القرار، وبعد:

تُعد دراسة تاريخ الأوبئة، لاسيما في مصادر التراث العربي الإسلامي
من الدراسات المهمة وغير التقليدية، لأنها تبين واقع ظروف المجتمع الذي
عايش الوباء وما نتج عنه من متغيرات كان لها الأثر اجتماعياً واقتصادياً
وصحياً ونفسياً عند زوال البلاء، فضلاً عن معرفة نوع هذه الأوبئة في عالم
اليوم لما مرّت به الأمة وتضررت منها سنين عجاف، لاسيما فترة هذه
الدراسة التي امتدت من (٦-٨٩٧هـ = ٦٢٨-١٤٩٢م)، إذ كانت مهلكة
للإنسان والدواب والحرث والزرع، كما أن قسماً من الأوبئة عُرف عن
أعراضه وعلاجه، وسجّله العلماء العرب سواء أكانوا من المسلمين أم غير
المسلمين قبل وبعد الإسلام، وبقيت أوبئة وأمراض أخرى مجهولة إلى يومنا
هذا مثل ظهور وباء كورونا (كوفيد-١٩) المستجد، الذي سُجل في سنة
(١٤٤١هـ/٢٠١٩م)، وأبلغ عنه كل دول العالم رسمياً في شهر آذار من
سنة (١٤٤١هـ/٢٠٢٠م) من دون تحميل جهة بعينها مسؤولية ذلك، وقيل:
أن أول ظهور وباء كورونا كان في مدينة ووهان الصينية.

ولمجهولية قسم من الأوبئة قديماً وحديثاً نرى أن وباء كورونا (كوفيد-
١٩) المستجد قد يشبه في قسم من أعراضه الكثير من الأوبئة التي تضرر
منها المجتمع العربي الإسلامي آنذاك، وأصبحت الأمة سابقاً ولاحقاً في
هلاك سواء أكان من هذا الوباء أم من غيره

أهمية الدراسة:

تتبع أهمية الدراسة من كونها تبحث في حقبة تاريخية مهمة من حياة المجتمع العربي الإسلامي، وتعرض قضية هامة جداً قد تلحق الضرر بحياة الناس بوجه عام واقتصادهم ونفسياتهم، بسبب هذه الأزمات المرضية التي شهدتها البشرية، وحاولنا تشخيص أهم الأسباب التي كانت تُعجل في حدوث الأمراض والأزمات التي تسببها مع بيان آثارها ودور الدولة والمجتمع في معالجتها.

فضلاً عن ذلك فهي تعالج سيرة مهمة من حياة المجتمع في التاريخ الإسلامي اجتماعياً واقتصادياً، التي يمكن الاستفادة منها بما يتلاءم مع متطلبات عصرنا الحاضر لما فيها من فجوات عدة، إذ خلصت الدراسة إلى أنّ الأسباب الناتجة عن تصرفات الإنسان لا تقل أهمية عن الأسباب الطبيعية التي قد تنشأ بسببها هذه الأوبئة والأمراض، الأمر الذي قد تسبب في حدوث أزمات إنسانية وحياتية وغيرها الكثير، وأن الدراسة بيّنت أن تفاوت مسؤوليّة الدولة في بعض الأحيان، فمنها تقديم المساعدات عند انتشار الوباء، وأخرى لم تكن لديها خطط للحد من تلك الأزمات ومواجهتها بآليات فعالة؛ بل يعتمد الناس عموماً على الجهود الفردية، كـ: مساعدة الفقراء أوقات المجاعة، وتقديم العون للمرضى من أعشاب أو غذاء قد ينفع لإبعاد شبح الموت عن الكثير منهم، وهذا ما قد يسهم بعدم حدوث تداعيات جديدة قد تلحق الضرر بالدولة والمجتمع على حدٍ سواء، وبالتالي يمكننا الاستفادة من تلك الأزمات والمواجهات والإعدادات، وأخذ العبر من الحلول التي دارت آنذاك، على الرغم من تفاوت العصور، ولكن بما يتناسب مع

معطيات عصرنا الراهن الذي عايشناه بوجود هذا الوباء اللعين وما تقدمه التقنيات الحديثة من عون في تشخيص وعلاج الوباء. وهناك بعض الباحثين يرى أن من أسباب وباء كورونا محتمل من التطور التكنولوجي الذي قد يكون ناتجاً من الذبذبات الكهرومغناطيسية أو من المحطات أو من الهواتف المحمولة أو النقالة بالجيب، لاسيما القريبة من جسم الإنسان، وما لها من تأثير سلبي عليه بوجه عام، وهذه الآراء لم تثبت صحتها علمياً أو تأكيدياً أو نفيها من الجهات ذات العلاقة دولياً وإلى الآن أي الانتهاء من إعداد الدراسة.

اشكالية الدراسة:

كثيراً ما تهدد الأخطار حياة البشر سواء أكانوا في بلدنا العراق أم غيره من بلدان العالم، وعليه لابد من بذل الجهود ووضع الدراسات التي تُعين على تأمين العلاجات والمساعدات المادية والعينية للمتضررين من هذه الأوبئة سواء من الدولة أم من المجتمع، وتحديد حجم الخسائر الواقعية بعيداً عن الاحتمالات، وما هو دور الرأي العام في تقديم صور للتكافل الاجتماعي الذي جاء به المجتمع قبل وبعد الإسلام الذي من شأنه إنقاذ الكثير من البشر، ومنهم الفقراء والمساكين ذوي الفاقة والحاجة كما حصل في مواجهة وباء كورونا سنة (١٤٤١هـ / ٢٠٢٠م)، فقد نفرَ قسم من الأطباء والناس لتقديم الخدمات العلاجية والكمادات (غطاء الفم والأنف) بعد مخطيها، وتوفير غاز الاوكسجين لإنقاذ المرضى وغيرها من الوسائل المساعدة والعلاجية التي تمثل عوامل الشفاء العاجل، فضلاً عن تقديم مساعدات عدة كالطعام والدواء مجاناً.

وقد ارتأينا أن تقوم فرضية الدراسة على أن الدولة العربية الإسلامية لم تتخذ إجراءات وقائية وخطط مسبقة للحد من هذه الكوارث بشكل يضمن الحفاظ على أكبر قدر ممكن من الوفيات، وإزالة آثارها لاحقاً لأسباب منها عدم الاهتمام بالأوبئة وتهيأت ما تحتاجه أولاً وأخيراً.

على حين تتلخص مشكلة الدراسة بأن الأوبئة بوجه عام، ومنها وباء كورونا المستجد والأوبئة المُلتبِسة به قد عرّض الدولة والمجتمع في العالم سابقاً ولاحقاً لأزمات اقتصادية كادت أن تنهي وجودها، لاسيما خلال فترة الدولة العربية الإسلامية، وسنحاول في هذه الدراسة الإجابة عن هذه المشكلة من خلال الأسئلة الآتية:

١. ما أهم الأزمات الوبائية التي حدثت مع تحديد سنوات وقوعها؟
٢. ما أسباب الأزمات الوبائية التي حدثت خلال فترة الدراسة والاضرار الناتجة عنها؟
٣. ما مردودات تلك الأزمات الوبائية على الحالة النفسية والاقتصادية والاجتماعية؟
٤. ما الإجراءات التي قامت بها الدولة، فضلاً عن المجتمع للحد من هذه الأزمات الوبائية قبل وبعد وقوعها؟

هدف الدراسة:

تهدف الدراسة لتحقيق ما يأتي:

١. بيان أسباب حدوث الأزمات الوبائية في فترة إدارة حكم الدولة العربية الإسلامية أي قبل وبعد سقوطها في يد التتار أعداء الإسلام في حينه سنة (٦٥٦هـ/١٢٥٨م)، ومنها التي وثقها المؤرخون في مؤلفاتهم.

٢. بيان أثر الأزمات على النواحي الاقتصادية والاجتماعية والدينية والنفسية.

٣. بيان الإجراءات والوسائل التي اتخذتها الدولة لمعالجة الأزمات الوبائية أو اهمالها، ومدى توافقها مع مصدري التشريع الذي يمثل المنهج الإسلامي من عدمها.

٤. بيان النتائج والعبر المستخلصة من هذه الحقب التاريخية للاستفادة منها في الواقع المعاصر الذي نعيشه اليوم مع وباء كورونا (كوفيد-١٩) المستجد، بغية تجاوز المحنة التي نمرّ بها نحن والعالم بأمان وسلام إن شاء الله تبارك وتعالى.

منهجية الدراسة:

اعتمدنا في هذه الدراسة المنهج العلمي التاريخي، وذلك باستقراء الكتب والمراجع المتصلة بتاريخ حدوث الأوبئة والأمراض في الدولة العربية الإسلامية، وتحليل أثارها واضرارها في حياة المجتمع من النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية والنفسية من خلال ما ذكره بعض المؤرخين والفقهاء في مؤلفاتهم للاستفادة منها، فضلاً عن تتابع الأوبئة بـ: التاريخ الحولي أي سنة بعد سنة عند ظهورها، لاسيما التي تعرض لها المجتمع في الدولة الإسلامية المترامية الأطراف، وعلى ضوء ما ذكرته المصادر التاريخية في سنوات انتشار الأوبئة، والكوارث التي كانت سبباً لها.

الدراسات السابقة:

تعددت الدراسات التي تناولت الأوبئة والأمراض خلال حكم الدولة العربية الإسلامية على الرغم من تنوع العناوين المختلفة، إلا أن وباء كورونا

المستجد هو جديد على المجتمع إسلامياً وعالمياً كما ذكر الباحثين في آرائهم المعاصرة، فأردنا ان نبين حقيقة الأوبئة المُتَبَسُّة على الناس قديماً وحديثاً، وملاحظة الأعراض التي من خلالها معرفة أن هذا الوباء قديم حقاً أم حديث العهد أم ناتج من صناعة مستحدثة لأغراض نجهل أهدافها في عصرنا الحاضر.

ومن المصادر القديمة التي اطلعت عليها واستفدنا منها على سبيل المثال، كتاب: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، لابن الجوزي (ت: ٥٩٧هـ/—/١٢٠٠م)، و: الطب النبوي، لابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ/١٣٥٠م)، فضلاً عن دراسات قديمة عدة تناولت الأوبئة ك: مؤلفات عن وباء الطاعون وأعراضه، وعلى سبيل المثال: القانون في الطب، لابن سينا (ت: ٤٢٧هـ/١٠٣٦م)، وغيره كثير.

أما الكتب الحديثة فمنها: البيئة والأوبئة في التراث الطبي العربي الإسلامي للدكتور العراقي محمود الحاج قاسم محمد، و: الأوبئة والتاريخ: المرض والقوة والامبريالية، للمؤلف الأمريكي: شلدون واتس، و: الطاعون في العصر الأموي، صفحات مجهولة من تاريخ الخلافة، لأحمد العدوي. وبحث: الأمراض المُعدية في الأقطار العربية، لـ: حبيب صادر، و: موسوعة الأمراض الشائعة لـ: سامح أبو زينة، وغيرها من التي أفادتنا في هذه الدراسة.

حدود الدراسة:

تناولنا في الدراسة الأزمت الوبائية صلب الموضوع واسبابها التي وقعت خلال فترة حكم الدولة العربية الإسلامية والعصور المتأخرة أي ما بعد سقوط حتى نهاية القرن التاسع الهجري (٦-٨٩٧هـ = ٦٢٨-١٤٩٢م)، فضلاً عن

الإشارة من هنا إلى وباء كورونا (كوفيد-١٩) المستجد الذي انتشر في شهر مارس/ آذار من عالمنا المعاصر خلال هذه السنة (١٤٤١هـ/٢٠٢٠م) وإلى اليوم من حيث صعوبة تحديد الأسباب والمظاهر بوجه عام، والمعالجات التي لم تكن نهائية، وقسم منها متضاربة لأسباب مجهولة سياسياً واقتصادياً واجتماعياً.

وقد أسهبنا قليلاً في وباء الليشمانيا أو حبة بغداد، لأنه وباء خطير يترك آثاره، لاسيما على الأطفال، إذ أن بلاد العراق يمثل بدايات انتشاره بعد نقله من المصابين إلى الأصحاء عند احتلال التتار مركز الخلافة في بغداد، وإسقاطها في سنة (٦٥٦هـ/١٢٥٨م).

تضمنت الدراسة مقدمة وخمسة فصول، درسنا في الفصل الأول المعنون: وباء كورونا والأوبئة المشابهة له.

أما الفصل الثاني فكان بعنوان: ذكر الأوبئة من عصر النبوة حتى نهاية العصر الأموي.

على حين شرحنا تفاصيل الفصل الثالث المعنون: الأوبئة المُلتبِسة في العصور العباسية والعصور المتأخرة.

وفي الفصل الرابع الذي كان بعنوان: الطب عند العرب والوقاية من الأوبئة. وأخيراً الفصل الخامس المعنون: التعامل مع الوباء والمشاهير الذين قضوا فيه. وأنهينا الدراسة بخاتمة وملاحق، وقائمة بالمصادر والمراجع.

تلك هي خطة الدراسة الرئيسية، ولا يخفى على القارئ اللبيب أن هناك دراسات عدة قد تطرقت لبيان الأوبئة والأمراض وقسم من الكوارث التي كانت سبباً لهما وانتشرت في فترات مختلفة، إذ كان لها الأثر في وجود أزمات اقتصادية خلال حكم الدولة العربية الإسلامية التي سببت المجاعات

والأوبئة والأمراض، بعد أن أوضحنا الأضرار المترتبة عليها والإجراءات المتخذة حيالها.

علماً أننا استفدنا من مواقع الإنترنت، لاسيما في بيان وباء كورونا (كوفيد-١٩) المستجد، لأن هذه الوباء لم يمضِ عليه أشهر أي في شهر أيلول سنة ٢٠٢٠م، إذ باشرنا بدراسته والأوبئة المشابهة له بين عالم الأمم واليوم في التراث العربي الإسلامي، بغية الفائدة وتعرف القارئ على ما وقع خلال قرون خلت، قد تكون شبيهةً بوباء كورونا (كوفيد-١٩) المستجد وعن غيره من الأوبئة المُتنبِسة قديماً وحديثاً كي توضع حلول مناسبة للحد من الخسائر الناجمة عن الوباء المنتشر حالياً في عالمنا اليوم.

وبيّنا أنّ المجاعات التي تخلفها الأمراض تُعد من أكثر الأضرار الذي تعرّض له المجتمع بكل أطيافه، إذ كانت تؤدي بحياة الكثير منهم، ولم تكن الدولة قد خطت سلفاً بمجموعة وسائل مدروسة حيال هذه الجوائح والمجاعات والأوبئة التي تنتشر بين الحين والآخر إلا القليل. وقد استخدمنا مصطلحات عدة للإشارة بما يقع عندما يحل الوباء أو شبيهه، وما يخلفه من كوارث وأزمات نتيجة هذه الأمراض المتنوعة التي قد يعجزون عن علاجها طبيّاً.

والخلاصة أن القيمة العلمية التاريخية التي توسّمتها فيها من الدراسة بعد استعراضنا للدراسات التي أطلعنا عليها وجدنا أنّها دراسات تاريخية بحثية ركّزت واقتصرت على العوامل الطبيعية، كأحد الأسباب في حدوث هذه الأوبئة والأمراض، أمّا هذه الدراسة فستظهر عاملاً آخر لا يقل أهمية في الإسهام بحدوثها ألا وهو العامل البشري.

كما أنها ستتناول الأعراض المُتنبِسة أي المتشابهة والمتداخلة مع ما نعيشه اليوم بسبب وباء كورونا (كوفيد-١٩) المستجد، ومعرفة آثارها بوجه

عام من خلال التحليل العلمي على وفق المنهج التاريخي والاستقرائي - كما أسلفنا، ولا أقول أنا أتمننا وأشرنا لكل ما وقع من أوبئة في المجتمع العربي الإسلامي خلال هذه الدراسة، ولكن هي محاولة لفتح باب لدراسات عدة؛ بغية الوقوف على الأسباب الكامنة خلف هذا الوباء وغيره، إذ بسببه عُلق بيت الله الحرام بـ: مكة المكرمة، ومنع الحج للسنة (١٤٤١هـ/٢٠٢٠م)، وهي أول مرة تحصل في تاريخ المسلمين في عالمنا المعاصر، فضلاً عن غلق المسجد النبوي الشريف ودور العبادة في معظم ديار المسلمين وغير المسلمين، وقطع تواصل الأرحام والعلاقات الإنسانية كـ: التعازي والأفراح وتتم بواسطة وسائل الاتصال فقط، على الرغم من توفر وسائل النقل السريعة بين الناس جميعاً وغيرها الكثير من الذي قد يطول شرحه.

ختاماً نسأل الله تبارك وتعالى الذي لا تضيع ودائعه، وأن يوفقنا وإياكم مستقبلاً لخدمة الإسلام والمسلمين والناس جميعاً في مشارق الأرض ومغاربها لما يحبه لنا ولكم ويرضاه، و يسدد خطانا لما فيه الخير والصالح، واعتذر للقارئ الكريم عن كل سهوٍ أو نقصٍ، فكل كتابٍ ناقص إلا كتاب الله تبارك وتعالى، فإنه نعم المولى ونعم النصير، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الأستاذ الدكتور

علي عبد مشالي

١ رجب ١٤٤٢هـ

٢٠٢١/٢/١٣ م

الفصل الأول

وباء كورونا والأوبئة المشابهة له

المبحث الأول

مفهوم الوباء والمرض والعدوى

المبحث الثاني

وباء كورونا في المصادر الحديثة

المبحث الثالث

ذكر الوباء في القرآن الكريم والسنة النبوية

المبحث الأول

مفهوم الوباء والمرض والعدوى

تمهيد:

من الضروري أن يرتبط تاريخ المجتمع العربي والإسلامي الغني والمليء بالإبداع العلمي بحاضره الحديث والمعاصر، لاسيما في ميدان الطب ومعالجة الأوبئة والأمراض في حياتنا اليوم، بغية التمكن من تعزيز قدرة الأجيال اللاحقة والاستفادة منه أولاً، وبعث روح الأمل فيهم بالإرادة لإحياء حضارتهم العربية والإسلامية ثانياً، لمواجهة التطورات العلمية المتسارعة في حياة شعوب العالم أجمع؛ كي تسهم العقول الشابة رجالاً ونساءً في الحياة الجديدة وهم يتحدون المستحيل، لأن الإنسان المؤمن بعدالة القيم والمبادئ الإسلامية والإنسانية التي ملؤها التفاؤل والثقة بالنفس قادر على تحقيق أهداف المجتمع عموماً، والسعي باضطراد لتطوير الحياة العلمية والعملية من خلال معرفته بارتباط الأصالة بالمعاصرة.

مفهوم الوباء (epidemic):

الوباء^(١) هو كل مرض عام يقع على كثير من الناس نوعاً واحداً، بخلاف سائر الأوقات، فإن أمراضهم فيها مختلفة، فقالوا: كل طاعون وباء، وليس كل وباء طاعوناً^(٢).

(١) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأفرقي المصري (ت: ٧١١هـ/١٣١١م)، لسان العرب، (دار صادر، بيروت، ١٩٦٨م)، ١/١٨٩.

(٢) العيني، بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى الغياوي (ت: ٨٥٥هـ/١٤٥١م)، عمدة القارئ شرح صحيح البخاري، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ت.))، ١٦/٥٨.

وهذا الرأي خلاف ما كان يشاع قديماً أن الوباء هو الطاعون، وهذا مجافٍ للحقيقة، فهناك أمراض عدة الحقت الضرر بالناس، وتوفي الكثير منهم من دون معرفه نوع المرض، بسبب سرعة وفاة المصاب من جهة، وعدم وجود وسائل وطرق تشخيص آنية للتعرف على المرض بغية معالجته من جهة أخرى.

وفي ذلك قال ابن منظور: "الْوَبَاءُ، الطاعون بالقصر والمد والهمز. وقيل هو كل مرض عام، وفي الحديث: إن هذا الوباء رجز. وجمع الممدود أوبية وجمع المقصور أوباء، وقد وبئت الأرض توبأً وبأً، وبوأت وباءً ووباءة" (١). وعرف ابن حجر الوباء قائلاً بما نصه: "هو المرض العام يقال أوبأت الأرض فهي موبئة، و وبئت بالفتح فهي وبئة وبالضم فهي موبوءة، والذي يفترق به الطاعون من الوباء أصل الطاعون الذي لم يتعرض له الأطباء ولا أكثر من تكلم في تعريف الطاعون وهو كونه من طعن الجن، ولا يخالف ذلك ما قال الأطباء من كون الطاعون ينشأ عن هيجان الدم أو انصبابه، و يجوز أن يكون ذلك حدث عن الطعنة الباطنة فتحدث منها المادة السمية ويهيج الدم بسببها أو ينصب، وإنما لم يتعرض قسم من الأطباء له آنذاك، معتقدين أن هذا من طعن الجن، وهو أمر لا يدرك بالعقل وإنما يعرف من الشارع، فتكلموا في ذلك على ما اقتضته قواعدهم" (٢).

(١) لسان العرب، ١/١٨٩.

(٢) ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد (ت: ٨٥٢هـ/١٤٤٨م)، فتح الباري شرح صحيح البخاري، تعليق: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، (دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ-١٩٥٩م)، ١٠/١٥١.

نقل الزبيدي أنه قال عن الحكيم داؤود الأنطاكي: "الوباءُ حقيقةٌ تَغَيَّرُ الهواءِ بالعَوَارِضِ العُلُويَّةِ، كاجتماعِ كواكبِ ذاتِ أشِعَّةٍ والسُّفْلِيَّةِ كالملاحمِ وانفتاحِ القُبُورِ وصُعودِ الأَبْحَرَةِ الفاسدةِ، وأسبابُهُ مع ما ذُكِرَ تَغَيَّرُ فصولِ الزمانِ والعناصرِ وانقلابِ الكائناتِ، وذكروا له علاماتٍ، منها الحُمَّى والجُدْرِيَّ والنَّزلاتِ والحِجَّةَ والأورامِ وغيرُ ذلك" (١).

وعُرف الوباءُ بشكلٍ عامٍ، كما ذكرتُه منظمةُ الصحة العالمية أنه: حالة انتشار مرضٍ معينٍ، إذ يكون عدد حالات الإصابة أكبر مما هو متوقع في مجتمعٍ محددٍ أو مساحة جغرافية معينة أو موسم أو مدة زمنية. وقد يحدث الوباء في منطقة جغرافية محصورة أو يمتد إلى مناطق عدة ومن المحتمل إلى دولٍ أخرى، وقد يستمر أيام أو أسابيع عدة، وربما لسنوات (٢).

وفي هذا السياق حذرت منظمة الصحة العالمية في منتصف مارس/ آذار عام ٢٠٢٠م من أن وباء كورونا (كوفيد-١٩) المستجد لم يصل بعد إلى ذروته في الشرق الأوسط عموماً وشمال أفريقيا خصوصاً، وأكدت على ضرورة استعداد المنطقة لأسوأ الاحتمالات في الوقت القريب.

فوجَّهت المنظمة شكوى من أن قسم من الدول لم تقدم معلومات تفصيلية عن حالات الإصابة بالوباء لانتشاره غير المحدود، على الرغم من خطورة الوضع، إذ حثت الجميع على بذل جهود إضافية أكبر لمكافحة الوباء المنتشر في عالمنا المعاصر (٣).

(١) الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني (ت: ١٢٥٠هـ/١٨٣٤م)، تاج العروس، تحقيق: مجموعة من المحققين، (المطبعة الخيرية، القاهرة، ١٣٠٦هـ)، ٢٧٠/١.

(٢) <https://www.aljazeera.net/encyclopedia/encyclopedia>

١٠/٨/٢٠١٤/healthmedicine. تاريخ الدخول في الموقع: ١٥/٥/٢٠٢٠م.

(٣) فرناندث، هيثم عميره، فيروس كورونا في الدول العربية: عاصفة عابرة، فرصة للتغيير أم كارثة إقليمية. بحث منشور في ٧/٤/٢٠٢٠م، ١.

ويبدو أن وباء كورونا (كوفيد-١٩) المستجد انتشر إلى دول عدة من هذا العالم الواسع، وفي الوقت نفسه كثيراً ما يكون مرض عام قد يسبب وفاة الكثير من الناس قبل وبعد معرفة السبب والعلاج علماً أن المصاب به قد لا يعلم بإصابته وبإمكانه الانتقال من مكان بعيد إلى مكان أبعد أي بحدود أكثر من ألف ميل خلال ساعات بوسائل النقل الحديثة كـ: الطائرات والقطارات والسيارات وغيرها ويصبح ناقل للعدوى من دون أن يعلم. ومن اللافت أن هذا الوباء انتشر في أغلب بقاع العالم الواسع بصورة مذهلة، وقد ألحق الضرر من حيث عدد الإصابات والوفيات كما تنتشره قنوات الإعلام المرئية والمسموعة، لاسيما في كبار السن أكثر من غيرهم لضعف المناعة في قسماً منهم. ومن الدول التي تضررت بسببه وذاع صيتها بادئ الأمر: (جمهورية الصين الشعبية، وجمهورية إيران الإسلامية، والجمهورية الإيطالية).

في حين هناك وباء موضعي أي متوطن، فهو محدود الانتشار، ولا يتجاوز المنطقة أو المزرعة أو المزارع المجاورة لها أو المنطقة المحدودة جغرافياً، وقد يصيب نوعاً أو أنواعاً بعينها من الحيوانات والنباتات من دون الإنسان.

تاريخ علم الأوبئة:

يُعد دراسة تاريخ علم الأوبئة مهماً، لاسيما في علوم الطب موضوع الدراسة، إذ أنه أحد فروع الأمراض المُعدية، وللفادة لابد من توضيح طرق دراسة علم الأوبئة في العصر الحديث، ومنها:

<http://www.realinstitutoelcano.org/wps/wcm/connect/ddf8219a->

تاريخ الدخول في الموقع: ٢٠٢٠/٥/١ م.

١. طريقة الوصف Descriptive Epidemiology:

تعتمد هذه الطريقة على الملاحظة للحالات التي تنتشر عند انتشار المرض، وهناك من يسميه علم أوبئة الظروف: Epidemiology of opportunity.

تعتمد الطريقة على دراسة عينات من الناس الذين يعانون المرض، ومدى تكراره، وأين حدث، وما هو سبب حدوثه.

٢. طريقة استرجاع الأوبئة Retrospective Epidemiology:

تتضمن هذه الحالة الرجوع لكل الأوليات السابقة والمثابرة لهذا المرض بما فيها كتب المؤرخين السابقين وغيرها، إذ تُعد مهمة قياساً بالوقت الذي حصلت فيه، كونها قد تحمل الأسباب والمعالجات في آن واحد، فضلاً عن المعلومات في الكتب الدينية التي جاءت بوصف هذه الأوبئة، أو النظر إلى كتب الرحالة الذين زاروا تلك المناطق والمدن، ووصفوا ما فيها من أوبئة حينذاك، ومدى الأضرار الناجمة عنها.

٣. طريقة علم الأوبئة المستقبلي Prospective Epidemiology:

تعتمد هذه الطريقة فرضيات انتشار الوباء، ودراسة الحالات المرضية التي لها علاقة بالوراثة، ومدى تأثيرها على الافراد^(١).

والوباء بوجه عام يبدأ بفيروس وبكتريا، والفيروسات أنواع منها:

ما يتسلط على باطن الجسد المحدد في الفرد.

أو يتعدى حدود الفرد الواحد، وينتشر بين الكثير من الناس، فيسمى

وباء.

والمعروف أن الإصابة بالفيروس ممكن أن تكون فردية أو أن تكون

جماعية، وهذه قد تكون محدودة أو غير محدودة والأخيرة هي الوباء.

(١) <https://mhtwyat.com> تاريخ الدخول في الموقع: ٢٠٢٠/٥/١ م.

إن الأوبئة كما كشفتها دراسات عدة تمثل: (البكتيريا) و (الفيروسات).
و(البكتيريا): هي كائنات حية دقيقة، وحيدة الخلية تحتوي على كل ما
تحتاجه للقيام بجميع وظائف الحياة الأساسية. إذ تحتوي على المادة الوراثية
المسؤولة عن تحديد صفات وسلوك البكتيريا إلى جانب أجهزة خلوية
لصناعة البروتينات التي تحتاجها من أجل حياتها، فخلية البكتيريا مثلاً
تتغذى وتقوم بالاستقلاب الذاتي وتتكاثر بالانقسام. ومن بين الأمراض التي
تسببها البكتيريا على سبيل المثال، الدفتيريا والكوليرا والسعال الديكي والسلّ
الرئوي وغيرها (١).

أما (الفيروسات): هي عبارة عن جزيئات معدية وليست خلايا، وتتألف
من مواد وراثية محاطة بغشاء واقٍ من البروتينات، فضلاً عن عدم تملكها
أجهزة خلوية لتوليد الطاقة، أو إنتاج البروتينات أو للتكاثر، ومنها الطاعون
البقري، والجذام والزهري أو فيروس الجدري، والحمى الصفراء، وكورونا
(كوفيد-١٩) المستجد (٢). وهناك لا بكتيريا ولا فيروس؛ بل طفيليات مثل:
المالاريا.

والفيروسات أو الحُمات مفردها فيروس أو حُمة (باللاتينية: Virus)،
وتعني باللغة اليونانية (ذيفان: τοξικόν) أو السُمّين أو التوكسين
(Toxin)، وهو: (سم حيوي بروتيني)، وعامل ممرض صغير جداً، لا يرى
بالعين المجردة، ولا يمكنه التكاثر إلا داخل خلايا كائن حي آخر.

(١) مقالة منشورة بعنوان: ما هو الفرق بين الفيروس والبكتيريا.

<https://www.dw.com/ar>. تاريخ الدخول في الموقع: ٢٠٢٠/٥/١٠م.

(٢) للمزيد يُنظر: <https://www.dw.com/ar/%D> تاريخ الدخول في الموقع:

٢٠٢٠/٩/١٧م.

والفيروسات بشكل عام صغيرة جداً، وغير حية ولا يمكن مشاهدتها بالمجهر الضوئي، وتصيب جميع أنواع الكائنات الحية: البشرية والحيوانية والنباتية.

وعلى الرغم من أن هناك الملايين من الأنواع المختلفة، إذ لم يتم وصف إلا حوالي (٥٠٠٠) خمسة آلاف نوع منها تقريباً بالتفصيل^(١). ومن الأمراض الوبائية التي انتشرت قديماً وحديثاً منها: جدري الماء، والتهاب الكبد الوبائي، وحمى التيفوئيد، والكوليرا، والسل، والحمى الشوكية، والسعال الديكي، والسارس، الحمى المالطية، التالول، والحصبة، والإنفلونزا، وأخيراً في عالم اليوم كورونا أو (كوفيد-١٩) المستجد.

مفهوم المرض:

تحوّل عن حالة الصحة، إذ ينشأ من طروء تغيير على تركيب الأنسجة^(٢)، كما يزول بحلوله في بدن الحي اعتدال الطبائع الأربع^(٣)، وكثيراً ما تدرس نظريات عدة عن المرض الذي يُحول الحالة الصحية من خلال تغيير تركيب الأنسجة التي ستتجم عنه أمراض عضوية. أكد علم الطب الحديث على أن الأمراض متنوعة ومتباينة، ومن الضروري جداً معرفة التوصل إلى نظريات من خلال الدليل العلمي لتحديد

(١) <https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%81> تاريخ الدخول في الموقع:

٢٠٢٠/٩/١٧ م.

(٢) الموسوعة العربية الميسرة، الجمعية المصرية، (دار الجيل، ط٢، القاهرة، ٢٠٠١م)، مج:

٤، ٢٢٤٥.

(٣) ابن نجيم المصري، زين الدين بن إبراهيم بن محمد الحنفي (ت: ١٥١٤هـ/١٥١٤م)، البحر

الرائق شرح كنز الدقائق، دراسة وتحقيق: أحمد عزو عناية الدمشقي، (دار إحياء التراث

العربي، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م)، ٢/١٩٨.

أسباب هذه الأمراض الجديدة على المجتمع، من خلال دراسة جميع الدلائل الظاهرة، الذي تسمى بالدراسة السريرية، وهي خلاف الدراسات شبه العيادية التي هي نتاج الاختبارات التكميلية. وهذا ناتج عن تطور التقنيات، لاسيما في التصوير الإشعاعي وغيره، إذ ظهر علم دراسة الأعراض الشبه العيادي^(١)، ومنها على سبيل المثال: التشخيص التفريقي من خلال المختبرات أي وصف الأمراض التي تحمل أعراض متشابهة يمكن أن تختلط بالمرض قيد التشخيص^(٢). وبعد معرفتها وتشخيصها يمكن القول: هل أن هذه الأمراض مُعدية أم لا، وهل هي وبائية أم لا، فضلاً عن مدى سرعة انتشارها والمواطن التي ظهرت فيها، وما العوامل المساعدة لها، كذلك الوراثة من خلال دراسة طبيعة تطور الأجيال، وما هي الصناعة المتداولة في تلك المناطق التي قد تكون سبباً لها.

ومن الأهمية بمكان إن التشخيص التفريقي قد تكلم عنه الطبيب الرازي ووضع فيه كتاباً سماه (كلام في الفروق بين الأمراض)^(٣)، وهو أول كتاب وضع عن الطب العربي والإسلامي أنف الذكر، إذ كان يصف كل مرض لوحده ويحاول تفريقه عن المرض الثاني، لاسيما بين الأمراض التي تتشابه في أعراضها ويُعرف كل مرض لوحده، ويحاول التفريق بينهما من خلال

(١) - <https://studycy.com/subcate/154> الطب

(٢) <https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B7%D8%A8> الطب. تاريخ الدخول

في الموقع: ٢٠٢٠/٨/١٢ م.

(٣) ابن أبي أصيبعة، موفق الدين أحمد بن قاسم (ت: ٦٦٨هـ/١٢٨٩م)، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، (مطبعة مكتبة الحياة، ط٢، بيروت، ١٩٦٥م)، ٤٢٧.

السؤال والجواب لوجود تشابه في الأوبئة والأمراض قد تلتبس على الحذاق من الأطباء في بعض الأحيان (١).

فضلاً عن تتبع المتغيرات التي يشكو منها المريض، وما هي العلامات التي شخصها الطبيب المعالج، الذي قد يلزم به مصاحبة الفراش، ولا يعذر معه على شيء من التصرف، ويغلب على القلوب أنه يتخوف عليه منه الموت، ولا بد من تمييزها والأمراض المُلْتَبِسة لها والمضاعفات التي ستظهر عليها، وضرورة التوصل إلى وسائل الوقاية لتجنب هذا المرض بأقل الخسائر المادية والحفاظ على الأرواح البشرية (٢).

مفهوم العدوى:

تعني انتقال الداء من المريض المصاب إلى الإنسان أو الحيوان أو النبات الصحيح بوساطة ما.

قال ابن منظور: "والمَرَعَى تَسْتَوْبِلُهُ المَاشِيَةُ فَتَمَرَضُ، فإذا شاركها في ذلك غيرها أصابه مثل ذلك الداء، فكانوا بجهلهم يسمونه عَدْوِيَّ وإِنَّمَا هُوَ فَعَلَ اللّهُ تَعَالَى" (٣).

ومفهوم العدوى كثيراً ما ينتقل المرض بواسطة البكتيريا أو بعض الفيروسات، وهي مسببات الأمراض - كما أسلفنا - ويمكن أن تنتقل بطرق

(١) للمزيد يُنظر: السامرائي، كمال، مختصر تاريخ الطب العربي، (دار النضال، بيروت، ١٩٨٩م)، ١٠٦.

(٢) ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري (٤٦٣هـ - ١٠٧٠م)، الاستذكار، تحقيق: سالم محمد عطا، ومحمد علي معوض، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م)، ٢٨١/٧.

(٣) الموسوعة العربية الميسرة، الجمعية المصرية، (دار الجيل، ط٢، القاهرة، ٢٠٠١م)، مج: ٤، ٢٢٤٥.

شكى إلى الإنسان السليم الصحيح، وهذه قد تحصل من حالات، منها عن طريق التهاب الصدر، فضلاً عن اسباب التهابات عدة، منها رئوية وما يصاحبها من أعراض متنوعة كـ: التهاب الرئة أو الإصابة بمرض السل الرئوي وبالتالي صعوبة التنفس الذي يسمى بـ: الخُناق^(١)، وهناك التهابات تسبب السعال، ويطلق عليه السعال الديكي، فضلاً عن أعراض الإنفلونزا وهذه الأمراض أغلبها مُعدية تنتقل من أجسام المرضى إلى أجسام الأصحاء عن طريق عطس المريض أو التكلم معه أو الملامسة وتناول الأطعمة وغيرها^(٢).

وهناك أمراض مُعدية أخرى قد يكون سببها الجهاز الهضمي للإنسان من خلال إصابته بأمراض مُعدية، ومنها على سبيل المثال: التيفوئيد أو الدوسنتاريا بأنواعها الأميبية والباسيلية التي تسمى بالزحار الأميبي، فضلاً عن مرض الكوليرا، ومرض شلل الأطفال أو العدوى بسبب الديدان، ومنها الشريطية وغيرها، وهذه برمتها قد تحصل نتيجة الأغذية والمشروبات الملوثة، فقد تكون السبب المباشر لنقل الأمراض إلى داخل الجسم وإصابته، فيصبح المصاب حاضنة سواء أكان ملاصقاً أم مجاوراً أم ممن تناولوا

(١) الجمع: خوانيق، وهو داء يصعب معه التنفس بدخول الهواء إلى الرئة، فيسبب الوفاة للمريض في أغلب الأحيان. ابن قيم الجوزية، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز (ت: ٧٥١هـ/١٣٥٠م)، الطب النبوي، دراسة وتحقيق: السيد الجميلي، (دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م)، ٨٥.

(٢) <https://www.facebook.com/elsaftyLab/posts/٦١٨٨٢٠٨٧٨٢٥٦٠١٣>

نشر معمل الصفتي/elsaftyLab@elsafty lab تاريخ الدخول في الموقع:

٢٣/٤/٢٠٢٠م.

الطعام مع المريض نفسه ^(١) أو عن طريق الدم بسبب الجروح أو الحقن بالإبر وغيرها الكثير.

كما أن قسماً من الحشرات والحيوانات الزاحفة أو الطائرة هي عامل مساعد لنقل العدوى، وهي كثيرة كما هو معروف، ك: البعوض الذي يسبب مرض الملاريا، وداء الفيل، فضلاً عن الحمى الصفراء، لاسيما الذباب (كلوسينا) والبراغيث، وكذلك حشرات تسهم في نقل مرض النوم، وهذه جميعاً عوامل مساعده في العدوى، وهناك أمراض قد تترك الأذى على جسم الإنسان، ومنها التي تسمى علمياً (الليشمانيا) ^(٢)، إذ تترك أثراً في وجه المصاب بها ^(٣).

(١) يُنظر: الفنجري، أحمد شوقي، الطب الوقائي في الإسلام، (الهيئة المصرية للكتاب، ط ٣، القاهرة، ١٩٩١م)، ٣٢.

(٢) مرض يسببه طفيلي من الأولي، إذ يتطفل بشكل إجباري على الوجه، وسببه لدغة أنثى ذبابة الرمل (الفاصدة)، فيتحول المرض من قرحة جلدية إلى داء جلدي مشوه أو حتى إلى مرض جهازي قاتل، كان وما زال العلاج يمثل تحدياً لمكافحة المرض، إذ أنه يظهر مقاومة للدواء، ومن الجدير بالذكر فإن هذا المرض منتشر في أجزاء واسعة من العالم. للمزيد يُنظر: جودة، سعاد زكي، أمراض الليشمانيات في العراق عبر العصور، بحوث الندوة القطرية الخامسة لتاريخ العلوم عند العرب، (مركز إحياء التراث العربي، مطبعة الرشاد، بغداد، ١٩٨٩م)، ٤١٧؛ ليشمانيا <https://ar.wikipedia.org/wiki>؛ تاريخ الدخول في المواقع: <https://www.syr-res.com/article/11471.html>؛ ٢٥/٧/٢٠٢٠م.

(٣) من اللطيف أن المؤلف أُصيب بها سنة ١٩٥٧م بعمر ثلاث سنوات، وكان المرض واضحاً في خده الأيمن، ومن المحتمل أنه ينتشر بأكثر من موضع، وقد حدثتنا الوالدة (رحمها الله تعالى) أنها عجزت عن العلاج في أغلب المستشفيات العراقية حينذاك، لعدم وجود علاج طبي، ولكنها استخدمت طريقة بدائية من وصية أمراه كبيرة السن، وبعيدة عن الطب والصيدلة، وخلال أيام متتالية شُفينا بإذن الله تعالى بعد أن تركت أثراً في الخد الأيمن =

ذكرت إحدى الباحثات أن هذا المرض أي (الليشمانيا) انتقل من أواسط آسيا إلى مدينة بغداد حاضرة الخلافة العربية الإسلامية عن طريق جيوش الغزاة^(١) من المغول والتتار بقيادة هولاكو^(٢) وأعوانه الذين كانوا سبباً في سقوطها سنة (٦٥٦هـ/١٢٥٨م)، ومن اللافت أن هذا المرض لم يذكره بنيامين التطيلي (ت: ٥٦٩هـ/١١٧٣م)^(٣) في رحلاته عندما زار بغداد قبل دخول هولاكو.

=بشكل دائري وبحدود سنتيمتر واحد تقريباً، والحمد لله رب العالمين الذي لا يحمد على مكروه سواه.

(١) للمزيد يُنظر: جودة، سعاد زكي، أمراض الليشمانيات في العراق عبر العصور، ٤٣٢.
(٢) من ملوك التتار، وكان ملكاً جباراً فاجراً قتل الكثير من المسلمين شرقاً وغرباً ما لا يعلم عددهم إلا الله تعالى، كما انه لا يتقيد بدين من الأديان السماوية، وكانت إحدى زوجاته (طقز خاتون) قد تنصرت، أي أصبحت نصرانية نسطورية، وهي حفيدة طغرل خان ملك قبائل الكيراييت التركية، إذ فضلت النصارى على سائر الناس بما فيهم المسلمين حينذاك، تُؤفى هولاكو عام (٦٦٣هـ/١٢٦٥م). يُنظر: ابن كثير، أبي الفداء اسماعيل الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ/١٣٧٢م)، البداية والنهاية، (مكتبة المعارف، بيروت، ١٩٩٠م)، ٢٨٨/١٣؛ <https://www.facebook.com/HdthFyMthIHdhhAlywm/photos/١٢٦٥> ٢٨٪

(٣) ابن الرابي يونة التطيلي النباري الإسباني اليهودي. قام برحلة أكثر من سنة ومرّ بأمصاّر عدة، ووصل الصين ماراً بالبلاد العربية الإسلامية، وأنهى رحلته في قشتالة شمال غرب إسبانيا، ذاكراً الكثير من أسماء الشخصيات من المشاهير والعلماء، واهتم في رحلاته بدراسة أحوال اليهود، لاسيما في الأقاليم المختلفة. كما كتب الرابي بنيامين عن رحلته باللغة العبرية، ثم نقلت إلى اللاتينية ومن ثم إلى أغلب اللغات الأوروبية. إذ نقلها عزرا حداد من العبرية إلى العربية، وطبعت في بغداد سنة ١٩٤٥م بـ: (المطبعة الشرقية). للمزيد يُنظر: التطيلي، بنيامين، ابن الرابي يونة التطيلي النباري الإسباني اليهودي، رحلة بنيامين التطيلي، ترجمة: عزرا حداد، (المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٢م)، ١٧٨.

وتسمى أيضاً حبة بغداد التي لا تزال تلحق الضرر بالأطفال^(١). قال أحد الباحثين عن هذا المرض بما نصه: " كما تشتهر بغداد بتراتها العلمي والأدبي وبدجلتها ونخيلها ... فإنها تشتهر بحبة بغداد أو أخت بغداد. وأخت بغداد هي ندبة واسعة أو صغيرة، ولكنها واضحة تبقى على الجلد، لاسيما الوجه نتيجة الإصابة بمرض جلدي، فالأثر يبقى ولا يزول مع العمر."^(٢)

وتسمى أيضاً البثرة الشرقية^(٣)، وهذه على ما يبدو لا تصيب أطفال البدو، ولكنها تصيب أطفال المدن، وتزداد قوة وشراسة، لاسيما عند وقت نضوج التمر أي في أواخر فصل الصيف^(٤).

ومن أشباه هذا المرض أي من الليشمانيا هو: الكلاآزار (الحمى السوداء) الطفيلي الذي كثيراً ما يترك وفيات عدة، لاسيما إذا أهمل من دون علاج^(٥).

ومن نافلة القول إن أغلب الأمراض المعدية التي تصيب الإنسان، ومنها ما تنتقل إلى جسم آخر قد لا تؤثر به، على حين إصابة شخص آخر تظهر الأعراض عليه ولربما تسبب وفاته، وأن هذا كله بسبب المناعة التي

(١) ذكر بعدم وجود لقاح حتى الآن لهذا المرض، وتكون الوقاية بتجنب التعرض للدغة ذبابة الرمل. للمزيد يُنظر: <https://www.syr-res.com/article/11471.html>.

تاريخ الدخول في الموقع: ٢٥/٧/٢٠٢٠م.

(٢) أبو الحب، جليل كريم، حبة بغداد، (مجلة المورد، العدد ٨، بغداد، ١٩٧٩م)، ٣٦٧.

(٣) البثرة الشرقية Oriental sore أو حبة بغداد Baghdad boil أو داء الليشمانيا الجلدي.

<http://csg.uobabylon.edu.iq/lecture.aspx?depid=3&lcid=71862>

(٤) للمزيد يُنظر: جودة، سعاد زكي، أمراض الليشمانيات في العراق عبر العصور، ٤٢٤.

(٥) جودة، سعاد زكي، نفس المرجع، ٤١٧.

منحها الله تعالى لعباده في جسم الإنسان، فضلاً عن استخدام اللقاحات المتطورة عبر التاريخ، ومن خلال تعرّف جسمه على قسم من الأمراض السابقة التي يقاومها أمّا غيره فقد يكون ضعيفاً، فيسيطر عليه الوباء الأمر الذي يصبح لقمة سائغه، فيفتك به والبعض ممن يصاب يتوفاه الله تبارك وتعالى لهذا السبب.

كما أن هناك وسائل أو طرق متنوعة يمكن القول إنها تسهم في نقل الأمراض سواء أكانت بعلم الإنسان أم من دون علمه، ومن ذلك الحمى الشوكية وغيرها.

علماً أن أناس قد يصابون من شخص مريض بمرض معدي وهم في مكان واحد أو سكن واحد أو عائلة واحدة، وآخرين معه لم تظهر عليهم أي أعراض من هذا الوباء المُعدي، وهذه من الأمور التي قد يعلمها الله تبارك الله تعالى، فضلاً عن الإنسان المدرك لصحته من خلال توفر وسائل الوقاية لتحقيق المناعة التي تدعم جسم الإنسان.

مؤرخون كتبوا في الأوبئة:

ذكر قسم من المؤرخين وأشاروا إلى الأوبئة في كتب ورسائل عدة منها خاصة وعامة. قال أحد الباحثين أن هنالك الكثير من المصادر أشارت إلى وباء الطاعون، إذ بلغت حدود (٧٠) مصدراً كلها تشير لذلك المرض وتأثيره في صحة الإنسان لبقائه على الأرض^(١). وعلى ما يبدو أنهم لم يطلعوا على أوبئة ملتبسة مع وباء الطاعون؛ بل يعدّون أكثر الأوبئة هو نفسه الطاعون الوباء اللعين.

(١) للمزيد يُنظر: البار، محمد علي، العدوى بين الطب وحديث المصطفى، تقديم: عبد الحليم

محمود، (دار الفتح للدراسات والنشر، عمان، ٢٠١١م)، ٨١-٩٨.

ومن ذلك فقد ذكر قسم من المؤرخين أن كتاب: الطواعين، للحافظ أبي بكر بن أبي الدنيا (ت: ٢٨١هـ/—/٨٩٤م) هو من أوائل مؤلفات العرب المسلمين الذين كتبوا في الأوبئة، على حين هناك رسالة للفيلسوف الكندي أبو يوسف يعقوب ابن إسحاق الصباح (ت: ٢٥٤هـ/—/٨٦٨م) في: الأبخرة المصلحة للجوّ من الأوباء.

وهناك أيضاً رسالة بعنوان: نعت الأسباب المولدة للوباء في مصر، لأحمد بن الجزار القيرواني (ت: ٣٩٥هـ/—/١٠٠٤م)، وهو طبيب عربي تونسي. ورسالة: الوباء، لأبي عيسى الجرجاني (ت: ٤٠١هـ/—/١٠١٠م). ورسالة: تحصيل غرض القاصد في تفصيل المرض الوافد، لابن خاتمة أحمد بن علي الأنصاري (ت: ٧٧١هـ/—/١٣٦٩م). وكتاب: شفاء الآلام في طب الإسلام، لأبي المظفر يوسف بن محمد بن مسعود العُقيلي (ت: ٧٧٦/١٣٧٤م) وغيرها الكثير^(١).

ومن المحتمل أن هذه المؤلفات أغلبها وضحت الأوبئة في القرن الحادي عشر الهجري (السابع عشر الميلادي) وما قبله، وتتعلق جميعها بالأوبئة ومنها الطواعين. وقد تكون أحدها متشابهة لوباء كورونا أو (كوفيد-١٩) المستجد، ولكن العرب كثيراً ما عرفوا أن وباء الطاعون هو: مرض قاتل إلا في القرون اللاحقة أي بعد أن تطورت علوم الطب وعلاجه في المجتمع العربي والإسلامي.

(١) للمزيد من التفاصيل، يُنظر: محمد، محمود الحاج قاسم، البيئة والأوبئة في التراث الطبي العربي الإسلامي، (دار ماشكي للنشر، الموصل، ٢٠٢٠م)، ٢٤-٢٩.

طرق انتقال علوم الطب من العرب المسلمين إلى أوروبا:

اتخذ الأطباء في الأندلس الطبابة مهنة للحصول على الأموال مع أعمالهم الأخرى، ولكن عند انتشار وباء الطاعون في أوروبا منتصف القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي) وضع الحكيم ابن الخطيب الأندلسي الغرناطي رسالة كان مهمته الدفاع عنها في نظرية الدواء^(١).

لقد أسهم الأطباء العرب والمسلمون في إضافات علمية جديدة بشكل غير مباشر للمعارف العلمية اليونانية، وعلى سبيل المثال قيام ابن سينا بتصنيف كتاب سماه: القانون في الطب، إذ جمع مؤلفات جالينوس بعد أن رتبها واختصرها بما يعني سهولة الفهم والوضوح وهذا يعني الحفاظ على التراث العلمي اليوناني من الضياع من جهة، والإضافات العلمية للعلماء العرب والمسلمين من جهة أخرى.

إذن يمكننا القول إن العلماء لم يكتفوا بأعمال النقل، بل قاموا بنقلها وتطويرها وتجاوز الكثير منها وأبدعوا بعلوم ومعارف جديدة تصوروا مالم يتصور غيرهم.

ومن الجدير بالذكر عندما حل القرن (الخامس الميلادي) أي قبل البعثة النبوية المباركة تداعى الطب اليوناني، وقارب على نهايته بسبب قيام رجال النصرانية المترمتين بتولي أمر العلوم التي لا تتناولها شرائعهم الدينية آنذاك^(٢).

(١) الأسدي، طارق عبد الكاظم، مراجعة في أصول الطب العربي وكيفية انتقاله إلى أوروبا وآثاره على المعرفة الطبية، بحوث الندوة القطرية الخامسة لتاريخ العلوم عند العرب، (مطبعة الرشاد، مركز إحياء التراث العربي، جامعة بغداد، ١٩٨٩م)، ٢٤٤/١.

(٢) السامرائي، كمال، الطب العربي في أوروبا اللاتينية معالم تصلح للمناقشة، مركز إحياء التراث العربي، دراسة في فضل العرب في الطب على الغرب، (مطبعة العمال المركزية، جامعة بغداد، ١٩٨٩م)، ٨٣.

يتضح مما تقدم أن أغلب النظريات التي تواجه العدوى هي من انجازات الطب العربي الإسلامي الذي انتقل حضارياً من العرب إلى أوروبا مع علوم أخرى بطرق منها:

١. بلاد الأندلس التي فتحت عام (٩٢هـ/—/٧١١م) ونشأت فيها أفكار علمية، ورحل إليها علماء عرب ومسلمون وغيرهم.

٢. جزيرة صقلية التي فتحت عام (٢١٢هـ/—/٨٢٧م) من العرب والمسلمين، إذ أسسوا فيها مراكز علمية متعددة انتشرت فيما بعد أواسط أوروبا.

٣. الحروب الصليبية التي أسهمت في نقل ثقافة العرب إلى أوروبا وكان أولها سنة (٤٩٠-٤٩٣هـ=١٠٩٦-١٠٩٩م) واستمرت فترة طويلة من الزمن.

ومن المعلوم أن الأوبئة كانت موجودة في المجتمعات القديمة، لاسيما في بلاد الهند والصين ومصر ومنتوعة امتدت لقرون عدة أكتشفها قسماً منها علماء من العرب المسلمين والأعاجم على حدٍ سواء، المشهور منها: الطاعون، الجدري، الانفلونزا، الحصبة، التيفوس، والملاريا والجذام والكوليرا، وهذه جميعاً كانت موجودة قبل الإسلام^(١).

وصف العالم الرازي^(٢) (ت: ٣٢٠هـ/—/٩٣٢م) قسماً منها وعالج الكثير من مرضاه ممن أصيبوا بالبواباء في عصره، الذي اهتم بـ: الحجر الصحي.

(١) يُنظر: واتس، شلدون، كتاب الأوبئة والتاريخ: المرض والقوة والامبريالية، ترجمة وتقديم:

أحمد محمود عبد الجواد، (دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠١٠م)، ٢٣.

(٢) أبو بكر محمد بن عبد الله بن زكريا، ولد في الري، وتعلم الطب على أحد شيوخها وعمل في البيمارستان، ثم ذهب إلى بغداد عام (٢٩٢هـ/—/٩٠٤م)، كما درس علوم الفلسفة وغيرها، للمزيد؛ يُنظر: ابن جُلجل أبو داود سليمان بن حسان الأندلسي (ت:

قال أحد الباحثين بما نصه: " وفي مستشفاه التي أسسها على مبادئ التجمع قسم مرضاه إلى مجموعتين لتجنب انتشار المرض، وقد مكن ذلك من إنشاء الحجر الصحي الذي اعتنقه الغرب بشغف"^(١).

نقل ابن حجر عن الوباء أيضاً ما قاله الكلاباذي بما نصه^(٢): " يحتتمل أن يكون الطاعون على قسمين قسم يحصل من غلبة بعض الأخلاط من دم أو صفراء محترقة أو غير ذلك من غير سبب يكون من الجن، وقسم آخر يكون من وخز الجن كما تقع الجراحات من القروح التي تخرج في البدن من غلبة بعض الأخلاط، وإن لم يكن هناك طعن وتقع الجراحات أيضاً من طعن الأنس. ومما يؤيد أن الطاعون إنما يكون من طعن الجن وقوعه غالباً في أعدل الفصول، وفي أصح البلاد هواء وأطيبها ماء، ولأنه لو كان بسبب فساد الهواء لدام في الأرض، لأن الهواء يفسد تارة ويصح تارة أخرى، وهذا يذهب أحياناً ويحيى أحياناً على غير قياس ولا تجرية، فربما جاء سنة على سنة وربما أبطأ سنين عدة، وأنه لو كان كذلك لعم الناس والحيوان والموجود بالمشاهدة أنه يصيب الكثير ولا يصب من هم بجانبهم مما هو في مثل مزاجهم، ولو كان كذلك لعم جميع البدن، وهذا يختص بموضع من الجسد ولا يتجاوزه ولأن فساد الهواء يقتضي تغيير

٣٨٥هـ/٩٦٨م)، طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق: فؤاد سيد، (مطبعة المعهد العالي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٠٨م)، ٧٧-٨٠.

(١) جون هوبون، الجذور الشرقية للحضارة العربية، (دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٦م)، ٢١٢.

(٢) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ١٠/١٥١.

الأخلاق وكثرة الأسقام وهذا في الغالب يقتل بلا مرض ^(١)، وقيل أيضاً: " الموت الذريع، وعفونة الهواء ^(٢)."

يتضح مما تقدم أن الوباء مرض ينتشر بشكل مفاجئ وسريع ضمن رقعة جغرافية قد تكون واسعة على نطاق البشرية أو محددة بمكان معين وتتوقف عنده، إذ يؤثر على صحة الفرد والمجتمع فوق معدلاته المعتادة في المنطقة المعنية بالوباء، وإذا لم يتخذ الفرد الوقاية والعلاج فقد يكون مصيره الوفاة أو ترك آثار تبقى مدى الحياة.

(١) ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ١٠/١٥١.

(٢) العيني، عمدة القارئ شرح صحيح البخاري، ١٠/٢٥٠-٢٥١.

المبحث الثاني وباء كورونا في المصادر الحديثة

عانى وطننا العراق وعالمنا العربي المعاصر هذه الأيام والعالم أجمع لما سببه الوباء اللعين ونقصد كورونا أو كوفيد - ١٩ المستجد موضوع الدراسة بعد أن لحقت أضراره دول العالم بأسرها تقريباً وفي النواحي كافة، وألحق الضرر بالإنسان رجالاً ونساءً، لاسيما الفقراء وكبار السن.

وتضررت الدول والمجتمعات عموماً، والمجتمع العربي والإسلامي خصوصاً بركود اقتصادي لاحت أفقه على الجميع، وأغلقت دور العبادة بما فيها المسجد الحرام في مكة المكرمة والمسجد النبوي في المدينة المنورة، الأمر الذي يحتاج إلى وقفة حقيقية بدراسة هذا الفيروس وأسباب انتشاره ومعرفة كونه من الطبيعة ذاتها بأمر الله تبارك وتعالى (وحاشاه) أن يظلم عباده بعد ما انتشر الفساد، وكثرت وعظمت الذنوب التي ترتكب في كل مكان وزمان من هذا العالم الواسع من دون خشية الله تبارك وتعالى، أم أنه كان مصطنعاً بمختبرات بشرية لم يفصح عنها لاسباب لامجال الخوض فيها كونها تكهنات غير مستندة على أدلة ووثائق، وهذا من واجب المؤرخين التأكد من صحتها أو عدمها.

وعملنا على ربط ما تقدم بسبب هذا الوباء وبما عانته البشرية قبل قرون خلت، لاسيما في العالم العربي والإسلامي وما تعرضت له من كوارث إنسانية راح ضحيتها مئات الآلاف من الأنفس، فضلاً عن نفوق الحيوانات، وتلف الكثير من المحاصيل الزراعية.

إذ ما زال الكثير من الناس في هذا العالم يموتون كل سنة، بسبب الأوبئة والأمراض المعدية التي يمكن الوقاية منها أو علاجها إذا تضافرت

الجهود الصادقة بين أفراد المجتمع من جهة، ومؤسسات الدولة الحاكمة في تلك البلدان من جهة أخرى، والحد من استغلال الإنسان بتعاطيه أدوية يمكن الاستغناء عنها في ظروف أخرى.

ومن الجدير بالذكر فإن هناك الكثير من الأوبئة قد انتشرت بسرعة في قرون وعقود عدة قبل ظهور وباء كورونا (كوفيد-١٩) المستجد، مثل: الكوليرا والحصبة والحمى الصفراء، فضلاً عن الملاريا المستوطنة في بلدان كثيرة قد تزيد على المئة بلداً تقريباً، على حين تعيش ملايين البشر والدواب مع فيروسات، منها تسبب نقص المناعة البشرية، كالأيدز والسل الرئوي القاتلة، وهناك أقل منها ك: الأمراض النزفية الفيروسية، مثل: الإيبولا الذي ظهر في جمهورية الكونغو الديمقراطية، وفيروس الماربورغ في القردة، ومنها الشمبانزي، وخفافيش الفاكهة في أفريقيا، وعلى الرغم من قلتها فهي مميتة، لأن العلامات والأعراض المبكرة لها تشبه تلك المصاحبة للأمراض الأخرى، مثل التيفوئيد والملاريا وغيرها^(١)، ومن المحتمل تطورها بما قد تلحق الضرر الجسيم بالإنسان بوجه عام.

أما كورونا (كوفيد-١٩) المستجد فهو ينشأ من فيروس اكتشف مؤخراً - كما أسلفنا - وهو مرض يستمر أيام عدة، واحتمال أسابيع عند ضعيفي المناعة، وإذا عجز الطب عن العلاج فقد يلحق الضرر بالشخص، لاسيما ضعيف المناعة ومن المحتمل وفاته. وتتسبب هذه الأوبئة جميعها بوفيات كثيرة لأسباب شتى منها، قلة العلاجات المكتشفة، وقلة الكوادر المعالجة،

(١) يُنظر: [https://www.who.int/ar/news-room/fact-sheets/detail/ebola-virus-](https://www.who.int/ar/news-room/fact-sheets/detail/ebola-virus-disease)

[disease](https://www.who.int/ar/news-room/fact-sheets/detail/ebola-virus-disease) تاريخ الدخول في الموقع: ٢٠٢٠/٦/١٥ م.

وعدم اهتمام الدول بشعوبها، لأسباب اقتصادية أو بسبب طبيعة المجتمع أنفسهم لعدم التزامهم بالتوجيهات المطلوبة (١).

وهناك من يرى: أن الإشعاع الكهرومغناطيسي أو الموجات الكهرومغناطيسية هي أحد أشكال الطاقة الذي تصدره وتمتصه جسيمات مشحونة، وتظهر سلوك مشابه للموجات في سفرها خلال الفضاء الواسع والمترامي الأطراف (٢)، ومنها الناتجة عن تفعيل الهواتف المحمولة، إذ يمكنها أن تخترق الجدار، بدليل أنها تعبر على الجهاز النقال، لذلك فهو مستقبل ومؤثر في نفس الوقت على الإنسان (٣).

ومن المعلوم أن التكنولوجيا في (القرن ١٥هـ/ ٢١م) تتطور بشكل هائل جداً وسريع، ومنها ما فكر به العلماء الغربيون الآن بوضع شريحة المخ وزرعها في رأس الإنسان لربطها على الجهاز العصبي بعد ضغطها بمعلومات من الكمبيوتر المتخصص، وتسمى شريحة (ايلون ماسك/ Elon Musk)، وتُعد مهمة لقراءة وتحفيز نشاط الدماغ لدى البشر عموماً، ولم توضح الجهة المنتجة المزيد من الفائدة أو الأضرار مستقبلاً، لأن جميعها قيد الدراسة والبحث العلمي (٤).

(١) يُنظر: <https://www.msf.org/ar>

(٢) <https://www.google.com/search?q> تاريخ الدخول في الموقع:

٢٦/٧/٢٠٢٠م.

(٣) مشاهدة المؤلف لمقابلة مع مجموعة أطباء على قناة تلفزيونية مصرية الساعة ١٠ ليلاً

يوم الخميس: ٣/١٠/٢٠٢٠م. للمزيد ينظر: (كتيب الحماية من الإشعاعات - هيئة

الاتصالات وتقنية المعلومات). <https://www.citc.gov.sa>

(٤) <https://www.idat.com/elon-musk-neuralink-brain-machine-Interface>

تاريخ الدخول في الموقع: ٥/١٠/٢٠٢٠م.

وذكر أيضاً: أن معلومات تشير إلى أن شبكات الجيل الخامس مسؤولة عن انتشار فيروس كورونا أو (كوفيد-١٩) المستجد^(١). قال أحد الباحثين في موقع على الإنترنت بما نصه: "ووفقاً لموقع أمريكي ساينس، قامت الشركة بتجريب الفكرة على ٣٠٠٠ من حيوانات المختبر، وأتاحت ما توصلت له من نتائج للجميع عبر نشر ورقة بحث على شبكة الإنترنت"^(٢).

وطلت علينا نظرية جديدة من بريطانيا تربط انتشار فيروس كورونا المستجد بأبراج شبكات الهواتف من الجيل الخامس (5G) ، إذ قالوا: زعم مروجو نظريات المؤامرة أن الجيل الخامس الذي يعتمد على إشارات تنقلها موجات كهرومغناطيسية هي المسؤولة بشكل من الأشكال عن انتشار الفيروس. وقال خبراء أيضاً: "إنه لا توجد أي أدلة علمية تربط الجائحة العالمية بـ: 5G، ولا توجد أي آثار صحية سلبية فورية لشبكات الجيل الخامس"^(٣).

على حين اليوم نحن أمام جدلية شبكة الجيل الخامس التي تبلغ سرعتها إلى (١٠) غيغابايت في الثانية أي أسرع بمئة مرة من الجيل الرابع، مما سيؤدي إلى ثورة فعلية في عالم التقنيات والمعلوماتية. وبعدها علمنا أنها لم تُفعل في العراق إلى الآن وكورونا (كوفيد-١٩) المستجد ينتشر في كل محافظات العراق البالغ عددها (١٨) محافظة.

(١) <https://www.dw.com/ar/%D8%B2%D8%B1%D8%B9> - تاريخ الدخول في

الموقع: ٢٢/٤/٢٠٢٠م.

(٢) <https://www.dw.com/ar/%D8%B2%D8%B1%D8%B9> - تاريخ الدخول

في الموقع ٢٢/٤/٢٠٢٠م.

(٣) <https://www.alhurra.com/arabic-and-international/2020/04/06>

تاريخ الدخول في الموقع: ١٥/٥/٢٠٢٠م.

إلا أن هناك بعض الخبراء وعلى الرغم من تلك الفائدة العلمية يرون أن الجيل الخامس 5G من المحتمل أن يشكل خطراً كبيراً على البشرية ككل، بسبب الموجات الكهرومغناطيسية المنبثقة من أبراجه، وهذا ما يحتاج إلى دراسات وأبحاث علمية لمعالجة هذه التطور العلمي إن صح قولهم (١).

وأخيراً خرجت الهيئة الدولية للوقاية من الإشعاع وهي منظمة غير ربحية تتخذ من ألمانيا مقراً لها لتقند المزاعم المتعلقة بهذا الأمر قائلة: إن كافة الادعاءات المتعلقة بإمكانية تسبب التكنولوجيا الجديدة في الأمراض أو تشكيلها لأي خطر محتمل على صحة الإنسان غير صحيحة، بحسب ما ذكرته صحيفة Metro البريطانية (٢).

وعلى ما يبدو فهناك شائعات ومؤامرات ونظريات تظهر خلال الأزمات، لاسيما عندما يعجز العالم عن تفسير وقوع حدث، مثل ما يجري الآن بسبب هذه الجائحة اللعينة.

اعلان منظمة الصحة العالمية عن الوباء:

أعلنت منظمة الصحة العالمية في مؤتمر صحفي عقد في جنيف يوم الأربعاء ١١ آذار ٢٠٢٠م أن فيروس كورونا (كوفيد-١٩) ما زال ينتشر في جميع أنحاء بلدان العالم، إذ أصبح "وباءً عالمياً"، ومن الممكن السيطرة عليه لاحقاً (٣).

(١) <https://teknotel.info/٢٠٢٠/٠٥/٢٩/covid١٩-infection->

[transmitted- over -networks](https://www.transmitted-over-networks.com/) / تاريخ الدخول في الموقع: ٢٠٢٠/٦/١٥ م.

(٢) <https://www.alarabiya.net/ar/aswaq/economy/٢٠٢٠/٠٣/١٧/> تاريخ

الدخول في الموقع: ٢٠٢٠/٦/١٥ م.

(٣) <https://www.dw.com/ar/>

وقال المدير العام لمنظمة الصحة العالمية تيدروس أدهانوم جيبريسوس (١)، أنه قلق بشأن مستويات تفشي الفيروس المزعج، ومستوى شدته، ومستويات انعدام الحركة في العالم، إذ قال بما نصه: " يمكن تصنيف مرض " كوفيد- ١٩ " على أنه وباء"، وقال في نفس اليوم ١١ آذار/مارس ٢٠٢٠م: "خلصنا إلى تقييم مفاده أن عدوى (كوفيد-١٩) ينطبق عليها وصف الجائحة" (٢).

وبحسب قرار المنظمة فقد تضاعفت الإصابات بهذا الفيروس بسبب نقص المناعة البشرية، لاسيما خارج الصين الذي أعلن عن ظهوره فيها بادئ الأمر، لاسيما من كتابة الدراسة في الأسابيع الأولى الماضية من تفشي الوباء، ولم يتوقف الأمر؛ بل ازداد وتضاعف في العديد من البلدان الذين التبس عليهم الوباء مع أمراض أخرى بحدود ثلاث مرات تقريباً ويزداد من دون الوقوف على العلاج المقنع.

والدليل على ذلك هو ارتفاع عدد حالات الإصابات بفيروس كورونا في جميع أنحاء العالم، وذكر أحد الموقع الإلكتروني بما نصه: "تسجل

(١) الدكتور (تيدروس أدهانوم جيبريسوس أو غيريسوس) من مواليد مدينة أسمرة بإريتريا. ولد في (٣) مارس عام (١٣٨٤هـ/١٩٦٥م)، وحاصل على شهادة الدكتوراه في الفلسفة بمجال صحة المجتمع من جامعة نوتنغهام، وعلى شهادة الماجستير في علوم المناعة من الأمراض المعدية من جامعة لندن. ودبلوماسي يتمتع بخبرة شخصية مباشرة فيما يخص البحوث والعمليات والقيادة في ميدان الاستجابة للأوبئة أثناء الطوارئ، تقلد منصبه في (١) تموز/ يوليو ٢٠١٧م. للمزيد يُنظر:

<https://www.who.int/dg/tedros/biography/ar/> تاريخ الدخول في الموقع: ٢٠٢٠/٨/٣م.

(٢) <https://www.who.int/ar/dg/speeches/detail/who-director-general-s-opening-remarks-at-the-media-briefing-on-covid-19---11-march-2020> . تاريخ الدخول في الموقع: ٢٠٢٠/٨/٣م.

حصيلة ضحايا فيروس حول العالم ارتفاعاً مطرداً، حيث حصد تفشي الوباء حتى الآن نحو ٨٧٥ ألف شخص، فيما بلغ عدد المصابين أكثر من ٢٦,٦ ملايين^(١).

وشدد المدير العام لمنظمة الصحة العالمية على أن " وصف الوضع بأنه جائحة لا يغير تقييم التهديد الذي يشكله فيروس كورونا أو (كوفيد-١٩) المستجد، وهذا لا يغير ما تفعله منظمة الصحة العالمية ولا يغير ما يتعين على البلدان القيام به "^(٢).

جاءت تسمية فيروس (كوفيد-١٩)(COVID-١٩) من مختصر (Coronavirus Disease ٢٠١٩) أو كما هو شائع على ألسن عامة الناس كورونا هو وباء وجائحة، وهو مرض معدٍ من السلالات الواسعة المتنوعة التي قد تسبب الأذى والوفاة للحيوان والإنسان على حدٍ سواء، إذ تم اكتشافه ك: واحد من سلالة فيروسات كورونا السالفة^(٣).
وفيروس كورونا { currencies } koruna (n.)^(٤) الذي نعيشه في عالم اليوم هو فصيلة كبيرة من الفيروسات التي قد تسبب المرض للإنسان والحيوان.

(١) <https://arabic.rt.com/world/١١٥١١٢٦->

[%D٨%AD%D٨%.A٧%.D٩%.٨٤%.D٨%.A٧%.D٨%.AA-](#)
الدخول في الموقع: ٢٠٢٠/٩/١٥ م.

(٢) منظمة الصحة العالمية، المكتب الإقليمي لشرق المتوسط. تم استرجاع المحتوى في ٢٠٢٠/٣/١ وتجميعه من الموقع الإلكتروني الآتي:

<http://www.emro.who.int/ar/health-topics/corona->

[virus/information-resources.html](#) تاريخ الدخول في الموقع: ٢٠٢٠/٨/٣ م.

(٣) <https://www.who.int/ar/emergencies/diseases/novel->

[coronavirus- ٢٠١٩/advice-for-public](#)

(٤) للمزيد من التفاصيل عن فيروس كورونا، يُنظر:

ومن المعروف أن عدداً من فيروسات كورونا تسبب لدى البشر حالات عدوى الجهاز التنفسي التي تتراوح حدتها من نزلات البرد الشائعة إلى الأمراض الأشد، وخاصة مثل متلازمة الشرق الأوسط التنفسية (ميرس MERS)، والمتلازمة التنفسية الحادة الوخيمة (سارس SARS).

ذكرت الكثير من القنوات الإعلامية المرئية والمسموعة أن هذا الفيروس الجديد وما حمله من مرض عُرف قبل بدء تفشيه في مدينة ووهان الصينية في كانون الأول/ ديسمبر سنة ٢٠١٩م، وقد تحوّل في سنة ٢٠٢٠م إلى جائحة أثرت على كل بلدان العالم المعاصر اجتماعياً واقتصادياً ونفسياً.

إذ تظهر الأعراض من هذا المرض وهي الأكثر شيوعاً، لاسيما في الحمى والإرهاق، فضلاً عن السعال الجاف على حين قد تبدو على المريض أعراض أخرى هي الأقل شيوعاً، ولكن قد يُصاب بها بعض من كبار السن المرضى كظهور الآلام والأوجاع، أو احتقان الأنف، والصداع، أو التهاب الملتحمة وألم الحلق، وكثيراً ما يصاحب المريض الإسهال ولم يتوقف على ذلك؛ بل يشعر بفقدان حاسة الشم أو الذوق أو كلاهما، وقسم من المرضى تظهر عليهم أعراض غير ذلك مثل الطفح الجلدي أو يحصل تغير لون أصابع اليدين أو القدمين لفترة وجيزة.

وكثيراً ما تكون هذه الأعراض بمجملها خفيفة، وتبدأ بشكل تدريجي، وقد يصاب الكثير من الناس بالعدوى دون أن يشعروا إلا بأعراض خفيفة جداً، لاسيما الأصحاء، أمّا كبار السن الذين يعانون من أمراض مزمنة ك: مرض السكري، وارتفاع ضغط الدم وأمراض القلب وغيرها من الأمراض المزمنة، فمن الصعوبة جداً شفائهم بسهولة، فضلاً عن أن قسم كثير ممن يعانون من ضعف المناعة التي تسبب صعوبة التنفس بسبب الأمراض-سالفة

الذكر-أولاً، والالتهابات الناشئة بسبب الفيروس ثانياً، الأمر الذي يتطلب التماس العناية الطبية السريعة فوراً، وإذا أخذ المريض العلاج والنصائح الطبية، فقد يمكن أن يتعافى بأيام معدودات.

أما إذا أصيبوا بالحمى والسعال المصحوب بصعوبة التنفس أو ضيق النفس وألم أو ضغط في الصدر فهذه بعض أعراض الوباء، فضلاً عن فقدان القدرة على النطق أو احتمال قلة الحركة ويهملوا لأسباب شتى، واستمر ذلك من دون علاج، فقد يسبب الوفاة للمصابين منهم في الأعم الأغلب.

قال أحد الحديثين عن هذا الوباء بما نصه: " ذلك بعض المشهد الاجتماعي السياسي الذي كشفه كورونا، وهو مشهد يصور استجابة مجتمع صغير لأزمة عالمية كبرى، وقطاع منه يخلط المرض بشيء من التسييس وقد لا بأس به من التجهيل" (١).

وقيل أيضاً:

" الأزمة أظهرت ضعف أو حتى عدم وجود تسانُد بين الأنظمة الاجتماعية كافة فانكشف المجتمع على الأسوأ، فقد تزامن ضعف المؤسسات ذلك مع ضعف إعلامي، ليس في إشاعة المعلومة الصحيحة؛ بل أيضاً في تنفيذ المعلومات الخطأ التي كانت أضرارها فادحة" (٢).

ونزعم على أساس ما يطرح في عالمنا الواسع من آراء واحتمالات، فإن صحت قسم من هذه الأقوال المتداولة إعلامياً، ولم يكن هناك إعلان رسمي

(١) <https://www.alarabiya.net/ar/politics> تاريخ الدخول في الموقع:

٢٠٢٠/٤/١٥ م.

(٢) <https://www.alarabiya.net/ar/politics/2020/03/08> تاريخ الدخول في

الموقع: ٢٠٢٠/٤/١٥ م.

بتحميل المسؤولية لدولة ما أو جهة بعينها سواء من الأمم المتحدة أو الدول التي تحمل شعارات حقوق الإنسان وتعمل بها عالمياً أن هذا الوباء هو من صنع الإنسان لتدمير أخيه الإنسان، فما هو إلا استعمار جديد يمكن من خلاله معرفة الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والعسكرية، فضلاً عن نشر الثقافة الفكرية وتقنياتها الواسعة التي يصعب على الدول تأمينها، بسبب فقرها العلمي وبالتالي الهيمنة على بلدان وشعوب لأسباب عدة لا مجال الخوض فيها.

وإن توثق ذلك الفعل السلبي على البشرية جميعاً بقرارات رسمية عالمية ودولية، وهنا لابد من ضرورة تسليط الضوء على أن الامبريالية في العالم وما لها من علاقة بانتشار الأمراض الوبائية في مناطق لم يسبق وجود الأوبئة فيها، وهي في نفس الوقت تقاوم هذه الأمراض الوبائية إعلامياً وتنسق لاختراق الدول بوجه عام، على حين تعمل لحماية مواطنيها من دون النظر إلى وجود الإنسانية في العالم أجمع^(١).

إذن يمكننا القول إن الطب يمكن عدّه وسيلة من الوسائل التي يمكن من خلالها نقل الأفكار وتطبيقها على الشعوب المغلوبة بـ: حكام أو مؤسسات مرتبطة بتلك الدول الكبرى^(٢). لذلك نجد أن ما تقوم به هذه الدول من تقديم العون وغيره، قد يحتمل وراءه هدف الوصول إلى أماكن يصعب الوصول إليها بوسائل أخرى^(٣).

(١) للمزيد من التفاصيل يُنظر: أرنولد، دافيد، الطب الامبريالي والمجتمعات المحلية، ترجمة: مصطفى ابراهيم فهمي، كتاب عالم المعرفة، (المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت، العدد ٢٣٦، ١٩٩٨م)، ٧.

(٢) أرنولد، الطب الامبريالي والمجتمعات المحلية، ٧.

(٣) نفس المرجع، ٨.

ويبدو أن هذا هو ما تهدف إليه من إنشاء مؤسسات طبية غايتها السيطرة بين الحاكمين والشعوب، وتعلن أنها تحارب الأمراض الوبائية لتسهيل تلك الغايات، وهذا ما لا نتمناه إن كانوا يسعون للشر خلاف ما أمرهم الله تعالى به.

ونرجو من الله تعالى أن يكون ذلك ليس بغاية ولا هدف من القوى الكبرى وغيرها في قتل النفس المحترمة التي حرم الله قتلها إلا بالحق، فضلاً عن اعتراض كل محبي الإنسانية والسلام والأمن الدوليين في عصرنا الحاضر لمثل هذه الأعمال غير الأخلاقية إن صحت الآراء المنشورة في مواقع التواصل الاجتماعي.

انتشار وباء كورونا في العراق (نموذجاً):

انتشر وباء كورونا (كوفيد-١٩) المعروف عراقياً باسم -كورونا- في السنة (١٤٤١هـ/٢٠٢٠م) في بلدان العالم كافة تقريباً، ومنها بلدنا العراق، إذ ابتداءً من (٢٤/٢/٢٠٢٠م) في محافظة النجف الأشرف، عندما فحصت عيّنة من طالب دين قد وفد للعراق من جمهورية إيران الإسلامية، ويحمل جنسية بلاده العراق، وكانت النتيجة إيجابية أي أنه مصاب ويحمل الوباء، وعلى ما يبدو أن هذا الوباء مرتبط بالمتلازمة التنفسية الحادة الشديدة النوع (SARS-CoV-٢)، ثم استمر البحث من الجهات ذات العلاقة، إذ تم الكشف عن حالات أخرى تحمل نفس الوباء منها في شمال العراق البعيد عن محافظة النجف الأشرف أكثر من ٤٠٠ كيلو متر تقريباً.

ذكرت التقارير المنشورة في المواقع الإلكترونية، لاسيما موقع منظمة الصحة العالمية أن مجموع الحالات المؤكدة في العراق كانت بحدود (١٢٤٦٠٩) حالة من بينها حالات وفاة بلغت (٤٧٤١) لغاية ٣١ تموز

٢٠٢٠م، وهو تاريخ المباشرة بكتابة هذه الدراسة بعد جمع المعلومات،
وزدادت الإصابات والوفيات خلال الأشهر اللاحقة من نفس السنة.

عمل حكومة العراق لمواجهة الوباء:

بعد تسجيل الإصابة الأولى لوباء كورونا أو (كوفيد-١٩) المستجد في
محافظة النجف - كما أسلفنا، أعلنت المديرية العامة للتربية والتعليم في
المحافظة أعلاه عن تعليق ساعات العمل الرسمية في جميع مدارس
المحافظة حتى إشعار آخر.

ومن ثم تم تعليق ساعات العمل الرسمية في جميع مدارس المحافظات
العراقية، وأوقفت المؤسسات الرسمية وشبه الرسمية والرحلات الجوية
أعمالها في العاصمة بغداد والمحافظات كافة، لاسيما الشمالية كونها تمثل
مناطق سياحية وهي: أربيل والسليمانية ودهوك.

وفي ٢٦ فبراير قررت خلية الأزمة المشكّلة بالأمر الديواني ذي الرقم
(٥٥) لسنة ٢٠٢٠م إغلاق المسارح والنوادي والمقاهي والمننديات الليلية
جميعاً، ولمدة ١٠ أيام وتعليق ساعات العمل في المؤسسات التعليمية
والجامعات لمدة (١٠) أيام أيضاً.

وفي اليوم الخامس من مارس/ آذار قررت العتبة الحسينية بإلغاء خطبة
وصلاة يوم الجمعة في محافظة كربلاء رسمياً^(١)، وذلك بسبب تفشي وباء
كورونا أو (كوفيد-١٩) المستجد.

(١) <https://www.alhurra.com/iraq/٢٠٢٠/٠٣/٠٥/%D٨%A٥%D٩%٨٤/>

تاريخ الدخول في الموقع: ٢٠٢٠/٤/٣م.

كما اتخذت قرارات بمنع التنقل بين المحافظات باستثناء الحالات الطارئة والماسة أو لتسهيل عملية التبادل التجاري، فضلاً عن السماح بتنقلات الموظفين على وفق الحاجة الماسة وللفترة من ١٥ آذار إلى ٢٥ آذار. وتطورت هذه الأحداث بتسارع، إذ قررت خلية الأزمة العراقية فرض حظر تجوال على الأشخاص والمركبات في بغداد اعتباراً من مساء ١٧ آذار/ مارس إلى مساء ٢٤ منه، ووقف كل أنواع الدوام الرسمي في جميع الوزارات والمؤسسات الحكومية وغير الحكومية، باستثناء دوائر الأمن والصحة والخدمات الضرورية، وسمح لرجال الإعلام بالتنقل لتغطية الظروف الاستثنائية طوال فترة الحظر؛ بغية المعالجة السريعة. وسمح للمحافظين بفرض حظر التجوال في محافظاتهم واستمراره لأيام عدة، ثم أصبح حظر جزئي للتخفيف عن كاهل المجتمع، على أن يبدأ الحظر من الساعة (٧) مساءً حتى (٦) صباحاً، وعودة العمل للملاكات البشرية في مؤسسات ودوائر الدولة بنسبة لا تقل عن ٢٥ إلى ٥٠٪ فقط^(١).

توافر المواد الأولية للحد من الوباء:

بعد إعلان الدولة العراقية عن وجود حالات إصابة مؤكدة بـ: وباء كورونا (كوفيد - ١٩) المستجد ارتفعت الأسعار، ومنها رزمة الكمادات الطبية، إذ كانت بسعر ألفي دينار عراقي أصبحت بأكثر من اثنا عشر ألف دينار، أي من دولار ونصف إلى (١٠) دولار تقريباً، بينما ارتفعت سعر الكمامة (N٩٥) من (١,٥٠٠) دينار للواحدة إلى حدود (١٠,٠٠٠) دينار تقريباً، فضلاً عن نفاذ الكثير من الكميات الموجودة سابقاً من الأسواق

(١) <https://www.aa.com.tr/ar/%D8%A7%D9%84%D8%AF%D9%8>

تاريخ الدخول في الموقع: ٢٠٢٠/٥/١٨ م.

والمخازن الطبية، وعانى الناس من قلة المعروض، وارتفاع الطلب للحاجة إليها، وارتفعت أسعار القفازات الكفوف الطبية من (٥,٠٠٠) دينار إلى أكثر من (٧,٥٠٠) دينار.

أما المعقمات فقد ارتفعت أسعارها هي الأخرى، وشحت تقريباً وأصبحت قنينة أو عبوة كحول طبي على سبيل المثال: إيثانول (Ethanol)، و إيزوبروبانول (isopropanol) من (٢٠٠٠) ألفي دينار عراقي إلى أكثر من (٤٠٠٠) أربعة آلاف دينار عراقي أي بما يساوي أكثر من (٣) دولار بعدما كانت بحدود أكثر من دولار واحد، وارتفعت أسعار قناني غاز الأوكسجين الذي يستنشقه المصاب من (٨٠٠٠٠) ثمانين ألف دينار إلى أكثر من (١٥٠٠٠٠) مئة وخمسين ألف دينار، وفي أماكن شحت. كما ارتفع منظم القنينة الواحدة من (١٥٠٠٠) خمسة عشر ألف دينار إلى أكثر من (٥٥٠٠٠) من خمس وخمسين ألف دينار عراقي، إذ تم الاستعانة بالدول المجاورة لتعزيز العجز الموجود لحاجة المرضى للشفاء من هذا الوباء الخطير.

أما جهاز فحص الأوكسجين فقد كان بسعر (١٠ دولار)، فأصبح بين ليلةً وضحاها بـ: (١٠٠) دولار، أي عشرة أضعاف سعره وغيرها الكثير من المواد التي لا يسع المجال ذكرها^(١).

هذه المواقف بحد ذاتها خلاف ما جاء به التراث الإسلامي، إذ أنه يرفض الاحتكار في هذه الظروف الحرجة، التي نهى عنها رسول الله (ﷺ) وغلظ من العقوبات في الدنيا، لاسيما بإخراج المال المحتكر وبيعه جبراً،

(١) متابعة المؤلف للنشرات المرئية خلال معاشته أزمة جائحة كورونا.

وعقوبته في الآخرة كبيرة عند الله تعالى، لقول النبي محمد (ﷺ): " لا يَحْتَكِرُ إِلَّا خَاطِيٌّ"^(١)، وقوله (ﷺ): " الْجَالِبُ مَرْزُوقٌ، وَالْمُحْتَكِرُ مَلْعُونٌ"^(٢). تلك هي مبادئ الإسلام ومن أغفل عنها قصداً، فلا يلومن إلا نفسه يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

نستنتج مما تقدم أن الوباء قد انتشر بشكل مفاجئ وأذهل العالم من دون معرفة مسبقة بسبب ما قام به الإعلام المكثف من بث الخوف والرعب في شعوب الأرض كلها، بدليل تعطيل الدوائر الرسمية وغير الرسمية وإبقاء طلبة المدارس والجامعات في منازلهم، ومنع التجوال من دون سابق إنذار، وهو أمر لم يعهدوه من قبل، وبقي سببه مستتراً أهو أمر الله تبارك وتعالى على عباده بسبب فساد الإنسان في الأرض، أم بفعل فاعل والله أعلم؟

الجيش الأبيض:

الجيش الأبيض، هؤلاء النخبة الطبية رجالاً ونساءً أبطال المعركة في مواجهة مستمرة مع وباء كورونا (كوفيد-١٩) المستجد، إذ أنه وباء العصر، وهم لا بد أن يكونوا في الصفوف الأمامية بالواجهة، إذ ضحى بحياتهم المئات من الأطباء والممرضين والمسعفين والموظفين الإداريين والخدميين وغيرهم من العاملين في حقل العلاج الطبي والإداري.

(١) الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله (ت: ١٢٥٠هـ/١٨٣٤م)، نيل الأوطار شرح منتهى الأخبار من أحاديث سيد الأخيار، تحقيق: مصطفى البابي الحلبي، (د. ط)، القاهرة، ١٣٩٧هـ/١٩٧٣م)، ٣٣٥/٥.

(٢) الزيلعي، جمال الدين عبد الله بن يوسف (ت: ٧٦٢هـ/١٣٦٠م)، نصب الزاوية في تخريج أحاديث الهداية، تحقيق: أيمن صالح شعبان، (مطابع الوفاء، المنصورة، مصر، ١٩٩٥م)، ١٥٩/٦.

إن هذا المصطلح ظهر مع جائحة كورونا، نسبة لما يرتدوه العاملین، لاسیما المعاطف الطبية البیضاء فی المستشفيات الرسمية وغير الرسمية، إذ كان فی الماضي لونه أسود، كما ظهر فی إحدى لوحات التشريح لتوماس إیکنز رسام المدرسة الواقعية فی عام (١٢٩٢هـ/١٨٧٥م) قبل استبداله باللون الأبيض، لأن اللون الأسود قد یعبر عن الحزن والکآبة والحالة النفسية المتعبة.

لقد واجه رجال ونساء الجيش الأبيض مخاطر عدة بسبب فيروس كورونا، فضلاً عن نقص المعدات الخاصة بتأمين السلامة الشخصية التي لم تمنع الأطباء وباقي أفراد الأجهزة الطبية من ممارسة أعمالهم فی مواجهة مباشرة مع هذا الفيروس اللعين، إذ تمكنوا من ابتكار معدات أسهمت فی تأمين قسم من مستلزمات الوقاية الشخصية ومنها: أكياس النفايات، إذ ذكرت إحدى الطبيبات قائلةً: جعلتنا أزمة كورونا نرتدي أكياس النفايات على رؤوسنا حفاظاً على حياتنا من هذا الوباء.

كما شاهد الناس جميعاً وفي مختلف البلدان ما یحمله العاملون فی مجال مكافحة الوباء والحد من انتشاره الكثير من المعاناة على وجوه الأطباء والمرضین والمرضات والمسعفين جميعاً، إذ بدت علیهم بعض الكدمات أو البقع فی وجوههم، بسبب استخدام الكمادات والواقیات بمختلف المواد لساعات عدة، وهذه بطبيعتها معاناة حقيقية لما يتعرضون إليه فی عملهم فی ظل ظروف صعبة ومعقدة واستثنائية، ليس فی العراق فحسب بل فی شتى بقاع العالم المعاصر، والسبب ازدياد عدد المصابین والنقص الكبير فی توفير الأسرة، لاسیما فی ردهات العناية المركزة، فضلاً عن النقص الحاد فی توفير المضادات الحيوية، أو أجهزة التنفس الصناعي وغيرها للكثير من الحالات التي ترد المستشفيات والعيادات الطبية على

مدار اليوم الواحد منذ إعلان انتشار الوباء إلى يومنا هذا في إعداد هذه الدراسة.

لقد ضحى الكثير من أبطال الجيش الأبيض في عملهم الإنساني ولم يتمكن الكثير منهم زيارة عوائلهم لأكثر من يوم، بسبب ما يردهم من مصابين بحاجة إلى العناية الطبية، فحرموا من الاستراحة، وهذا بحد ذاته من المواقف الفخرية والمشرفة التي قدمها هؤلاء الأطباء في العالم أجمع بوجه عام والعرب بوجه خاص، لافتقار المواد الضرورية الطارئة في قسم من البلدان العربية، كما قضى نحبه قسم من هؤلاء بسبب الوباء دفاعاً عن البشرية وهذا من خُلُقهم ومبادئهم التي أقسموا عليها بعد تحصيلهم العلمي الجامعي وغيره، على حين قسم منهم فضلوا البقاء في بلدان المهجر، ولم يتركوها بمجرد ظهور وباء كورونا (كوفيد-١٩) المستجد، وهذا بحد ذاته يؤكد الدليل على وفائهم لما شعروا به من مسؤولية أمام الله تبارك وتعالى وأمام الناس جميعاً الذين عاشوا معهم مدة من الزمن.

نعم لقد توفي الكثير من الأطباء والعاملين في مجال الرعاية الصحية عند تفشي الوباء، لاسيما في العراق، إذ بلغ عددهم بالمئات بسبب التماس المباشر مع المصابين^(١) وليس هذا فحسب، بل هناك الكثير من المصابين توفاهم الله تعالى في دول عدة، ومن جنسيات وألوان مختلفة ومتنوعة^(٢).

(١) يُنظر: https://arabic.sputniknews.com/arab_world / تاريخ الدخول في

الموقع ١٣/٨/٢٠٢٠م.

(٢) للمزيد يُنظر مقالة: العبيدي، جبريل، الاثنين - ١٢ رمضان ١٤٤١ هـ - ٠٤ مايو

٢٠٢٠م/ رقم العدد [١٥١٣٣]

<https://aawsat.com/home/article/٢٢٦٥٨٩٦/%D٨%AF>

الفصل الثاني

ذكر الأبيئة من عصر النبوة حتى نهاية العصر الأموي

المبحث الأول

ذكر الوباء في القرآن الكريم والسنة النبوية

المبحث الثاني

الأبيئة في عصر النبوة

(٦-١١هـ - ٦٢٨-٦٣٢م)

المبحث الثالث

الأبيئة المتبسة في عصر الخلافة الراشدة

(١١-١١هـ - ٦٣٢-٦٦٠م)

المبحث الرابع

الأبيئة المتبسة في العصر الأموي

(٤١-١٣٢هـ - ٦٦١-٧٤٩م)

المبحث الأول

ذكر الوباء في القرآن الكريم والسنة النبوية

أولاً: ذكر الوباء في القرآن الكريم

اعتمدنا في هذه الدراسة على منهجية تمثلت بعرض نصوص الآيات القرآنية الكريمة وأحاديث الرسول (ﷺ)، فضلاً عن المرويات التاريخية في كتب السيرة والمغازي والتاريخ الإسلامي العام أو الحولي وغيرها في مجالات علمية عدة كـ: الأدب والبلدانيات من دون الخوض في تفسيراتها المُلْتَبَسَة فيما بينها بعض الأحيان.

وعلى ما يبدو فإن أغلب الدراسات الإسلامية لا تقدم تفاصيل كثيرة عن تلك الأوبئة، وهناك من لا يريد أن يظهر تلك الآلام الفتاكة عهد قسم من الخلفاء والسلاطين والأمراء الذين حكموا البلاد والعباد في قرون خلت، لأن قسم من المؤرخين يؤيد سياسة الحكام من جهة، أو يخاف من بطشهم من جهة أخرى، أو عدم وجود معلومات دقيقة يشار إليها بوضوح وأرقام، فبدت معلومات مختصرة ومقتضبة على الرغم من أن الأوبئة كانت تهلك حياة الآلاف من الناس بين ليلة وضحاها، إذ عجز الكثير من الأطباء عن معرفة السبب والعلاج الذي قد يصلح الحال حينذاك.

إنمازت علوم الطب العربي والإسلامي بالاعتماد على مصدري التشريع القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، فضلاً عما جاءت به أحاديث أهل البيت (عليهم السلام) والصحابة (رضي الله عنهم)، إذ أن الشريعة الإسلامية التي استمدت مفاهيمها من مصدري التشريع تضمنت توجيهات لبعض صنوف علاج البدن والتطبيب، لأن علم الطب نافع للبشرية في علاج الأمراض كلها، لاسيما التي يحتاجها الإنسان في حياته اليومية، سواء أكانت نصاً أم ظاهراً

أم إيماءً أم قياساً^(١)، إذ أن طبيعة الإنسان أنه يتعرض إلى أوبئة وأمراض واسقام مختلفة مُعدية وغير مُعدية، ومنها الجسمية والروحية والنفسية والعقلية وغيرها.

قال إخوان الصفا في هذا المجال بما نصه: " فهكذا ذكر وتبين في كتب الأنبياء المنزلة عليهم السلام الذين هم أطباء النفوس، وبيان ماهية النفس وبدء كون العالم وسبب كون عصيان النفوس التي هي مرضها وسقطها عن مراتبها الذي هو موتها الأول، وسبب صحتها وسبب تغيرها وفسادها وأنواع أمراضها. ووصف كيفية مداواة النفوس المريضة بالندم والتوبة وحسن الأخلاق والأفعال الحسنة، والاجتناب عما نهى الله تعالى ورسوله^(٢)."

الأمر الذي أدى إلى أن اشتهر الكثير من الأطباء العرب والمسلمين بالتشخيص الدقيق والعلاج النافع بعد اطلاعهم على القرآن الكريم و فهم السُنَّة النبوية المطهرة، من دون الركون إلى الجمود والتخلف، وهذا لا يعني عدم مسابرة التقدم العلمي، إذ أن " الإسلام دعا المسلم إلى أخذ الحكمة أنى وجدها^(٣)، وما ذكره الله في محكم كتابه الكريم وما جاء به الرسول محمد ﷺ) تُعد قواعد علمية وثوابت لا مناص منها قد تميّز بها المسلمون من دون غيرهم، فقد ذكر " المفسرون أن نصرانياً طبيباً للرشيد [١٧٠-١٩٣هـ] أنكر أن يكون في القرآن أو في حديث الرسول ﷺ) شيء من الطب،

(١) يُنظر: ابن مفلح المقدسي، أبو عبد الله شمس الدين عبد الله محمد بن محمد الصالحي

المقدسي (ت: ٧٦٣هـ/١٣٦١م)، الآداب الشرعية، تح: شعيب الأرنؤوط، وعمر حسن

القيّام، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م)، ١٢٦/٣.

(٢) إخوان الصفاء، رسائل إخوان الصفاء وخلاص الوفاء، الرسالة الثالثة عشرة، (دار صادر،

بيروت، ١٩٥٧م)، ج ٢/ ف ٤.

(٣) حسن، الحارث عبد الحميد، فلسفة البحث العلمي وأخلاقياته، (منشورات جامعة بغداد،

بغداد، ٢٠٠٥م)، ٤١.

فأجيب في قوله تعالى: ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾^(١)، وقول: المعدة بيت الداء والحمية رأس كل دواء، وأعط كل بدن ما عودته، فقال النصراني: ما ترك كتابكم ولا نبيكم لجالينوس طبا^(٢).
ومن البديهي تبيان ما ذكرته مواقع الكترونية عدة أن قسم من المجتمع الصيني وشعوب أخرى غير إسلامية فيها الكثير من الناس يأكلون مختلف لحوم الحيوانات، وقيل إنها قد تكون من الأسباب في نشر هذا الوباء.
وأشار أحد المواقع الإلكترونية لذلك قائلاً: "بعد انتشار جائحة كورونا في إقليم هوبي الصيني والحديث عن انتقالها من الخفافيش للبشر، سعت الحكومة الصينية في نهاية شهر فبراير/ شباط [٢٠٢٠م] إلى منع صيد ونقل وتجارة وتناول الحيوانات البرية، واستتنت من القرار حيوانات مثل اليمام والأرانب"^(٣).

وفي هذا السياق أشار أحد الباحثين إلى أن: "اللحوم التي يحل للإنسان الاستفاد منها، وهي لحوم الحيوانات التي تقتات على الأعشاب، أما الحيوانات التي تقتات على اللحوم فهي غالباً ما تأكل لحوم حيوانات ميتة أو موبوءة، وبذلك قد تكون سبباً في نقل أنواع الأمراض لدى تناول لحومها، بينما الحيوانات التي تأكل العشب يكون غذاؤها سليماً وخالياً من الأمراض

(١) سورة الأعراف، الآية: ٣١.

(٢) أبو حيان، أثير الدين محمد بن يوسف بن علي بن يوسف، الأندلسي الغرناطي النفري (ت: ٧٤٥هـ/ ١٣٤٤م)، تفسير البحر المحيط، تحقيق: عادل أحمد وعلي معوض، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م)، ٣٣٦/٥.

(٣) <https://www.dw.com/ar/%D8%AD%D8%A8-> تاريخ الدخول في الموقع:

٢٠٢٠/٥/١٨م.

"(١)، على حين هناك حيوانات محرمة لقوله تعالى: "وسماها الله عز وجل خبائث في قوله تعالى: ﴿ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ ﴾ (٢). وأخرى مكروهة لم يحرم الإسلام أكلها، بل الكثير من المسلمين لا يتناول لحومها أو التعامل معها إلا عند الاضطرار، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾ (٣).

وعلى ما يبدو فإن لحوم الحيوانات الميتة أو الدماء المسفوحة هي من الخبائث التي أشار لها الله سبحانه وتعالى في قوله: ﴿ قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ﴾ (٤).

إذ تنتقل قسم من الحيوانات أمراض عدة، ومنها على سبيل المثال: " الحويصلات الخنزيرية والحمى المتموجة والدودة الكبدية وداء وايل، وداء المكسيات اللحمية، والتهاب السحايا والمشيمة، وداء اليرقانات الشريطية الجواله، والدودة الوحيدة المسلحة، وداء المصورات الليفانية المقوسة وداء الشعريات الحلزونية، والديدان السوطية، وداء السل، وداء المبيضات الفطرية، والالتهابات المعوية بجراثيم السالمونيلا والشايجالا وغير ذلك

(١) الشيرازي، ناصر مكارم، الأمتل في تفسير كتاب الله المنزل، (مؤسسة الأعلمي، بيروت،

١٤٣٤هـ/٢٠١٣م)، ٣/٥٩٣.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٥.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٧٣.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٤٥.

"(١). قال تعالى: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾ (٢).

ونرى أن وباء كورونا (كوفيد-١٩) المستجد قد يكون ليس ببعيد عن هذه الآيات، سواء أكانت طفرة أم تهجين معلمي، أم لأسباب يعلمها الله تبارك وتعالى، إذ تجاوزت حدود السيطرة وأصاب غريزتها البيولوجية ولم تخضع لأحد.

فضلاً عما ذكر فإن مفتي جمهورية مصر العربية (الدكتور شوقي علام) يرى أن فيروس كورونا هو عقاب من الله تعالى، حسبما ذكر في كتابه الأحدث " فتاوى النوازل وباء كورونا " (٣). وقال جواباً على ذلك البلاء بما نصه: " الابتلاء من أقدار الله تعالى ورحمته، يحمل في طياته اللطف، ويسوق في مجرياته الخير، والمحن تأتي في طياتها المنح، والأزمة ستمر كما مرت قبلها أزمات، إلا أن الأمر يحتاج لمزيد من الصبر والثبات " (٤). وهذه الآراء على الرغم من التمسك بها إلا أن هناك من يراها بعيدة عن الواقع الذي نعيشه في عالم اليوم (٥).

(١) <https://www.eajaz.org/index.php/Scientific->

[/Miracles/Humanitie-and-legislative-governance](https://www.eajaz.org/index.php/Scientific-Miracles/Humanitie-and-legislative-governance) تاريخ الدخول في

الموقع: ٢٠٢٠/١٠/١٨ م.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٣٣.

(٣) [http://ijtihadnet.net/%D8%A8%D9%87%D8%AF%D9%81-](http://ijtihadnet.net/%D8%A8%D9%87%D8%AF%D9%81)

تاريخ الدخول في الموقع: ٢٠٢٠/١٢/١٣ م.

(٤) <https://www.shorouknews.com/news/view.aspx?cdate=٢٠٠٨>

تاريخ الدخول في الموقع: ٢٠٢٠/٩/١٨ م.

(٥) لقاءات بين المؤلف، وشخصيات متنوعة علمياً في العراق/ بغداد بتاريخ:

٢٠٢٠/٩/١٥ م.

وهنا يمكن ان نتوقف قليلاً لنرى أن أغلب المصادر التاريخية التي تحدثت عن وقوع أوبئة وأمراض في بلاد الشام والعراق وبلاد فارس وغيرها من المدن الإسلامية آنذاك، مما يدعوننا إلى وقفه حقيقية من المتخصصين لمعرفة أسباب انتشار تلك الأوبئة واستمرارها على الرغم من التطور العلمي وإلى الآن، ومنها ما يعيشه المجتمع المجاور وغير المجاور للعراق، ومنها: الصين وإيران وإيطاليا من تفشي وباء كورونا أكثر من غيرها من بلدان العالم بوجه عام، لاسيما بادئ الأمر عند الإعلان عن انتشار الوباء موضوع الدراسة.

يتضح أن هناك حقائق قد لا تتعدى بطبيعتها من إثنين، أمّا إنذار لأهل الأرض وسكانها بما فعلوه خلافاً لطبيعة المهمة التي خلقوا من أجلها، لقوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾^(١)، أو قد تكون ذو نفع فيما بعد لمعالجه ظواهر قد تؤذي الناس، فينزل الله تعالى أسباباً لتكون مردودها إيجابي على البشرية جميعاً هذا برأينا من جانب.

ومن جانب آخر فإن هناك من الأسباب:

أولها: هو سلوك الإنسان في حياته، لاسيما مأكله ومشربه بحال قد يكون غير صحي، ومنها إهمال بدنه وملبسه، فضلاً عن مكان إقامته، وما يحيط به من مجتمع قريب له في ذلك السلوك الخاطيء، وهذا سببه الجهل المتفشي في أغلب بلدان العالم الثالث، لاسيما الفقيرة منها بوجه عام.

وثانيهما: إن قسم من الأوبئة والأمراض قد تكون من أسباب عدة أهمها الصناعة البشرية، والإنسان قد يكون سبباً في نشرها، وتتمثل بالتجارب والأعمال التي تهدف للسيطرة على الآخر بشتى الطرق، وعلى سبيل المثال للحصر الحروب التي خاضتها الأمم والشعوب من أجل التغلب أحدهما

(١) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

على الآخر، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿الم * غَلَبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾^(١)، وهذه بطبيعتها تولد مشاكل جمّة، منها المجاعة وترك جثث القتلى التي يتأخر دفنها بما تؤدي إلى التعفن، الأمر الذي ينتج عن ذلك هو فساد الجو ونشر الأوبئة والأمراض.

وثالثهما: قد تكون هناك أسباب طبيعية لا دخل للإنسان فيها مثل، تغيرات المناخ أو احتباس الأمطار بما يؤدي إلى المجاعات أو حصول انتشار غير متوقع من الحشرات، لاسيما الطيارة وترك مشاكلها على البيئة بما يؤدي إلى إلحاق الأضرار بنفس الإنسان وحياته وبيئته.

ولا ننسى أن ذلك الأمر بيد الله تعالى، ومنها الكوارث الطبيعية كـ: تساقط الثلوج أو العواصف أو السيول أو الحرائق التي كثيراً ما تولد آفات يصعب على المجتمع تجاوزها، كما وقع على أمم قد خلت، لقوله تعالى: ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعْجَازٌ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾^(٢).

يُعد قيام الدولة الإسلامية التجريبية الأولى بعد نزول القرآن الكريم على سيد الخلق أجمعين من الأوليين والآخرين، إذ أسس النبي (ﷺ) دولة تقوم على مجتمع مدني في الجزيرة العربية يقوده العرب، إذ أصدر دستور المدينة المنورة في عام (٢هـ/٦٢٤م) بما يؤمن ذلك التطور إلى العالم أجمع الذي امتد لعشرة قرون تقريباً تراوحت عبر تاريخها الطويل بين القوة والضعف، والضعف والقوة، إلى أن وصلت مرحلة الانهيار التام، وإنهاء الوجود العربي عند قيام الأتراك الدولة العثمانية الإسلامية وقيادتها من سنة

(١) سورة الروم، الآيات ١-٣.

(٢) سورة الحاقة، الآية: ٧.

(١٢٩٩هـ/١٢٩٩م) حتى (١٣٤٢هـ/١٩٢٣م) تقريباً، إذ استمرت قرابة ٦٠٠ سنة^(١).

لذا أصبح من الضروري الاستفادة مما ورد ذكره في القرآن الكريم، من نصح وقواعد نافعة، فضلاً عن تفسير الرسول (ﷺ)، لاسيما في الوقاية من الأمراض التي سببها الإنسان، وفي مقدمتها أعمال قد تضر آخرين من الناس بوجه عام، قال أحد الباحثين: "التنبه على خطورة انتشار الأمراض التي تصيب النفس البشرية من صرع وسحر وحسد وعين ونحوه، خاصة انتشار السحر في بعض البلدان الإسلامية النامية، وبُعدهم عن حقائق الدين الإسلامي"^(٢).

كما تعرّضت الدولة العربية الإسلامية لأزمات وكوارث اقتصادية صعبة ومعقدة، بسبب الجوائح التي عصفت بها على الرغم مما تتمتع به من ثروات اقتصادية وزراعية وصناعية، إذ نفذت الكثير من المواد الغذائية من الأسواق وأصبح الجوع ظاهرة عامة، فضلاً عن ارتفاع الأسعار، الأمر

(١) ومن المعروف أن الدولة العثمانية بلغت ذروة مجدها وسيطرتها، وعُدت دولة قوية خلال القرنين (العاشر والحادي عشر الهجري) (السادس عشر والسابع عشر الميلادي)، فامتد سلطانها على أراضٍ كبيرة لتشمل أنحاء واسعة من قارات العالم القديم الثلاثة وهي: أوروبا، وآسيا، وأفريقيا، إذ خضعت لها الكثير من الدول بكاملها، لاسيما في آسيا الصغرى وأجزاء متعددة من جنوب شرق أوروبا، وغربي آسيا، فضلاً عن شمالي أفريقيا. إلا أنها أهملت اللغة العربية لغة القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وهما المصدر الأساسي للتشريع، خوفاً من عودة العرب تارة أخرى، فعزلوهم عن الوظائف المهمة وغيرها الكثير. وساروا على نظام الخلافة عصر الأمويين والعباسيين. للمزيد يُنظر: جبارة، تيسير، تاريخ الدولة العثمانية، (مطبوعة عمادة البحث العلمي والدراسات العليا، جامعة القدس، فلسطين، ١٩١٥م)، ١٧.

(٢) حميش، عبد الحق، العلاج بالقرآن: حقيقته، أهميته، حكمه، وضوابطه، ((د. ط)، جامعة الشارقة/ الإمارات العربية، (د. ت))، ٤.

الذي أدى إلى نتائج خطيرة، لاسيما من الناحيتين الاقتصادية والاجتماعية، و كثيراً ما كان هذا سبباً في انعدام الاستقرار السياسي، وعدم اهتمام البعض من الحكام في تأمين مستلزمات الطوارئ ومنها وقوع الوباء والمرض على حين غفلة.

وأغلب الظن أن الملك أو الحاكم الظالم لا بد من أن يزول، وهذه سنة الله في أرضه وسمائه، قال ابن خلدون: "الظلم مؤذنٌ بخراب العمران" (١). ومن المعلوم أن توقف الحياة وجلس المجتمع عن العطاء والأمر بالعزل قد يؤدي إلى انهيار المنظومة الاقتصادية، وهذه دلالات واضحة على انتشار الفساد الواقع بيد الناس لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقَصْنَا مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ (٢). لذلك ترى البعض يمدح بعدما يكسب الأموال والثمرات، ويذم عندما تصيبهم قارعة مما كسبت أيديهم لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ تُصِيبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِيبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ (٣).

لذلك تجد أن قسماً من أصحاب الأموال المترفين والمتجبرين في الأرض يعزرون تراجع اقتصادهم وخسائرهم لهذه التصنيفات، ويعملون جاهدين لسحق كل ما يعيق تلك المكاسب على حساب الفقراء والمحتاجين والمساكين، والعمل على التخلص بالوسائل كلها من هذه الآفات التي أثقلت

(١) أبو زيد الحضرمي، عبد الرحمن بن محمد بن محمد (ت: ٨٠٨هـ/٤٧٦م)، تاريخ ابن خلدون، والمسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق: خليل شحاته، (دار الفكر، ط٢، بيروت، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م). ٣٨.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٣٠.

(٣) سورة النساء، الآية: ٧٨.

كاهلهم الاقتصادي من دون الاطمئنان والتوكل على الله تعالى معتقدين أنهم قادرون على فعل المستحيل بحسب قولهم.

فإذا منّ الله على خلقه بدعاء الناس والطلب منه تعالى، واستجاب بإزاحة هذا الوباء من أبدانهم جميعاً، ترى الكثير يعود إلى غيه وفساده لنكته العهود التي قطعها على نفسه ليعود إلى الضلال ظالماً نفسه، لقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بِالْغُوهِ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ﴾^(١).

وهنا يعود البلاء والوباء تارة أخرى، فلا يعتبرون ولا يتعظون ويردّون إلى سيرتهم الأولى، إذ يظلمون أنفسهم وهم يشعرون، فينزل غضب الله عليهم وهو أرحم الراحمين.

وعلى ما يبدو فقد كثر الحديث عما يدور في دهاليز العالم الواسع وكورونا تلقي بوبائها على الناس من دون رحمة، أمّلين التطلع لما قد يصيبهم من تغيير، قال تعالى: ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾^(٢)، والعاقل في هذا الزمن القهقري أن يستفد مما ابتلى الله به عباده سواء أكان من الطبيعة أم من البشر أنفسهم، لأن القوي سوف لا يبقى بقوته، والضعيف تتغير قدراته ويصبح قوياً، قال تعالى: ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾^(٣).

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٣٥.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٣٧.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٤٠.

وفي الختام لا بد من التذكير إلى أن وباء كورونا مرض و وباء حقيقي وواقع لا يمكن وصفه بالوهم، وفي ذات الوقت لا يصح التغاضي عن استخدام أفضل الوسائل لتحجيمه والقضاء عليه بأقصر وقت مكن، مع التأكيد على عدم استغلال الظروف الآنية بإجراءات تلحق الضرر بالدولة والمجتمع على حدٍ سواء من خلال تسخير طاقات غايتها الإساءة إلى الإنسان وإنسانيته، فضلاً عن الاسترخاء والتعامل بجهل مع الأعراض المصاحبة له، فهو قاتل أولاً، ونافع للعودة إلى طريق الله طريق الخير والرشاد ثانياً من خلال القيام بالواجبات التي أرادها الله تبارك وتعالى من عباده، ومنها الصلاة والصوم والزكاة في الأموال، وصدق الحديث والوفاء عند الوعود، وعدم ارتكاب الفواحش ما ظهر منها وما بطن.

ثانياً: ذكر الوباء في السنة النبوية

واجه العرب المسلمون الأوبئة والأمراض وعملوا على وضع الحلول المناسبة لها قدر الإمكان، للحفاظ على النفس البشرية المحترمة من الهلاك أو العوق مستعينين بـ: الله تبارك وتعالى من خلال مصدري التشريع الإسلامي، فعملوا على التعايش مع المجتمعات عموماً على الرغم من متغيرات الطبيعة حتى ايقنوا السببية، وعدّوها حقلاً من الفكر الذي جاء به القرآن الكريم قال تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ (١)، معتمدين على الحجة والتجربة والجدل العلمي القائم علي أسس علمية توصلوا إليها من خلال حضارتهم الإنسانية، بغيه الوصول إلى أفضل

(١) سورة فصلت، الآية: ٥٣.

السبل في تطبيق الأفكار التي ذكرها الله تعالى وأرادها من الإنسان كما جاء في محكم كتابه العزيز (١).

ذكر ابن القيم الجوزية ورود أحاديث عن النبي محمد (ﷺ) بحدود (ثلاث مائة) حديث كلها عن التوعية الصحية لتجنب الأمراض وسميت بـ: الطب النبوي (٢)، وهذه الأحاديث جميعها تهدف لحفظ النوع البشري، إذ أنها تحتوي على قواعد متنوعة كـ: الطعام والشراب والنوم والزواج وغيرها الكثير، بعد أن خلق الله الداء وجعل له الدواء، قال (ﷺ): " العلم علمان علم الأديان، وعلم الأبدان" (٣)، وهناك الكثير من الأحاديث التي تحض الإنسان على طلب العلاج، وعلى سبيل المثال، فقد جعل لدواء المرة المشي، ودواء الدم

(١) للمزيد يُنظر: النجدي، حميد عبد جواد محمد، الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، (د. د. ط)، (د. م)، (د. ت)، ١٤.

(٢) ابن قيم الجوزية، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز (ت: ٧٥١هـ/١٣٥٠م)، الطب النبوي، دراسة وتحقيق: السيد الجميلي، (دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م)، ٢.

(٣) ابن أبي شيبة، أبي بكر عبد الله بن محمد (ت: ٢٣٥هـ/٨٤٩م)، المصنف في الأحاديث والآثار، تحقيق: سعيد اللحام، (دار الفكر، بيروت، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م)، ٨٢/٧؛ الكراجكي، أبو الفتح محمد بن علي (ت: ٤٤٩هـ/١٠٥٧م)، كنز الفوائد، (مطبعة غدير، قم/إيران، ١٣٦٩ش)، ١٠٧/٢؛ المقرئ، تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر (ت: ٨٤٥هـ/١٤٤١م)، إتحاف الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، ج ٣ تحقيق: محمد حلمي محمد أحمد، (مطبعة الأهرام التجارية، ط ٢ القاهرة: ١٩٩٦م)، ٩٤/٣. وهناك من يرى أن هذه الحكمة للإمام محمد بن إدريس الشافعي. للمزيد يُنظر: أبو عبد الرحمن السلمي، محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن خالد بن سالم النيسابوري (ت: ٤١٢هـ/١٠٢١م)، طبقات الصوفية، تح: مصطفى عبد القادر عطا، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م)، ٣٥٩.

الحجامة، ودواء البلغم الحمام^(١). أي ما خلق الله الداء إلا وخلق الدواء، وقال (ﷺ): "المعدة بيت الداء، والحمية رأس الدواء وعودوا كل بدن ما اعتاد"^(٢)، فضلاً عن التأكيد على النظافة بدليل الوضوء المتكرر بما لا يقل عن خمس أوقات من الصلاة المفروضة في اليوم الواحد أو قد يزيد على ذلك عند صلاة الضحى والنوافل وغيرها الكثير من المستحبات لاستجابة الدعاء.

ذكر أحد الباحثين عن علاجات الطب النبوي وما كتب فيها في قوله: "أن محمد بن علي بن باديس الصنهاجي قد ألف كتاباً في الأدوية ومنافعها سماه (المنافع البيّنة وما يصلح بالأربعة أزمنة)، وقد بنى عمله أيضاً على قول الرسول (ﷺ) (العلم علما علم الأديان، وعلم الأبدان) [كما أسلفنا] وجمع فيه ما اختصره من كتب الطب المختلفة والأحاديث المسندة، واعتمد على كتب الأقدمين في الأدوية، كالرقا والخواتم ووقوع المرض في الشهور الأعجمية المعربة، ومعرفة النبض والبول، وما يستدل به على الأمزجة من الأحلام والفسد والحجامة والإنذار بالحوادث الرديئة. ومن مصادره في ذلك الرازي والطبري، محمد بن جرير، وابن زكريا والمنصوري وحنين بن إسحاق وأفلاطون وهرموس، ودقيوس وجالينوس، وقسمه إلى ثمانية أبواب على النحو التالي: في الأربعة أزمنة وما يستعمل فيها من حفظ الصحة، في علاج الرأس، في علاج العينين والوجه، في علاج الأذنين والأضراس

(١) الذهبي، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (ت: ٧٤٨هـ/١٣٤٧م)، سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ومحمد نعيم العرقسوسي، (مؤسسة الرسالة، ط٩، بيروت، ١٤١٣هـ)، ٥/٤٥٣.

(٢) ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن علي البكري (ت: ٥٩٧هـ/١٢٠٠م)، زاد المسير في علم التفسير، (دار ابن حزم، المكتب الإسلامي، الرياض، ١٤٢٣هـ) — ١٢٨/٣، (٢٠٠٢م).

والحلق، في علاج القلب والصدر والرئة والطحال، في علاج البطن والسرة والمعدة والكبد، في علاج الكلى والخاصرة، والحصى وحرقة البول، ومن يقعد بالدم ومن وجع الظهر، وعلل أرحام النساء ومقويات الجماع، ثم علاج الوركين والفخذين والركبتين والساقين والقدمين" (١).

ولا يمكننا القول إن الرسول جاء طبيباً؛ بل كانت رسالته رحمة للعالمين جميعاً، وما جاء به من نصح في مجالات الطب ما هو إلا دليل على إتباع الإرشادات الصحية والوقائية التي تحمي الإنسان من الأمراض أولاً، والهلاك ثانياً.

ومهما كان نوع المرض الوبائي، فعلى الطبيب أن " يوهم المريض أبداً بالصحة ويرجيه بها وأن كان غير واثق بذلك، فمزاج الجسم تابع لأخلاق النفس، فالطبيب الأمي الذي ليس لديه تجربة، ومن كانت عنايته بالمرضى قليلة وشهواته كثيرة (قتال) " (٢).

إن وسائل الوقاية ضرورية جداً، لاسيما صبر الإنسان على البلاء، وتجاوزه وبخلافه ستهجم عليه الكثير من الوسوس، فضلاً عن شبح الموت وهذا كله يشكل هاجس وقلق وبالتالي تتكون مجموعة من الأمراض النفسية ومنها: الهم والغم والحزن، وهي أمراض يشكو منها المسلم وغيره. لذلك عند وقوع البلاء والوباء ضرورة الاقتداء بقول الرسول محمد (ﷺ): " المؤمن

(١) سعد الله، أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي/ الطب والجراحة والصيدلة، (دار البصائر

للنشر والتوزيع، الجزائر، ٢٠٠٧م)، ٤٢٤/٢.

(٢) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ٤٢٠-٤٢١.

القوي خير من المؤمن الضعيف" (١). وفي حديث للرسول محمد (ﷺ) أنه قال: " لا عدوى، ولا طيرة، ولا هامة ولا صفر" (٢).

وعلى ما يبدو فإن هذا قد يكون من ظاهر الحديث، لكن المراد به هو إبطال ما يعتقدونه الناس قبل الإسلام، لأن العدوى تعدي بنفسها من دون ذكر الله تعالى، إذ كانوا يعتقدون أن العدوى تدخل مباشرة في حياة الإنسان والحيوان والنبات وكل شيء في الطبيعة على حد سواء من دون علم الله خالق الكون.

ولابد من الإشارة هنا كما نرى أن أكثر الأمراض المعدية تكون بأمر الله تعالى، سواء أكان وجودها أم انتشارها أم القضاء عليها، ولكن بالأسباب والمسببات، لاسيما المخلوقات جميعها.

(١) المناوي، محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي القاهري (ت: ١٠٣١هـ/١٦٢١م)، فيض القدير شرح الجامع الصغير، تحقيق: أحمد عبد السلام، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م)، ٣/١٣٠؛ العجلوني، إسماعيل بن محمد الجراحي الشافعي (ت: ١١٦٢هـ/١٧٤٨م)، كشف الخفاء ومزيل الإلباس، تحقيق: أحمد القلاش، (مؤسسة الرسالة، ط٤، بيروت، ١٤٠٥هـ)، ٢/٢٩٨.

(٢) البخاري، أبي عبد الله محمد بن اسماعيل الجعفي (ت: ٢٥٦هـ/٨٦٩م)، صحيح البخاري، (الرياض: دار السلام للنشر والتوزيع، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م)، ٧/١٧. والطيرة هي التشاؤم، أما الهامة فهي دواب الأرض، وقيل إنها تخرج من رأس الميت. أما صفر فهناك رواية تقول إنها حية تصيب الماشية والناس وهي أعدى من مرض الجرب، على حين هناك من ينظر أن صفر ما هو إلا الشهر الذي يأتي بعد محرم، والله أعلم. ينظر: ابن الجوزي، كشف المشكل من حديث الصحيحين، تحقيق: علي حسين البواب، (دار الوطن، الرياض، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م)، ٣/٩٣.

ومن الوباء ما يقتل الإنسان ولكن عدّه الله من الشهداء، لقول الرسول (ﷺ): "الطاعون شهادة لكل مسلم"^(١)، وقال (ﷺ) أيضاً: "الشهداء خمسة: المطعون والمبطون والغرق وصاحب الهدم والشهيد في سبيل الله"^(٢).
 وقال النبي محمد (ﷺ): "كلم المجذوم وبينك وبينه قيد رمح أو رمحين"^(٣)، وعليه يتطلب من الأصحاء الابتعاد كثيراً عن المصاب بما يضمن سلامتهم، إذ أن هناك من الأمراض المعدية تنتقل بالهواء عن طريق الرذاذ المتطاير من فم المصاب، أو عند المجالسة أو بالتلامس كـ: الجذام والجرب والجذري والرمد، والسل وغيرها. فعلى الإنسان المريض أن يشعر الناس بحالته المرضية كي يأخذوا الوقاية منه، ومحاولة الابتعاد عن الأصحاء قدر المستطاع، لأنه سيكون سبباً في إصابة الكثير من الناس وهم لا يشعرون، إذ قيل: "قيراط من الوقاية خير من قنطار من العلاج"^(٤)، ولتأكيد صحة ما قالوا فإن العدوى قد تظال الإنسان، ويجب الابتعاد عن المصابين.

نبّه الأزرق اليمني مؤكداً وجود العدوى، ومن ثم الإصابة للأصحاء من المريض، إذ قال بما نصه: "فالمخالطون يصابون فوراً، والمبتعدون ينجون"^(٥).

(١) البخاري، صحيح البخاري، ١٠٤١/٣.

(٢) ابن حنبل، أحمد بن محمد بن محمد بن حنبل الشيباني الذهلي (ت: ٢٤١هـ/٨٥٥م)، مسند الإمام أحمد، (دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٣م)، ٣٢٥/٢؛ مسلم، صحيح، ١٢/٢.

(٣) ابن القيم الجوزية، الطب النبوي، ١١٦.

(٤) الشيرازي، محمد الحسيني، الفقه، البيئة، (دار العلوم، بيروت، ٢٠٠٠م)، ١٩٥.

(٥) إبراهيم بن عبد الرحمن بن أبي بكر الأزرق اليمني (ت: القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر ميلادي)، تسهيل المنافع في الطب والحكمة: المشتغل على شفاء الأجسام وكتاب الرحمة، (مطبعة المشهد الحسيني، القاهرة، ١٨٩٨م)، ١٨.

وعلى المعالج أن يكون على حذر ويجب أن يكون قد تدرب على طرق العلاج الناجح ويفضل من ذوي الاختصاص، فمن أتى بعلة على الأصحاء أو داواهم وهو لا يعلم ما يفعل، فإنه ضامن لحياتهم، قال رسول الله (ﷺ): "من تطبب ولم يعلم منه طب قبل ذلك فهو ضامن"^(١)، والهدف من ذلك تأكيد المحافظة على حياة الناس جميعاً كي يمارس المهنة من هو عالماً بها.

وهناك أوبئة وقعت على الناس فلم يذكرها قسم من المؤرخين من دون توضيح ذلك الأمر وأسبابه، ودليلنا على ذلك أن هناك الكثير من أعمال الصدقة ك: إطعام الفقراء والمساكين.

و من المهم عند الإصابة ب: الوباء أو الأمراض يجب أن يقوم العبد من بني البشر بالتصدق من ماله، وقد صح عن رسول الله (ﷺ) أن يتصدق العبد لسننتين من زكاته، لقوله (ﷺ) لعمه العباس بن عبد المطلب (ت: ٣٢هـ/٦٥٢م)، ذكر ذلك الشوكاني نقلاً عن رواية الحديث بما نصه: "إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أخبرهم أنه تعجل من العباس صدقة عامين"^(٢) لوجود حاجة ماسة لذلك المال، وسد العوز الاقتصادي الذي يمر به الناس حينذاك من دون بيان الأسباب.

(١) النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي (ت: ٣٠٣هـ/٩١٥م)، السنن الكبرى، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢١هـ—٢٠٠١م)، ٢٤١/٤.

(٢) نيل الأوطار شرح منتهى الأخبار من أحاديث سيد الأخيار، ٢١٤/٤؛ البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي (ت: ٤٥٨هـ/١٠٦٥م)، السنن الكبرى وفي ذيله الجواهر النقي، (مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند، حيدر آباد، ١٣٤٤هـ)، ١/٤؛ الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر (ت: ٨٠٧هـ/١٤٠٤م)، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٨هـ—١٩٩٨م)، ٧٩/٣.

إن الصدقة بالأموال أو المتاع كثيراً ما تنقذ الفرد الذي أصابه الضرر من هذا البلاء المتفشي في المجتمع، لاسيما عند عودة الناس إلى الله تعالى، لقول الرسول (ﷺ): "حصّنوا أموالكم بالزكاة وداووا مرضاكم بالصدقة وأعدوا للبلاء بالدعاء" (١).

وقيل إن النبي (ﷺ) دعا لأهل المدينة المنورة، قال العيني بما نصه: "صحح المدينة من الأمراض، وزاد في دعائه بقوله: وانقل حماها، أي: حمى المدينة، وكانت وبيئة، وخصص بهذا في الدعاء لأن أصحابه حين قدموا المدينة وعكوا" (٢).

إذ قيل أن الوباء لا يدخل المدينة المنورة بعد قدوم النبي محمد (ﷺ) إليها (٣)، وقيل أيضاً أن الوباء هو: "موت الصالحين قبلنا" (٤).

ومن الجدير بالذكر أن رسول الله (ﷺ) قال: "على أنقاب المدينة ملائكة، لا يدخلها الطاعون ولا الدجال" (٥).

(١) الجرجاني، أبو أحمد عبد الله بن عدي (ت: ٣٦٥هـ/٩٧٥م)، الكامل في ضعفاء الرجال، تحقيق: يحيى مختار غزاوي، (دار الفكر، ط٣، بيروت، ١٤٠٩هـ—١٩٨٨م)، ٣٤١/٦؛ البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن عبد الله، (ت: ٤٥٨هـ/١٠٦٥م)، شعب الإيمان، تحقيق: مُحَمَّد السعيد بسيوني زغلول، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٠هـ)، ٢٨٢/٣.

(٢) عمدة القارئ شرح صحيح البخاري، ١٠/٢٥٠-٢٥١.

(٣) العيني، نفس المصدر، ٢٣/٧.

(٤) ابن حبان، أبو حاتم محمد بن حبان بن معاذ بن التميمي البستي (ت: ٣٥٤هـ/٩٦٥م)، صحيح ابن حبان، تحقيق: شعيب الارناؤوط، (مؤسسة الرسالة، ط٢، بيروت، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م)، ٢١٥/٧.

(٥) البخاري، صحيح البخاري، ٢/٢٢٣؛ يُنظر: مالك بن أنس (ت: ١٧٩هـ/٧٩٥م)، الموطأ، تحقيق: فاروق سعد، ((د. ط)، بيروت، ١٩٧٩م)، ٨٩٢/٢.

ولم تسعفنا المصادر التاريخية عن انتشار الأوبئة في المدينة المنورة عهد النبي (ﷺ)، ويبدو أنه دعا الله تبارك وتعالى لهم بعدم انتشار الوباء فيها عند وجوده، فاستجاب له والله أعلم.

قال رسول الله (ﷺ): " خمس إن أدركتموهن فتعوزوا بـ: الله منهن لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوها إلا ظهر فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المئونة وجور السلطان، ولم يمنعوا الزكاة إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله [ﷺ] إلا سلب الله تعالى عليهم عدوهم وأخذوا بعض ما في أيديهم، ولم يحكموا بغير ما أنزل الله تعالى إلا جعل الله تعالى بأسهم بينهم" (١).

ومن المعلوم أن المصادر التاريخية أفادتنا في سنة (٦هـ/٦٢٨م) أن حصل جذب عهد النبي محمد (ﷺ)، لاسيما في قلة الغيث، فطلب الناس من النبي (ﷺ) إقامة صلاة الاستسقاء (٢)، إذ كان أغلب أهل المدينة قد أصابهم أذى، بسبب شحة المياه، فتجمع الناس متضرعين إلى الله طالبين إنزال الغيث، وابعاد الناس عن الهلاك خوفاً من اصابتهم بالأوبئة فيما إذا

(١) الكليني، أبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق (ت ٣٢٨هـ/٩٣٩م)، الروضة من الكافي، تحقيق: علي أكبر الغفاري، (دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م)، ٣٧٣/٢؛ الفيض الكاشاني، محمد بن مرتضى بن محمود بن محسن (ت: ١٠٩١هـ/١٦٨٠م)، الوافي، (مكتبة الامام أمير المؤمنين علي (عليه السلام)، أصفهان، ١٤٠٦هـ)، ١٠٤٠/٥.

(٢) الاستسقاء هو: دعاء واستغفار، لأنه استجابة من الله تعالى لإنزال الغيث. يُنظر: الحصفكي، علاء الدين الحنفي (ت: ١٠٨٨هـ/١٦٧٧م)، الدر المختار شرح تنوير الأبصار وجامع البحار، تحقيق: عبد المنعم خليل إبراهيم، (دار الكتب العلمية، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م)، ١٩٩/٢.

لم ينزل من السماء، قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِّلُ
الْغَيْثَ ﴾ (١).

ذكر هذه الحادثة أحد المؤرخين قائلاً: "إنما استبطأك في الاستسقاء
فاستسقى بنا فنأدى في الناس، فقام فخطب فأوجز ثم صلى ركعتين فأوجز
ثم قال: اللهم عجزت عنا أنصارنا وعجز عنا حولنا وقوتنا وعجزت عنا
أنفسنا ولا حول ولا قوة إلا بك اللهم، فاسقنا وأحي العباد والبلاد" (٢).

قال الطبري: "أجذب الناس جذبا شديداً، فاستسقى رسول الله صلى الله
عليه وسلم في شهر رمضان بالناس" (٣).

ولم يتوقف الأمر في عهد الرسول فقط، فقد أصابهم في مكة المكرمة
أيضاً، لاسيما بعد وفاة الرسول (ﷺ)، فطلب الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله
من العباس عم النبي أن يصلي بهم، قال أحد الباحثين: "من حديث أنس
بن مالك أن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن
عبد المطلب، فقال: اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا صلى الله عليه وسلم
فتسقيننا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا، قال فيسقون وأراد عمر بتوسله
بالعباس أن يظهر مكانه العباس، لأنه عم النبي (ﷺ) (٤)، قال ابن حجر
بما نصه (٥): "ويستفاد من قصة العباس استحباب الاستشفاع بأهل الخير

(١) سورة لقمان، الآية: ٣٤.

(٢) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت: ٣١٠هـ/٩٢٢م)، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق:

محمد أبو الفضل إبراهيم، (دار المعارف، ط٦، القاهرة ٢٠٠٩م)، ١٩٣/٣.

(٣) تاريخ الرسل والملوك، ٢٨٦/٢.

(٤) الشوكاني، نيل الأوطار شرح منتهى الأخبار من أحاديث سيد الأخيار، ٣٣/٤.

(٥) ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ٤١٣/٢.

والصلاح وأهل بيت النبوة وفيه فضل العباس وفضل عمر لتواضعه للعباس ومعرفته بحقه ^(١)، فاستجاب الله لهم وأنزل الغيث.

ومن ذلك الحين أصبحت صلاة الاستسقاء ضرورية في حالة الحاجة إلى الماء والطلب من السماء بالاستجابة، لأن خلاف ذلك تتكاثر الأمراض بين الناس ويصيبهم الأذى لشحة المياه، وبالتالي قد تتعدم النظافة التي هي أحد مصادر الشفاء فتظهر الأوبئة التي يمكن التخلص منها بالماء الطاهر كالذي يشبهه اليوم في هذا الوباء، إذ يُطهر الإنسان نفسه بالماء والصابون قبل العدوى من المصاب بأعراض الوباء كورونا الذي يعول عليه في التخلص من الفيروسات بالنظافة التي قد تعاني منها الناس في عالم اليوم في أماكن عدة للأسف.

وما خفي كان أعظم فإن الكوارث الطبيعية التي تحل بالناس، لاسيما في حالتها خسوف القمر وكسوف الشمس تولد مشاكل جمة في نفوس المجتمع، لاسيما في الذين آمنوا بالله وعبده كثيراً، على الرغم من كونها آيات مباركات، قال تعالى: ﴿وَخَسَفَ الْقَمَرُ﴾ ^(٢)، وهذه الآيات لا تحصل لموت فرد، أو ولادته لقول رسول الله (ﷺ): "إن كسوف الشمس آية من آيات الله، فإذا رأيتم ذلك فافزعوا إلى الصلاة" ^(٣). وخوف هؤلاء المؤمنين طبيعي لما قد يلحق أغلب الناس من ضرر، بسبب تفشي المعاصي واستشراء الفساد وممارسة أعمال لا تتفق ووجود الإنسان في هذا العالم الواسع. ولكن الرجوع إلى الله في أمور الناس عامة واجب لا بد منه، وهي

(١) الحبيبي، محمد عاشق الرحمن القادري، سيوف الله الآجلة وعذاب الله المجدي، (مكتبة الحقيقة، إستانبول، (د، ت))، ٢٨.

(٢) سورة القيامة، الآية: ٩.

(٣) ابن أبي شيبة، أبي بكر عبد الله بن محمد (ت: ٢٣٥هـ/٨٤٩م)، المصنف في الأحاديث والآثار، تحقيق: سعيد اللحام، (دار الفكر، بيروت، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م)، ٤٢٧/٨.

على ما يبدو إشارات إلهية الغاية منها تصحيح مسار الناس لما يحب لهم الله ويرضى.

ومن المواقف التاريخية التي تؤكد ارتكاب قسم من الناس اعمال خلاف ما أمرهم الله تعالى، ونشير لما تعرض له النبي (ﷺ) وأبو طالب (ﷺ) وأهله وعشيرته إلى حصار قاسٍ عندما اتفق مشركي قريش بترحيلهم إلى شِعاب مكة، التي تسمى أيضاً شِعاب أبي طالب الواقعة بين الجبال، قال اليعقوبي: "وتعاقدوا على ذلك وتعاهدوا وختموا على الصحيفة بثمانين خاتماً، وكان الذي كتبها منصور بن عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار، فشلت يده. ثم حصرت قريش رسول الله وأهل بيته من بني هاشم وبني المطلب بن عبد مناف في الشُعب الذي يقال له شُعب بني هاشم بعد ست سنين من مبعثه. فأقام ومعه جميع بني هاشم وبني المطلب في الشعب ثلاث سنين حتى أنفق رسول الله ماله، وأنفق أبو طالب ماله، وأنفقت خديجة بنت خويلد مالها، وصاروا إلى حد الضر والفاقة" (١) قاطعين عنهم الغذاء، والتبادل الاقتصادي، والعلاقات الزوجية (٢) والتعايش السلمي الإنساني طيلة سنوات ثلاث تقريباً كل ذلك بسبب دعوة النبي (ﷺ) للناس جميعاً بالدخول في الإسلام والتقرب إلى الله من دون عبادة الأوثان فحاربوه، وفي مقدمتهم عمه أبو لهب (ت: ٣هـ/—٦٢٤م)، الذي قال عنه تبارك وتعالى: ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ (٣) والكثير من المشركين وفي مقدمتهم أبو سفيان صخر بن حرب (٣١هـ/٦٥١م) وأبو جهل وغيرهم.

(١) أحمد بن أبي يعقوب إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح الكاتب (ت: ٢٩٢هـ/—٩٠٤م)،

تاريخ اليعقوبي، (دار صادر، بيروت، ١٣٨٠هـ-١٩٦٠م)، ٣١/٢.

(٢) الفائمي، علي، الأسرة وقضايا الزواج، (دار النبلاء، د. م)، (د. ت)، ١٣١.

(٣) سورة المسد، الآية: ١.

ذكر أن صبيان وأطفال بني هاشم كانت تسمع صراخهم، بسبب الجوع، وهذا هو الهلاك، ومنه تكاثر الأمراض وانتشارها بينهم، ولكن اللطف الإلهي موجود، ولا يمكن أن تخفى الحقيقة بغريال.

قال ابن إسحاق بما نصه: " ففعلوا ذلك ثلاث سنين حتى بلغ القوم الجهد الشديد وحتى سمعوا أصوات صبيانهم يتضاغون من وراء الشعب (١)".

ويمكننا القول إن من المحتمل وفاة عم النبي (ﷺ) أبو طالب وزوج النبي خديجة بنت خويلد (رضي الله عنهما) وغيرهم من بني هاشم كان بسبب ذلك الحصار الجائر الذي لحق بهم، الأمر الذي أدى إلى مرضهم ووفاتهم، من المجاعة أولاً، والحالة النفسية ثانياً؛ ناهيك عن الأسباب التي لم تذكرها المصادر التاريخية وتبين تفاصيلها أو الذين لم يرد ذكرهم خلال سنوات الحصار، لأن المؤرخين يركزون عادة على المشهورين من دون سواهم.

لذلك نجد أن أغلب الأمراض قد يتحملها الناس ولكن شدتها على الأنبياء والمؤمنين قد تكون أكثر لأسباب يعلمها الله، لقول المقدسي عما ذكره رسول (ﷺ) بما نصه: "يا رسول الله أي الناس أشد بلاء، قال الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل من الناس يبتلئ الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صلابة زيد في بلائه، وإن كان في دينه رقة خفف عنه، وما يزال البلاء بالعبد حتى يمشي على ظهر الأرض ليس عليه خطيئة (٢)".

(١) محمد بن إسحاق بن يسار المطلبى (ت: ١٥١هـ/٧٦٨م)، سيرة ابن إسحاق، (دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت)، ١/١٤٠.

(٢) ضياء الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الواحد (ت: ٦٤٣/١٢٤٥م)، كتاب الأمراض والكفارات والطب والرقيات، حققه وخرج أحاديثه: أبو إسحاق الحويني، (دار ابن عفان، القاهرة، ١٤١٥هـ)، ٣.

نستنتج مما تقدم أن هناك نموذجين يمكن القول إنها قد تنشأ بسببها الأمراض وتتوسع، الأول: من صنع الله تعالى وتدبيره فهو القادر على كل شيء بأذنه، والثاني: من صنع البشر في إرسال القتل إلى خلق الله في أرضه وسمائه، لقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾^(١).

(١) سورة الاسراء، الآية: ١٥.

المبحث الثاني الأوبئة في عصر النبوة (٦-١١هـ-٦٢٨-٦٣٢م)

من اللافت أن أغلب المؤرخين توجهوا في بداية الكتابة عما جاء في سيرة الرسول محمد (ﷺ)، فضلاً عن الغزوات وما رافقها من انتشار الإسلام، إذ قليلاً ما كانوا يذكرون تلك الأوبئة التي عاصرت الشعوب والمجتمعات آنذاك، أمّا لقلتها أو لعدم الرغبة في إثارة الرأي العام على الحكام واهماله الناس في هذه المحن.

لم تسعفنا المصادر عن وقوع أوبئة متعددة، بل قيل كان الأول في الدولة العربية الإسلامية هو طاعون عمواس سنة (١٨هـ/٦٣٩م) عهد الخليفة الراشدي الثاني عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)^(١)، ويرى ابن قتيبة وآخرين كـ: النووي أنه ليس هو الأول في الإسلام، بل وقع وباء الطاعون في المدائن سنة (٦هـ/٦٢٨م)، وسماه النووي طاعون شيرويه الذي كان سبباً في موت الملك الساساني شيرويه بن كسرى (ت: ٧هـ/٦٢٨م) بعد أشهر عدة، وهذا يعني أن الفرس الساسانيين لم يدخلوا الإسلام بعد، على الرغم من وقوع الوباء في المدائن من أرض العراق خلال نشر الدعوة الإسلامية عصر النبوة^(٢).

(١) ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع (ت: ٢٣٠هـ/٨٤٤م)، الطبقات الكبرى، أعد فهارسها:

رياض عبد الله عبد الهادي، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٦م)، ٣٨٥/٧.

(٢) للمزيد يُنظر: ابن قتيبة الدينوري، أبو محمد عبد الله بن عبد المجيد بن مسلم (ت:

٢٧٦هـ/٨٨٩م)، المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٢،

القاهرة، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م)، ٦٠١؛ الحموي، أبو عبد الله شهاب الدين ياقوت بن عبد

الله الرومي البغدادي (ت: ٦٢٦هـ/١٢٢٨م)، معجم البلدان، (دار صادر، ط٢، بيروت،

إن موضوع الوباء والأمراض والكوارث والحوادث الطبيعية حظيت باهتمام قسم من المؤرخين المسلمين، واهملت من آخرين بحسب العصر الذي عاشوا فيه، أو بين ما كان فيه من ظرف بين مؤرخ وآخر كلاً بحسب تفسيره ومعلوماته التي حصل عليها فيما بعد، وهذا ما يمكننا من القول إن معلومات انتشار الوباء أو الأمراض محدودة لقلة ذكرها في المصادر، لاسيما في هذه الفترة من عصر النبوة.

وهنا لا بد من القول إن إشكاليات التفسير العلمي لأحاديث النبي (ﷺ) عن الوباء، لاسيما في مواجهة جائحة كورونا (كوفيد-19)، بعد أن انتشر وظهر للعالم أجمع بشكل سريع ناقلاً العدوى والانتشار والموت، ولأنه فيروس جديد لم يعرف له علاج خلال أشهر من بدء الدراسة، وقد يكون غامضاً إسوة ببعض الأوبئة والأمراض المُتَبَسُّة عبر التاريخ، لأنه لم يكتشف له مصل أو لقاح بعد، فلم يكن أمام ذوي الاختصاص إلا بالمواجهة واتخاذ التدابير، ومنها الحجر الصحي لحصر الوباء ومنع انتشاره، وعدم فقدان أناس عدة بسبب التلاقي والتعاقب وعدم تطبيق النظام الصحي السليم، فالداء موجود وعلاجه الدواء لقول النبي الأكرم (ﷺ): "إِنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ الدَّاءَ وَالِدَوَاءَ، وَجَعَلَ لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءً، فَتَدَاوَوْا وَلَا تَدَاوَوْا بِحَرَامٍ" (١).

وعليه ضرورة الأخذ بالأسباب، والعمل على علاج المرض بكل اللقاحات عدا المحرمات كـ: الخمر وغيرها مما لا تتفق مع مبادي الدين الإسلامي الحنيف والاهتمام بالبدن من الوجوه جميعها.

١٤١٦هـ/١٩٩٥م)، ١٥٧/٤؛ النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف (ت:

٦٧٦هـ/٢٧٧م)، المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، (دار الثقافة العربية، بيروت، ١٣٤٧هـ/١٩٢٩م)، ١٠٦/١.

(١) النووي، محي الدين أبو زكريا، يحيى بن شرف، (ت: ٦٧٦هـ/٢٧٧م)، المجموع شرح المذهب، (دار الفكر بيروت، (د. ت.))، ٥٣/٩.

ومن باب الاهتمام بالنظافة، ذكر الترمذي حديثاً للرسول (ﷺ) جاء فيه
: "إن الله طيب يحب الطيب نظيف يحب النظافة كريم يحب الكرم جواد
يحب الجود، فنظفوا أراه قال أفنيتكم ولا تشبهوا باليهود" (١).

وشجع النبي (ﷺ) الناس على إمطة الأذى، لاسيما نظافة الطرقات،
والأماكن التي يسبغون أو يتجمعون بها، فقال (ﷺ): "عرضت عليّ أعمال
أمّتي حسنها وسيئها، فوجدت في محاسن أعمالها الأذى يماط عن الطريق،
ووجدت في مساوئ أعمالها النخاعة تكون في المسجد لا تدفن" (٢).

وقال (ﷺ) أيضاً: "البزاق في المسجد خطيئة وكفارتها دفنها" (٣)، كما
كانت يد رسول الله (ﷺ) اليمنى لظهوره وطعامه، واليسرى لخلائه وما كان
من أذى (٤).

وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن رسول الله (ﷺ): "كان إذا عطس غطى وجهه
بيده أو بثوبه وغض بها صوته" (٥).

كما يُعد الماء الراكد جواً ملائماً لنمو الكثير من البكتريا كـ: الكوليرا
والسالمونيلا والشيغلا وغيرها من الجراثيم، لاسيما التي تحتاج إليها بعض
الطفيليات الأولية.

(١) الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك السلمي (ت:
٢٧٩هـ / ٨٩٢م)، سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، (دار إحياء التراث
العربي، بيروت، د.ت)، ١١١/٥.

(٢) مسلم، صحيح مسلم، ٧٧/٢.

(٣) البخاري، صحيح البخاري، ١٠٧/١.

(٤) للمزيد يُنظر: أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني (ت: ٢٧٥هـ / ٨٨٨م)، سنن أبي
داود، تحقيق: سعيد محمد اللحام، (دار الفكر، بيروت، ١٤١١هـ / ١٩٩٠م)، ٩/١؛
البيهقي، السنن الكبرى وفي ذيله الجوهر النقي، ١١٣/١.

(٥) الترمذي، سنن الترمذي، ١٨٠/٤.

وقيل إن النبي (ﷺ) قد " نهى أن يبال في الماء الراكد " (١)، علماً أن الإسلام لا يوصي بذلك فقط؛ بل يؤكد حتى في الماء الدائم، قال (ﷺ): " لا يبول أحدكم في الماء الدائم ثم يتوضأ منه " (٢)، وهذا دليل على ما روى في الماء الراكد والدائم، لأن هذا المنع يشمل القليل والكثير من الماء لما فيه من الاستنقاذ، ثم إن كان قليلاً ففيه شيء آخر، وهو أنه تجسس للماء وتعطيل للفوائد (٣).

هذه الأحاديث الغاية منها التأكيد على تجاوز ظهور الأوبئة والأمراض والحد من انتشارها، ولغرض منع ذلك، فقد وضع رسول الله (ﷺ) قاعدتين أساسيتين، إذ تُعد من أساسيات الطب الوقائي الحديث بعد اكتشاف مسببات الأوبئة والأمراض، وهما قاعدتي العزل المنفرد، والحجر الصحي للمصابين لحين اكتساب الشفاء.

فضلاً عما تقدم فكان النبي يوصي الناس بضرورة الابتعاد من المصاب خوفاً من انتقال الوباء أو الأمراض، لاسيما المعدية، ومنها قوله (ﷺ): " الفار من الطاعون كالفار من الزحف، والصابر فيه كالصابر في الزحف " (٤)، وقال (ﷺ): " لا يوردن ممرض على مصح " (٥). وقال (ﷺ) عن الحجر

(١) النووي، المجموع شرح المذهب، ٩٣/٢.

(٢) الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن مهدي (ت: ٤٦٣هـ/١٠٧١م)، تاريخ بغداد وذيوله، تح: مصطفى عبد القادر عطا، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م)، ١٠/١٠٤.

(٣) الرافعي، أبي القاسم عبد الكريم بن محمد (ت: ٦٢٣هـ/١٣٢٦م)، فتح العزيز شرح الوجيز أو الشرح الكبير للرافعي، تح: علي محمد عوض، وعادل أحمد عبد الموجود، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م)، ١/٤٦٤.

(٤) ابن حنبل، مسند الإمام أحمد، ٥/٢٠٦.

(٥) مسلم، صحيح مسلم، ٧/٣١.

الصحي الذي استفاد منه الغربيون بما نصه: "إذا سمعتم بالطاعون في أرض فلا تدخلوها، وإذا وقع بأرض وأنتم فيها فلا تخرجوا منها" (١).

يتضح مما ذكر أن الحجر الصحي أمر به النبي (ﷺ) من قبل، وقد تكلم عن هذه الحقائق الدقيقة منذ أربعة عشر قرناً قد خلت، وهذا دليل أن يكون كلامه كأنّ وحيّاً يأتيه من العليم الخبير الذي يعرف مخلوقات السماوات والأرض؛ كي يرينا تبارك وتعالى آياته، فنعرفها أنها من ربنا، فحمده على كل ما أمرنا به من تشريع وتكليف غايته إسعاد البشرية في الدنيا والآخرة، لقوله تعالى: ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبِّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (٢).

وهكذا نرى أن ما أثبتته العلم الحديث من أوبئة وأمراض سببها كائنات حية وغير حية، مثل كورونا أو (كوفيد-١٩) المستجد في عصرنا اليوم، إذ سبق وأن أشار لها القرآن الكريم والسنة النبوية قبل قرون عدة قد خلت، لقوله تعالى: ﴿ وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ (٣).

لقد كانت الأوبئة الفتاكة والأمراض المعدية في العالم الإسلامي أقل بكثير منها في أوروبا، وفي نفس المرحلة؛ بل إن موجات الطاعون التي كانت تقضي على ربع سكان أوروبا كانت تتكسر حدها عند حدود العالم الإسلامي (٤).

(١) ابن حنبل، مسند الإمام أحمد، ٨٢/٦؛ للمزيد يُنظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ١٦٠/٣.

(٢) سورة النمل، الآية: ٩٣.

(٣) سورة سبأ، الآية: ٦.

(٤) <https://www.elkhabar.com/press/article>

ويمكننا القول إن أوروبا أيضاً لم تعرف هذا النوع من العزل والحجر الصحي قبل القرن السابع عشر الميلادي، وعليه فلا مجال للاستخفاف بالأوبئة الجائحة التي تعصف بالعالم عامة والإسلامي خاصة والاستهانة بها، وعلى النقيض نرى غيرنا يتخذ الأسباب لوقاية نفسه من هذه الأوبئة، والعرب والمسلمون ما زالوا يرددون مقولات الأقوام البدائية، والعودة إلى الجاهلية في مواجهة الأوبئة والأمراض والكوارث جميعها.

٢١٤٢٠٠٤٢٠٠/ar/٢٤.com/france//https- تاريخ الدخول في الموقع:

٢٣/٤/٢٠٢٠م.

المبحث الثالث الأوبئة المتبسة في عصر الخلافة الراشدة (١١-٤٠هـ = ٦٣٢-٦٦٠م)

تحتاج المجتمعات إلى تضافر الجهود بوجه عام عندما تجتاحهم الأزمات الوبائية، وهذا يتطلب من كل إنسان أن يأخذ دوره وواجبه بمواجهة البلاء، لاسيما من المسلمين الذين تميزوا بحضارتهم الإنسانية والإسلامية في القرون السالفة.

وعلى الرغم من كل ذكره قسم من المستشرقين من تشويهه، لاسيما من المدفوعين لأغراض سياسية، فضلاً عن التشكيك بهذه الحضارة وأرثها الكبير الذي نفع البشرية سواء أكان على صعيد العلوم العقلية أم على صعيد العلوم النقلية. وما يخص دراستنا هو الدخول بتفاصيل هذه الأوبئة والتعرف عليها من التي انتشرت وألحقت الضرر الكبير، وما قدّمه الأطباء والعلماء العرب المسلمين وغيرهم في حينه لمواجهتها، ومنها الشيبية بأعراضها لـ: وباء كورونا (كوفيد-١٩)، التي ما زال بعضاً منها غامضاً على مرّ العصور.

لم يكن عند قسم من العمال والأمرء في بدايات تأسيس الدولة العربية الإسلامية صورة واضحة عن كيفية مواجهة الأمور الصحية كالأوبئة أو الكوارث بشكل واسع، ولم يدور في خلدكم بما يأخذونه في الحسبان لكل ما يحتاجه الناس عندما يتعرضون لذلك، وخير دليل ما وقع في المشاهد المقدسة في مكة المكرمة عندما حصل في سيل أم النهشل الذي جرف مقام إبراهيم (عليه السلام) سنة (١٧هـ/٦٣٨م)، إذ أعيد إلى مكانه القديم وتم ربطه بأستار الكعبة، وكتب بذلك إلى الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب

(ت: ٢٣هـ/٦٤٣م) الذي فزع من هول المطلاع، إذ قام هو والصحابة والتابعين (رضي الله عنهم) برد المقام ثم عملوا عليه ردم، وسمي باسمه وهو الردم الأعلى عند دار عبد الله بن جحش بن رثاب الأسدي (ت: ٣هـ/٦٢٥م)، وكذلك تسمى بدار أبان بن عثمان بن عفان إلى دار أبيه (ت: ١٠٥هـ/٧٢٣م) (١) بعدما بنوه بالضفاير والصخور العظام (٢).

ومن اللافت أن هذه السيول خلفت الكثير من الطين والأتربة فعمل الحجيج وأهل مكة على إصلاح الحال، وقسم استأجروا العمال من أموالهم الخاصة، فضلاً عن النساء اللاتي يقمن بنقل الأتربة لالتماس البركة أولاً، والأجر ثانياً، وإبعاد المدينة عن الأوبئة والأمراض ثالثاً (٣).

ومما تجدر الإشارة إليه أن أغلب ما دون في هذه الفترة كان عما أصاب المجتمع الإسلامي من قحط أو مرض الطاعون وغيرها، إذ تفشت (الفيروسات) بكثرة من التي عرف العالم اليوم قسماً منها ويجهل آخر كما في كورونا.

(١) يُنظر: الأزرقى، أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد (ت: ٢٥٠هـ/٨٦٤م)، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تحقيق: رشدي الصالح ملحس، (دار الأندلس، بيروت، د. ت)، ١٦٧/٢.

(٢) يُنظر: الفاسي، تقي الدين أبو الطيب محمد بن أحمد بن علي (ت: ٨٣٢هـ/١٤٢٨م)، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٥٦م)، ٢٦١ - ٢٦٣؛ أمين، محمد و وسن سمين، الكوارث الانسانية في مكة وآثارها الاقتصادية خلال المدة من القرن الرابع حتى القرن السابع الهجري، (مجلة آداب المستنصرية، العدد ٨٥، آذار ٢٠١٩م)، ٣٠٢.

(٣) يُنظر: الأزرقى، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، ٢/١٧٢؛ ابن فهد، عز الدين عبد العزيز بن عمر بن محمد (ت: ٨٨٥هـ/١٤٨٠م)، غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام، (مطبعة جامعة أم القرى، جدة، ١٩٨٦م)، ٤٥٠.

وعلى سبيل المثال فقد حصلت في سنة (١٨هـ/٦٤٠م) مجاعة شديدة سميت عام الرمادة^(١)، وما لحقه فعلاً طاعون شديد، بسبب الوباء الذي فتك بالكثير من الناس وسمي بـ: (طاعون عمواس)^(٢)، إذ أضرب بمدن بلاد الشام في العام نفسه على وجه التحديد، وتوفي فيه خلق كثير، قال خليفة بن خياط بما نصه: "مات فيه أبو عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل ويزيد بن أبي سفيان وشرحبيل بن حسنة، والحارث بن هشام بن المغيرة"^(٣)، قال ابن حبان: توفي في هذا الوباء في نفس السنة الكثير من القادة المسلمين، ومنهم يزيد بن أبي سفيان والحارث بن هشام بن المغيرة وسهيل بن عمرو، وعتبة بن سهيل^(٤).

الأمر الذي دعا الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) في حينه أن يطلب النجدة والمعونة من كل أمراء الأمصار الإسلامية للإسهام بإنقاذ حياة المجتمع العربي الإسلامي، لاسيما مجتمع المدينة المنورة لكثرة الصحابة والتابعين فيها، ومنهم المجاهدين في سبيل الله تعالى، وتلقى الخليفة المدد

(١) سمي بذلك إذ كانت الريح تسفي ترابا كالرماد. ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٣/٣٤٠؛ خليفة، أبي عمرو خليفة بن خياط الليثي العسفري (ت: ٢٤٠هـ/٨٥٤م)، تاريخ خليفة بن خياط، ضبط وتوثيق مصطفى نجيب فواز وحكمت كشلي فواز، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٥٤١هـ/١٩٩٥م)، ٩٦؛ ابن شبة، أبو زيد عمر بن شبة النميري (ت: ٢٦٢هـ/٨٧٥م)، تاريخ المدينة المنورة، تحقيق: فهمي محمد شلتوت، (د. د. ط)، جدة، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م)، ٧٣٦/٢.

(٢) بلدة (عمواس): كورة من فلسطين، وهي من الرملة على أربعة أميال مما يلي بيت المقدس، للمزيد، يُنظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٣/٤١٠؛ البلاذري، فتوح البلدان، ١٤٥/١.

(٣) تاريخ خليفة بن خياط، ٩٦.

(٤) أبو حاتم محمد بن حبان بن معاذ بن التميمي البستي (ت: ٣٥٤هـ/٩٦٥م)، الثقات، تحقيق: شرف الدين أحمد، (دار الفكر، بيروت، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م)، ٢/٢١٨.

من القادة، إذ قال أحد الأمراء ستكون أول عير من المؤن عندك وآخرها في مصر عندي^(١)، وهذا دليل على ضرورة التعاون بين المسلمين والناس جميعاً، كي يتجاوزوا الأزمة التي عانوا منها، بسبب ذلك الوباء الذي خلف المجاعة، لأن اهمالها ستؤدي إلى كارثة قد لا تحمد عقباها وبالتالي انتشار المرض إلا أن الله تبارك وتعالى رحم عباده، قال الذهبي: " عام الرمادة قحط الناس بالحجاز واستسقى عمر بالعباس [عم النبي ﷺ]"^(٢).

لقد استمرت معاناة الناس في عام الرمادة الذي دام بحدود تسعة أشهر، من الوباء والبلاء، إذ خسر المسلمون الكثير من الرجال والنساء والأطفال، قال أحد المؤرخين بما نصه: " فأخرجوا لنا جلد الميتة مشويماً كانوا يأكلونه ورمة العظام مسحوقة كانوا يستقونها"^(٣).

قال ابن سعد: " لما صدر الناس عن الحج سنة ثمانى عشرة [للهجرة] أصاب الناس جهد شديد، وأجدبت البلاد وهلكت الماشية وجاع الناس وهلكوا حتى كان الناس يرون يستقون الرمة، ويحفرون نفق اليرابيع والجرذان يخرجون ما فيها"^(٤).

وهذا ناتج من الأوبئة التي خلفتها المجاعة آنذاك، فضلاً عن الخوف من النتائج السلبية المتوقعة لمن يصاب به، وقيل إن " الطاعون مخوف حتى يذهب"^(٥).

(١) ابن إسحاق، سيرة ابن إسحاق، ١/١٤٠.

(٢) الذهبي، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد، (ت: ٥٧٤٨هـ/١٣٤٧م)، العير في خبر من غير، تحقيق: صلاح الدين المنجد، (مطبعة حكومة الكويت، ط٢، الكويت، ١٩٤٨م)، ٢٠/١.

(٣) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٣/٣١٤.

(٤) نفس المصدر، ٣/٣١٠.

(٥) النووي، المجموع شرح المذهب، ٥/١٢١.

قال الطبري: إن الله تعالى أخبر أنه آمنهم من خوف، والعدو مخوف منه، والجذام مخوف منه، ولم يخصص الله الخبر عن أنه آمنهم من العدو دون الجذام، ولا من الجذام من دون العدو؛ بل عمّ الخبر بذلك فالصواب أن يعم كما عمّ جلّ ثناؤه، فيقال: آمنهم من المعنيين كليهما (١).

من هنا يبدو إلى ما أشرنا إليه -سلفاً- أن قسماً من المؤرخين أهتم بتفاصيل الأوبئة والحوادث التي أصابت المجتمع العربي الإسلامي، في حين أهمل آخرون ذلك إلا في مواضع متباينة.

ومن اللافت أن ما مرّت به الأمة من أوبئة وكوارث كانت كثيرة، لاسيما التي ذكرها المؤرخ الطبري (ت: ٣١٠هـ/٩٢٢م) صاحب كتاب: تاريخ الرسل والملوك، فقد ذكر الكثير من الحوادث التي أضرت الأمة الإسلامية بحدود (٣٦) واقعة، ومنها ما قد يكون متشابهاً في أعراضه ونتائجه لما نعانيه اليوم بسبب وباء كورونا، على حين ذكر ابن الجوزي أن الأوبئة والحوادث الكارثية التي وقعت وأصابت المسلمين كانت بحدود (٦٧) واقعة تقريباً (٢)، وكلها أسهمت في قتل الناس أو إلحاق الأذى فيهم، بعد أن ضاقت بهم الأرض ذرعاً، فأصبحوا في حالتهم رعباً وألم، فضلاً عن الفتك، الأمر الذي يتطلب ضرورة العودة إلى الله تعالى فهو وحده القادر على كل شيء من دون سواه.

(١) أبو جعفر محمد بن جرير (ت: ٣١٠هـ/٩٢٢م)، جامع البيان عن تأويل أي القرآن، قدم له: خليل الميس، ضبط وتوثيق وتخريج: صدقة حميد العطار، (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م)، ٣٠/٣٩٩.

(٢) اشرنا إلى قسم من الحوادث والأزمات الناجمة، بسبب وقوع الأمراض الأوبئة في المجتمع العربي الإسلامي من دون ذكرها من هذين المصدرين فقط، واستعناً بغيرها من المصادر لتوثيق ذلك قدر المستطاع.

لقد تعرضت الأمة إلى أضرار جسيمة قديماً وحديثاً، بسبب الأوبئة المُلْتَبِئَةُ إلى الآن في عالم اليوم على الناس على الرغم من كل التحوطات، ومنها ما قاله عمرو بن العاص (ت: ٤٣هـ/٦٦٤م) مخاطباً الناس، قائلاً بما نصه: "أيها الناس أن هذا الوجع إذا وقع إنما يشتعل اشتعال النار فتجبلوا [وقيل ارتفعوا^(١)] منه الجبال، فخرج وخرج الناس، فتفرقوا حتى رفعه الله عنهم فبلغ عمر ما فعله عمرو، فما كرهه"^(٢).

وهذا بحد ذاته أي خطبة عمرو تعني أنه أمرهم بتطبيق الحجر الصحي، لأنه من أهم وسائل الوقاية، واتخاذ الإجراءات للحد من أذى الوباء، بغية إيقاف هذا المرض القاتل^(٣).

وعلى ما يبدو فإنه نصح الناس بالتفرق وعدم المصاحبة، بسبب انتقال هذا الوباء المعدي، فضلاً عن رؤيته في تقليل الإصابة بين الناس، إذ تطلب الأمر أن يعزل كل فرد نفسه وعائلته كي لا يتأذى أحد من غير المصابين بهذا الوباء، وهو ما يشبه كورونا الملتبس على الناس عند اختلاط بعضهم مع البعض في كل مكان من هذا العالم المعاصر.

إلا إننا وللأسف لم نجد العزل بمعناه الحقيقي، وقد أفادنا لاحقاً الطبيب المسلم أبو بكر الرازي من تشخيص الأوبئة والأمراض، قائلاً: إن الأمراض

(١) ابن حبان، الثقات، ٢/٢١٨.

(٢) ابن حنبل، مسند الإمام أحمد، ١/١٩٦؛ ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن، علي بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الجزري (ت: ٦٣٠هـ/١٢٣٣م)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق: علي محمد معوض، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٥٤١هـ/١٩٩٤م)، ٣١٩/٥.

(٣) للمزيد يُنظر: البكري، عادل، الطب الوقائي عند العرب، بحوث الندوة القطرية الخامسة لتاريخ العلوم عند العرب، (مركز إحياء التراث العربي، مطبعة الرشاد، بغداد، ١٩٨٩م)، ٧١٥.

ومنها الجذام وغيرها من أخطر الأمراض التي مُني بها الإنسان في هذه الدنيا، ويرجع تاريخ نشأته إلى العصور الخالية (١).

لذلك نجد الناس يجهدون للتقرب إلى الله تعالى والرجاء منه، والتماسه في هذا البلاء الكبير متقربين إليه بالتوبة والاستغفار والعبادة، والابتعاد عن المعاصي وممارسة المحرمات بأنواعها، فضلاً عن إغلاق أماكن احتساء الخمر ومحااسبة مرتكبي الفواحش والمنكرات (٢).

يتضح مما تقدم ان الكثير من المؤرخين لم يبيّن لنا سبب وقوع هذه الكوارث أو حصول الحوادث الطبيعية، فضلاً عن العلماء الأعلام آنذاك، أي معرفة ممارسة المجتمع للجوانب الدينية أو الغيبية أو الشخصية التي قد تقف وراءها، ونقصد بها ارتكاب المعاصي والذنوب أو تفشي ظواهر الانحراف والأساطير الخرافية بنشر غيبيات من أشخاص يدعون أنهم عارفون بما أمر الله تبارك وتعالى.

ومن ذلك وقعت نيران في سنة (١٩هـ/٦٤٠م)، قال الواقدي: "عندما اندلعت ناراً في حرة ليلي" (٣)، إذ همّ الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) الخروج ليلاً إليها إلا أنه توقف عن ذلك طالباً من أصحابه التصديق من أموالهم والاستغفار قبل الخروج، قال الطبري: "وفي هذه السنة أعني سنة تسع عشرة سألت حرة ليلي ناراً فيما زعم الواقدي، فأراد عمر الخروج إليها

(١) يُنظر: شلدون واتس، الأوبئة والتاريخ: المرض والقوة والامبريالية، ترجمة وتقديم: أحمد

محمود عبد الجواد، (دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠١٠م)، ٢٥.

(٢) يُنظر: <https://www.alukah.net/sharia/٠/١٢٥٣٩٢/> تاريخ الدخول في

الموقع: ٢٢/٤/٢٠٢٠م.

(٣) الحموي، معجم البلدان، ٢/٢٤٧.

بالرجال ثم أمرهم بالصدقة فانطفت النار" (١)، وعلى ما يبدو فإننا نرى من حقيقتها أنها قد تكون براكين تنفجر بين الحين والآخر (٢).

وهذه البراكين كثيراً ما تتدلع فجأة من دون سابق إنذار، وعلى سبيل المثال ما حصل في سنة (٦٥٤هـ/١٢٥٦م) و سنة (٦٥٥هـ/١٢٥٧م)، قال أبو الفداء: "وكان لها بالليل ضوء عظيم يظهر من مسافة بعيدة جداً" (٣) من دون توضيح أسباب ذلك أي سبب اشتعالها، بغية الوقوف عليها لاحقاً، وكثيراً ما كانت الناس تفسرها على أنها من علامات الساعة، لقول الرسول (ﷺ): "نار تظهر بالحجاز تضيء منها أعناق الإبل ببصرى [من بلاد الشام]" (٤).

كما وقعت زلازل في سنة (٢٠هـ/٦٤٠م) مخلفة أضراراً كثيرة، وقد ينتج عنها أوبئة وأمراض بسبب ما تخلفه من وفيات أو مجاعة وغيرها، قال اليعقوبي بما نصه: "وفي هذه السنة كانت زلازل لم ير مثلها" (٥)، وهذا في

(١) تاريخ الرسل والملوك، ٣/١٩٥؛ للمزيد يُنظر: ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن البكري (ت: ٥٩٧هـ/١٢٠٠م)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: محمد عبد القادر عطاء وآخرون، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م)، ٤/٢٨١؛ ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد الجزري الشيباني، (ت: ٦٣٠هـ/١٢٣٢م)، الكامل في التاريخ، عني به نخبة من العلماء، (دار الكتاب العربي، ط٣، بيروت، ١٩٨٠م)، ٢/٥٦٣.

(٢) يتضح أنها من أرض الخليج العربي الآن، ويبدو أنها قد تشتعل بسبب وجود النفط في باطن الأرض حالياً، ولم يعرف علمياً طرق استخراجها حينذاك.

(٣) عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد بن عمر بن شاه نشاه بن أيوب، الملك المؤيد، صاحب حماة (ت: ٧٣٢هـ/١٣٣١م)، المختصر في أخبار البشر، (المطبعة الحسينية المصرية، القاهرة، (د.ت.))، ٣/١٩٣.

(٤) المختصر في أخبار البشر، ٣/١٩٣.

(٥) تاريخ اليعقوبي، ٢/١٥٦.

حد ذاته يُخلف أمراض كثيرة، وآثار نفسية، بسبب ما لحق من ضرر بالكثير من الناس.

نستنتج مما تقدم أن أغلب الكوارث أو الأزمات التي وقعت في البيئة من هذه الفترة ناتجة عن أسباب طبيعية لا دخل للإنسان فيها، لكنه أي الإنسان يسهم في زيادة حجمها، وذلك لعدم اتخاذ إجراءات احترازية وتدابير كافية للحد من الأضرار التي تنجم عنها، إذا علمنا أن بعض الأوبئة والأمراض التي تحصل جراء هذه الكوارث قد تسبب الأذى للإنسان أولاً، والحيوان ثانياً الذي يستفد منه الناس في الظروف القاهرة، والزرع التي فيها معاشهم ثالثاً.

المبحث الرابع الأوبئة المتبسة في العصر الأموي

(٤١-١٣٢هـ-٦٦١-٧٤٩م)

أدخل الأطباء الأعاجم على حاشية الخلفاء الأمويين لما احتاجوا إليهم في تطور علوم الطب والمعالجة، وكانت أغلب علومهم الطبية في حفظ الصحة وقواعد الوقاية من الأمراض الوبائية وغيرها، فضلاً عن ممارسة بعض الأعمال الطبية ك: الكي والحجامة وخلع الأسنان والختان إذ ان كثيراً منها مألوف في عصر ما قبل الإسلام والعصر الراشدي، فقد استقدم الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز (ت: ١٠١هـ/٧٢٠م) الطبيب عبد الملك بن أبحر الكناني النصراني^(١) من مصر ليمارس الطب ويعلمه لغيره^(٢).

واجه المجتمع العربي الإسلامي في العصر الأموي بعض الأزمات بسبب الأوبئة والأمراض، ولغرض التعرف عليها ودور الدولة في معالجة آثارها والحد من تكرار حدوثها إن كانت قادرة عليها.

إذ يمكننا القول إن الأمويين حينذاك تعرّضوا لأزمات خانقة خلال حكمهم، ولما تتمتع به الدولة من تنوع وتغييرات في المناخ، قد تسبب في فقدان أعداد كبيرة من الناس ومنها الوفاة بسبب الأوبئة أو غيرها، وهجرة البعض إلى خارج مدنهم بحثاً عن مدن أفضل.

(١) للمزيد ينظر: ابن ابي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ١٧١.

(٢) ابن النديم، محمد بن اسحاق (ت: ٣٨٥هـ/٩٩٥م)، الفهرست، (دار المعرفة، بيروت،

١٣٩٨هـ/١٩٧٨م)، ٣٥٤؛ الجاحظ، البيان والتبيين، ١/١٧٨؛ ابن خلكان، وفيات

الأعيان، ١/١٦٨. لم أقف على تاريخ وفاة ابن ابحر.

فقد نقل المؤرخ ابن تغري بردي (ت: ٨٧٤هـ/١٤٦٩م) في كتابه: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، والمدونة عن المؤرخ أبي الحسن المدائني (١) (ت: ٢٢٥هـ/٨٣٩م) أنه أحصى بحدود (١٥) وباء حتى سنة (١٣١هـ/٧٤٨م). ولكن أحد الباحثين تتبع الأوبئة في العصر الأموي، فوجدها بحدود عشرين (٢)، وسماها بـ: الطواعين كما وردت في المصادر التاريخية، أي بمعدل وباء في كل أربع سنوات ونصف السنة تقريباً. مبيّناً أن هذه الوباء أسهم في تعجيل نهاية الدولة الأموية، ونجاح ثورة العباسيين سنة (١٣٢هـ/٧٤٩م)، ولم يشر إلى أوبئة أخرى قد تكون ملتبسة مع الطاعون مثل أشباه كورونا، ونرى أن سبب ذلك عدم معرفة الأطباء أو الحكماء والناس بأنواع الأوبئة عموماً وطرق علاجها إلا القليل منها.

فضلاً عما ذكره ابن الجوزي أن هناك كوارث حلت في المجتمع العربي الإسلامي فترة حكم الأمويين، منها على سبيل المثال، وباء الطاعون سنة (٥٠هـ/٦٦٩م) الذي أصاب الناس وأضرهم، ثم لحقهم تارة أخرى في سنة (٥٣هـ/٦٧٢م) (٣).

(١) هو: العلامة الحافظ الصادق أبو الحسن علي بن مُحَمَّد بن عَبْد اللَّهِ بن أَبِي سيف أبو الحسن المعروف بالمدائني، ولد في أوائل العصر العباسي سنة ١٣٥هـ، أصله من البصرة، سكن المدائن جنوب بغداد فنسب إليها، مولى عبد الرحمن بن سمرة القرشي. عاش نحو تسعين عاماً، وكان أحد المتكلمين، تتلمذ لـ: معمر بن الأشعث في علم الكلام، ولكنه اشتهر بالأدب والتاريخ. وصنف التصانيف، وكان عجباً في معرفة السير والمغازي والانساب وأيام العرب، مصداقاً فيما ينقله، عالي الإسناد. للمزيد يُنظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ٤٠٠/١٠-٤٠١.

(٢) للمزيد يُنظر: العدوي، أحمد، الطاعون في العصر الأموي، صفحات مجهولة من تاريخ الخلافة، (المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، ٢٠١٨م)، ٣٣.

(٣) النووي، المجموع شرح المذهب، ٣٤٠/١.

ولم تتوقف الكوارث التي تسبب الأوبئة، إذ وقع الطاعون الجارف في البصرة سنة (٦٨٧هـ/٦٨٧م) وامتد إلى سنة (٨٠هـ/٦٩٩م)، وهذا الوباء قتل في أول أيامه بحدود (٢١٠) ألف إنسان و—: (٣) ليالي فقط، قال الذهبي بما نصه: "كان ثلاثة أيام فمات في كل يوم نحو من سبعين ألفاً" (١)، وقال أيضاً: "مات في طاعون الجارف عشرون ألف عروس، وأصبح الناس في الرابع، ولم يبق إلا اليسير من الناس" (٢)، الأمر الذي صعب على الناس إيجاد العلاج السريع، وتجاوز الأزمات من خلال زيادة أعداد الوفيات بشكل غير مسبق.

حصل هذا الوضع عهد سيطرة عبد الله بن الزبير (٦٤-٧٣هـ = ٦٨٣-٦٩٢م) الذي حكم جزء من البلاد الإسلامية، ومنها العراق ونجد والحجاز، وبلاد خراسان، على حين كان يتولى حكم بلاد الشام الخليفة الأموي مروان بن الحكم (٦٥-٨٦هـ = ٦٨٤-٧٠٥م) الذي كانت مصر والمغرب طائعة له من دون الدول الأخرى (٣).

ومن أشهر العلماء الذين توفاهم الله بسبب الوباء أبو الأسود الدؤلي البصري (ت: ٦٩هـ/٦٨٨م) الذي يُعد أول من تكلم عن النحو (٤)، وقبيصة

(١) العبر في خبر من غير، ٢٢/١.

(٢) نفس المصدر، ٢٢/١.

(٣) يُنظر: ابن الجعد علي بن الجعد بن عبيد الجوهري البغدادي (ت: ٢٣٠هـ/٨٤٤م)، مسند ابن الجعد، تحقيق: عامر أحمد حيدر، (مؤسسة نادر، بيروت، ١٤١٠هـ — ١٩٩٠م)، ١٨٧/١؛ ابن حبان، الثقات، ٣١٩/٥؛ ابن المزي، أبي الحجاج يوسف المزي (ت: ٧٤٢هـ/١٣٤١م)، الكمال في أسماء الرجال، تحقيق: الشيخ أحمد علي عبيد وحسن أحمد أغا، (دار الفكر، بيروت، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م)، ٣٧٥/٣.

(٤) يُنظر: ابن حبان، الثقات، ٣١٥/٥؛ ابن حجر العسقلاني، شهاب الدّين ابو الفضل (ت: ٨٥٢هـ/١٤٤٨م)، تهذيب التهذيب، (دار المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن - الهند، د. ت)، ١١٠/٨٣، وسنن ذلك لاحقاً.

بن حريث (ت: ٦٧هـ/٦٨٦م)، وهو أحد رواة الحديث النبوي الشريف الذي روى عنه الحسن البصري (ت: ١١٠هـ/٧٢٨م)، فضلاً عن هلاك الكثير، وفيهم من ذرية أنس بن مالك (ت: ٩٢هـ/٧١٠م)، كما توفي عدد من ذرية عبد الرحمن بن أبي بكر (ت: ٥٣هـ/٦٧٢م)، وقيل إنهم كانوا بحدود ٤٠ رجلاً^(١).

وعلى الرغم من عدم قبول هذه الرواية عن ذريتي أنس بن مالك وعبد الرحمن بن أبي بكر، إلا أن المؤرخين ذكروا أن الوفيات كانت كثيرة جداً، وقيل كان يوماً يتوفى بحدود (٧٠٠٠٠) سبعين ألف إنسان^(٢).

وعلى ما يبدو نرى أن هذه الوفيات الغاية منها هي الرغبة في تعريف الناس بعدم وجود ذريات لهم، كان سببها الوباء الذي هلك الكثير سواء أكانوا من الوجهاء أم من ذراريهم آنذاك. أو وقع فيهم قتلاً ولم تقدم الدولة شيء يذكر لمواجهة هذا الوباء، فسكنت المصادر عن تبرير ذلك.

كما وقع في سنة (٦٩هـ/٦٨٨م) مرض سموه ب: (طاعون الفتيات)، لأنه وقع بالكثير على النساء وأهلكهن، لاسيما العذارى أولاً، والرجال ثانياً.

كما ذكر قسم من المؤرخين قائلين أن السيول العارمة كانت سبباً أيضاً في الحاق الضرر، لاسيما فيما تخلفه من انتشار الأوبئة، ومنها سيل الجحاف الذي وقع في مكة المكرمة سنة (٨٠هـ/٦٩٩م)، إذ وثقه الكثير من الكتاب والمؤلفين الذين كتبوا عن تلك البقعة المباركة، ومنهم على سبيل المثال ابن إسحاق الذي قال بما نصه: "سيل بمكة ذهب بالحجاج فغرقت بيوت مكة، فسمى ذلك العام عام الجحاف، لأن ذلك السيل جحف كل

(١) يُنظر: النووي، المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ١/١٠٦.

(٢) نفس المصدر، ١/١٠٦.

شيء مر به ^(١)، وقال ابن الأثير: "بلغ السيل الركن" ^(٢)، على حين قال ابن العماد الحنبلي بما نصه: "حتى بلغ الماء الحجر والباب وهدم أكثر من ألف دار، ومات نحو من ألف إنسان" ^(٣).

ومن النظر إلى هذا العدد من الوفيات خلال ساعات لا بد لنا أن نتساءل؟ ماذا ستكون نتائجها إذا تُركت من دون دفن؟

نعم أن الأوبئة تحصل من الكوارث كـ: السيول والفيضانات التي تمثل حقيقةً آثار سلبية على البيئة؛ بل يمكن وصفها بأنها تخلق كوارث صحية في المجتمع بشكل عام لما لها من أسباب في حصول الأمراض وتدمير المحاصيل الزراعية، ومن ذلك ما حصل سنة (٨٤هـ/٧٠٣م) عندما تعرضت مكة المكرمة إلى سيول جارفة سميت بسيل (المخبل)، إذ دخلت المسجد الحرام واحاطت بالكعبة المشرفة من كل مكان، والأمر الذي أعقب هذه الكارثة أن السكان أصيبوا بفقدان توازنهم، كما أن سنتهم ضعفت لا تنطق حتى أصيبوا بالهزال وهذا سموه بسيل (المخبل) ^(٤).

ولم تتوقف تلك الأوبئة من الضرر، ففي سنة (٨٦هـ/٧٠٥م) ظهر أيضاً مرض سَحَق النساء، لاسيما الفتيات في بلاد الشام، ومدينة البصرة من دون الرجال إلا القليل، وعلى ما يبدو فإن هذه كلها علامات منها ضرورة أن

(١) سيرة ابن إسحاق، ٢٠/١.

(٢) الكامل في التاريخ، ٤٨١/٣.

(٣) ابن قتيبة الدينوري، المعارف، ٦٠١؛ ابن حبان، الثقات، ٤٠/٤؛ ابن العماد الحنبلي، عبد الحي بن أحمد بن محمد العكبري أبو الفلاح (ت: ١٠٨٩هـ/١٧٧٨م)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: محمود الأرناؤوط، (دار بن كثير، بيروت، ٢٠٠٦هـ/١٩٨٦م)، ٢٠/٢.

(٤) يُنظر: الفاسي، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، ٢٦٢.

يتوقف المؤمن والمؤمنة عندها، ويتطلعون إلى أسبابها، وما هي الظروف التي ألمّت بها إن كانت من الله تبارك وتعالى أو من فعل فاعل.

وتكرر الوباء تارة أخرى، ولهذا سمي الوباء بـ: الجارف، أو طاعون الفتيات أو طاعون الأشراف، لاسيما في العراق والشام سنة (٨٧هـ/٧٠٦م)، وسبب تكرار التسمية، لأنه تكرر في هذه السنة وسنوات سابقة، وعلى الرغم من هذه التسمية إلا أن المؤرخين لم يفصحوا عن توفاه الله بهذا الوباء، لاسيما من شهيرات النساء المسلمات (١).

أما تسميته بـ: طاعون الأشراف، فمن المحتمل أن هناك الكثير من الأشراف فقد حياته بسبب هذه الجائحة التي وقعت في الناس جميعاً، ولم تذكرهم المصادر التاريخية التي أشرنا إليها فيما سبق (٢).

وعلى ما يبدو أن من هلك فيه هو: علاء بن أمية بن عبد الله بن خالد (٣). ومن الأشراف الذين توفاهم الله في هذا الوباء مطرف بن عبد الله من الشخير (ت: ٩٥هـ/٧١٣م)، وهو من الرواة أيضاً الذي سمع عن عمران بن حصين (ت: ٥٢هـ/٦٧٢م)، الذي قيل عنه إنه صدوق وثقة (٤).

(١) ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ٢٠/١.

(٢) يُنظر: النووي، المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ١٠٦/١.

(٣) راوي معروف، روى عن الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه). يُنظر، ابن حبان، الثقات، ٤٠/٤.

(٤) يُنظر: ابن الجوزي، أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي (ت: ٥٩٧هـ/١٢٠٠م)، صفة الصفوة، تحقيق: محمود فاخوري، (دار المعرفة، ط ٢، بيروت، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م)، ٢٢٦/٣؛ المزي، جمال الدين أبو الحجاج يوسف (ت ٧٤٢هـ/١٣٤١م)، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق: بشار عواد معروف، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م)، ١٥٠/١٦.

ونرى أن من المحتمل وجود مبالغة في أعداد الخسائر البشرية بالمصادر من هذا الوباء؛ ودليلنا عدم توقف الفتوحات العربية والإسلامية، لاسيما فتوحات بلاد ما وراء النهر على سبيل المثال.

وهذه الحوادث التي تقع قد تترك القحط أو الجوع، ونرى ذلك بسبب تعمد الناس بالابتعاد عن الله تعالى ورسالاته السماوية؛ بل قسم كبير يهدف إلى ممارسة المعاصي والعمل بها من دون ذكر الله عزّ وجلّ، حتى وإن كانوا في أعمال قد يتفق أو يختلف معهم الكثير.

كما أن مدينة مرو من تركمانستان في آسيا الوسطى هي الأخرى قد أصابتها مجاعة عظيمة في سنة (١١٤هـ/٧٣٢م)، فكتب واليها الجنيد بن عبد الرحمن المري (ت: ١١٦هـ/٧٣٤م) طالباً النجدة من الكور المجاورة؛ بغية انقاذهم مما كانوا يعانون منه، قال الطبري بما نصه: "أصاب الناس بخراسان قحط شديد ومجاعة، فكتب الجنيد إلى الكور إن مرو كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان، فكفرت بأنعم الله فأحملوا إليها الطعام" (١).

كما وقع مرض وبائي سنة (١١٥هـ/٧٣٣م) بالشام، قال ابن حنبل: "أصابت الناس مجاعة فرأيتهم يحرقون الأظلاف ويأكلونها يعني بالمدينة" (٢)، فيصفه وصفاً مؤلماً لما علم به من تفاصيل قد أطلع عليها.

وهناك أمراض أخرى قد وقعت، ومنها ما ذكره ابن خياط عن إصابة المجتمع في مدينة البصرة سنة (١٣٠هـ/٧٤٧م) عهد الأمويين، إذ نزل بهم

(١) تاريخ الرسل والملوك، ٤٢٦/٥.

(٢) يُنظر: ابن حنبل، أحمد بن محمد بن محمد بن حنبل الشيباني الذهلي (ت: ٢٤١هـ/٨٥٥م)، العلل ومعرفة الرجال، تحقيق: وصي الله بن محمد عباس، (الدار السلفية، بومباي، الهند، ١٩٨٠هـ-١٩٨٨م)، ١/١٩٨.

الطاعون على حين أشار مؤرخون إلى أنه وقع سنة (١٣١هـ/٧٤٨م)، وقال أحدهم بما نصه: " وفيها كان الطاعون بالبصرة " (١). وقد يكون امتداد في كلتا السننتين علماً أن الكثير من المؤرخين أشاروا إلى بداية حدوث الوباء، ونهاية السيطرة عليه، ومنهم من أسهم به، لاسيما من الأطباء والممرضين. وفي سنة (١٣١هـ/٧٤٨م) أيضاً وقع وباء قيل إنه الطاعون قبل نهاية العصر الأموي، إذ كان ذلك في أرض العراق، وسماه المؤرخون طاعون: (مسلم بن قتيبة)، ومسلم من أحد رواة الحديث النبوي الشريف، الذي حدّث عن شعبة أبو بسطام شعبة بن الحجاج بن الورد (ت: ١٦٠هـ/٧٧٦م) (٢)، وهو أول من كان ضحية لهذا الوباء اللعين، الذي استمر في قتل الناس ثلاثة أشهر تقريباً يضرب اطنابه يميناً وشمالاً من دون رحمة.

قال النووي: في سنة إحدى وثلاثين ومائة، كان الطاعون العظيم الذي هلك فيه خلق كثير، حتى قيل: أنه مات في يوم واحد بحدود سبعون ألف إنسان، وكان هذا الطاعون يُسمى: طاعون مسلم بن قتيبة (٣).

وغايتنا هو ان يهتم الباحثون بمعرفة هذه الأسباب التي تسبب الأوبئة والأمراض الفتاكة أولاً، وتلافي حصولها ثانياً، وتمييزها عما يحصل من تطور علمي بيولوجي قد يجنبهم الضرر بالمجتمع عموماً، إذ أن الكثير لا يعلم السبب الذي تنشأ منها هذه الأوبئة، لاسيما في عصرنا الحاضر، فضلاً عن عدم الافصاح عن العلاج النافع سواء من هذه الأوبئة أو وباء كورونا المعاصر على سبيل المثال رغم التصريحات الإعلامية بوجود علاج ولمرور أقل من سنة ولم يحصل الفرد على علاج بشكل قاطع،

(١) تاريخ خليفة بن خياط، ٣٢٠.

(٢) يُنظر: ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٣٠٢/٧.

(٣) النووي، المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ١٠٦/١.

والمختصون قالوا: ان تطهير اليد أو الجسم بالماء والصابون كافي للتخلص من هذا الوباء، وفي الوقت نفسه لا يعرضون علاج متكامل على الرغم من التطور العلمي الهائل في العالم أجمع إلا عندما تتوافق مصالح الدول والجهات الكبرى لتحقيق أهدافها ومنافعها سواء أكانت اقتصادية أم اجتماعية أم دينية وغيرها على حساب المبادئ الإنسانية، وحقوق الإنسان بالعيش كريماً في هذا العالم الذي خلقه الله لعباده جميعاً من دون استثناء مؤمنهم وكافرهم، بدل من ترك بعضهم البعض في مصارعة الوباء والمرض إلى حد الموت من دون علاج، فمن أراد لأهله خيراً فهو خير، ومن أراد دون ذلك ف: الله أرحم الراحمين، قال تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾^(١).

إن قسم من هؤلاء قد لا يبالون مهما هلك أعداد من البشر، ويبدو أن هذا بسبب ابتعادهم عن الله الذي خلق الإنسان وجعله بأحسن تقويم، لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾^(٢)، ونرى أن من يسهمون في قتل النفس المحترمة قد نسوا الله عز وجل، لقوله تعالى: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾^(٣).

ونقول لهؤلاء وغيرهم اتقوا الله في عباد الله إن كنتم سبباً في ذلك، وبخلافه سينتظركم من الله عذاب الخزي في الدنيا وعذاب السعير في الآخرة، ولات حين مناص، لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾^(٤).

(١) سورة الكافرون، الآية: ٦.

(٢) سورة التين، الآية: ٤.

(٣) سورة الحشر، الآية: ١٩.

(٤) سورة الشعراء، الآيتين: ٨٨-٨٩.

الفصل الثالث

الأوبئة المُتَبِسةُ في العصور العباسية والعصور المتأخرة

المبحث الأول

الأوبئة المُتَبِسةُ في العصر العباسي الأول

(١٣٢-٢٣٢هـ = ٧٥٠-٨٤٧م)

المبحث الثاني

الأوبئة المُتَبِسةُ في العصر العباسي الثاني

(٢٣٢-٣٣٤هـ/٨٤٧-٩٤٦م)

المبحث الثالث

الأوبئة المُتَبِسةُ في العصر العباسي الثالث

(٣٣٤-٤٤٧هـ/٩٤٥-١٠٥٥م)

المبحث الرابع

الأوبئة المُتَبِسةُ في العصر العباسي الرابع

(٤٤٧-٦٥٦هـ/١٠٥٥-١٢٥٨م)

المبحث الخامس

الأوبئة المُتَبِسةُ في العصور المتأخرة

(٦٥٧هـ/١٢٥٩م حتى سنة ٨٩٧هـ/١٤٧٩م)

المبحث الأول

الأدبنة المُتَبَسِّة في العصر العباسي الأول

(١٣٢-٢٣٢هـ = ٧٥٠-٨٤٧م)

توطئة:

كان وما زال للعلم مكانة مرموقة في نفوس العرب والمسلمين الأمر الذي دفعهم إلى طلب التعلم، وبعد انتشار الدعوة الإسلامية بقرن من الزمان اخذت العلوم الإنسانية توضع اصولها ويتطلعون إلى ما في الأمم المفتوحة من ثقافات وعلوم، ومنها نُقلت وترجمت إلى اللغة العربية^(١).

وبهذا نهضت الحركة العلمية بشكل أوسع من ذي قبل في القرن الثاني الهجري، وبدأ الكتابيب تعليم الناشئة، فضلاً عن البنات وقد ذكرت اسماء معلمين عدة ممن أسهموا في ذلك^(٢).

فكانت المساجد ساحات للتعلم وليس للعبادة فقط مما كان سبباً في نشوء طائفة من العلماء تنوعت معارفهم بعد بلوغ هذه الحركة مراحل متطورة، بسبب استخدام الورق، ومنهم دماذ أبي غسان وراق^(٣).

قال أحد الباحثين بما نصه: "كان من يبرز نجمه في حلقاتها لا يلبث أن يستدعى إلى دار الخلافة أو دار الولاية أو دار الوزراء، فإذا العطايا تسبغ عليه وإذا الرواتب تفرض له شهرياً. وحقاً كان بين علماء الفقه والحديث من لا يبغون بعلمهم وتعليمهم سوى الثواب من الله، ولعله من أجل ذلك شاع

(١) ابن النديم الفهرست، ٣٤٠؛ الجاحظ، البيان والتبيين، ٣٢٨/١.

(٢) الجاحظ، البيان والتبيين، ١٨١/١، ١٨٠/٢، ٢١٩/٢.

(٣) للمزيد يُنظر: الجاحظ، البيان والتبيين، ٢٥١/١؛ ابن قتيبة، المعارف، ٢٧١؛ ابن النديم،

الفهرست، ٨١.

بينهم التكسب من الحرف الطباعة في عصرنا الحديث، وقد مضى العلماء حينئذ يفيدون منها، فاتخذوا لأنفسهم وراقين ينقلون عنهم كتبهم ويذيعونها في الناس مثل: دماذ أبي غسان وراق أبي عبدة. وكان مما دفع لرواج الوراقة تنافس كثيرين على اقتناء الكتب واتخاذ المكتبات، وقد أقامت الدولة منذ عصر الرشيد مكتبة ضخمة هي دار الحكمة وعنيت فيها أشد العناية بالكتب المترجمة التي تحمل كنوز الثقافات الأجنبية، ولا ريب في أن هذه المكتبة كانت جامعة كبرى لطلاب العلم والمعرفة^(١).

ولم تكن المساجد وحدها؛ بل أسهمت الأديرة هي الأخرى بحلقات علمية متناثرة كما في جند نيسابور من خوزستان بإيران، ونصيبين وأنطاكية، والإسكندرية التي غلبت عليها الثقافة اليونانية، إذ نقلوا كتباً عدة، لاسيما في علوم المنطق والطب والطبيعات، وامتدت من العصر الأموي حتى العصر العباسي^(٢).

ويرى المسعودي^(٣) (ت: ٣٤٦هـ/٩٥٧م) أن الخليفة العباسي المنصور لم يهتم ويعنى بنقل علوم الطب إلى العربية على الرغم من استدعائه جورجيس بن جبرائيل بن بختيشوع عام (١٤٨هـ/٧٦٥م) ليكون قريباً منه بعدما كان في بيمارستان جند نيسابور ورئيساً لها^(٤).

(١) ضيف، شوقي، تاريخ الأدب العربي، (دار المعارف، مصر، ١٩٦٠م)، ١٠٣/٣؛ للمزيد ينظر: ابن النديم، الفهرست، ٨١.

(٢) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ٦؛ القفطي، اخبار الحكماء، ٢٣٢.

(٣) المؤرخ، والجغرافي ورائد نظرية الانحراف الوراثي، وقيل عنه (هيرودوتس العرب)، إذ كان من العلماء المشهورين آنذاك. وقيل إن من لقبه هو: ويليام فون هيبيل، عالم النفس في جامعة كوينزلاند/ أستراليا من خلال بحث منشور في مجلة الثقافة. للمزيد يُنظر: مقدمة الناشر لكتاب: المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ٤/١.

(٤) ابن أبي أصيبعة، نفس المصدر، ٣٧؛ القفطي، نفس المصدر، ١٠٩.

على حين اهتم الخليفة العباسي هارون الرشيد بالطب، فامر بإنشاء وترجمت الكثير من كتب الطب فضلاً عن الكثير من الخلفاء العباسيين. ويمكننا القول إن العصر العباسي الأول ومن خلال هذا الاهتمام المتميز بدا عقلاً فلسفياً وعلمياً ليس بفهمه علوم الأوائل فحسب؛ بل بإسهاماته وازداداته المتنوعة من العلوم^(١).

وعوداً على بدء فمما يلحظ من كتابات المؤرخين قلة الاهتمام بذكر الحوادث التي أصابت المجتمع الإسلامي بالأوبئة والأمراض، أو ذكرها بإيجاز أو بنسب ضئيلة مما قدموه مقارنة بالسيرة النبوية، والمتغيرات السياسية للسلطة الحاكمة من دون المجتمع بوجه عام، وعلى سبيل المثال نجد ذلك واضحاً في:

كتاب: السيرة النبوية، لابن إسحاق (ت: ١٥١هـ/٧٦٨م)، أو: المغازي، للواقدي (٢٠٧هـ/٨٢٣م)، أو: السيرة النبوية، لابن هشام (٢١٣هـ/٨٢٨م)، أو: الطبقات الكبرى، لابن سعد (ت: ٢٣٠هـ/٨٤٥م) أو: تاريخ ابن خياط، لابن الخياط (ت: ٢٤٠هـ/٨٥٥م)، أو: المعارف، لابن قتيبة (ت: ٢٧٦هـ/٨٨٩م)، أو: فتوح الشام، للبلاذري (ت: ٢٧٩هـ/٨٩٢م)، أو: الأخبار الطوال، لأبو حنيفة الدينوري (ت: ٢٨٢هـ/٨٩٥م)، أو: تاريخ اليعقوبي، لليعقوبي (ت: ٢٩٢هـ/٩٠٥م)، أو: تاريخ الرسل والملوك، للطبري (٣١٠هـ/٩٢٢م) وغيرهم كثير، الذين أشار قسم منهم للحوادث والأوبئة والأمراض التي عانى منها المجتمع العربي الإسلامي، وتأكيد الإسلام والنبي محمد (ﷺ) على أهمية العلم والسعي إليه، الأمر الذي دفع الكثير من العلماء إلى الإسهام في تطور الطب وعلومه، بغية معالجة المرضى، وإيجاد الأدوية النافعة للحفاظ على حياتهم، ولتسليط الضوء

(١) للمزيد يُنظر: ابن النديم، الفهرست، ٣٣٩.

بشكل أوسع سنبيّن على ما تعرضت له الأمة الإسلامية من الأوبئة والأمراض في العصور العباسية على وفق مراحلها التاريخية المتعاقبة. كانت هناك الكثير من السيول والأمطار الغزيرة التي لا تجد تصريف لها، الأمر الذي كانت سبب في انتشار هذه الأمراض^(١)، لاسيما في الأحياء السكنية وخارجها من مدن الدولة العربية الإسلامية، التي قد تكون سبباً في انتقال الوباء عن طريق سكانها إلى مدن أخرى، وهكذا تنتقل سواء أكان عن طريق الإنسان أم الدواب أم الحشرات التي تتكاثر بسببها، وعلى سبيل المثال وقعت سيول متعددة في السنوات ومنها في سنة (١٤٨هـ/٧٦٥م)، إذ كانت مدتها طويلة حتى قيل عنها بما نصه: "كان سيل عظيم في قرطبة حمل الدور والناس والدواب"^(٢).

وعلى ما يبدو أن هذه السيول قد تأتي من سفوح الجبال القريبة من قرطبة حاملة معها الثلوج والأتربة والحجارة، فتغلق الطرق وتخلق حالة من الأمراض التي تسبب بداية لظهور للوباء وتكاثر الفيروسات بسبب بقائها مدة طويلة من دون تشخيص أو علاج، فضلاً عن افتقار المدن للخدمات البلدية والصحية حينذاك.

ففي سنة (١٧٧هـ/٧٩٣م) ذكر أن قرطبة تعرضت إلى سيول وأمطار متواصلة ومستمرة حتى قيل فيها: "وجاء بسيل عظيم عدّ في أمهات السيول"^(٣).

(١) يُنظر: مؤلف مجهول، كتاب تاريخ الاندلس، تحقيق: لويس مولينا، (المجلس الأعلى

للأبحاث العلمية، مدريد، ١٩٨٣م)، ١٣١.

(٢) مؤلف مجهول، كتاب تاريخ الاندلس، ١٦٦.

(٣) نفس المصدر، ١٧٢.

وليس هذا فحسب؛ بل في سنة (١٨٩هـ/٨٠٤م) حلّ وباء كبير على المجتمع مجهول الاسم، وأصابهم الموت والجوع بسببه، وهذا حصل عندهم أول مرة. فكان الكثير منهم يطلقون تسمية الطاعون على كل مرض يصيب الناس حتى وإن اختلفت أعراضه، لعدم معرفتهم علمياً بتلك الأوبئة بسبب بدايات التطور العلمي العربي والإسلامي، لاهتمام أغلب العلماء بالعلوم الشرعية على الرغم من أن هذا الوباء كان سريع الانتشار وشمل بلاد المغرب والأندلس^(١).

ومن مصاعب الحياة الابتلاء بسبب ما يقوم به قسم من الفاسدين ضمن حكم العباسيين بقتل وصلب المعارضين لهم على ممارسات الفساد في السلطة ومن دون رحمة وتركهم في العراء، وعلى سبيل المثال ما حصل في قرطبة بـ: وقعة الريض^(٢) سنة (١٩٨هـ/٨١٣م)، وقيل سنة (٢٠٢هـ/٨١٧م)^(٣)، قال النويري بما نصه: "وفي سنة ثمان وتسعين ومائة كانت وقعة الريض بقرطبة، وسببها أن الحاكم كان كثير التشاغل بالشرب واللهو والصيد وغير ذلك مما يجانسُه، وقد قدّمنا ما كان قد فعله بأهل قرطبة لما أرادوا خلعه ومن صلب منهم. فزادت كراهة أهلها فيه، وصاروا يتعرّضون لجنده بالأذى والسّبّ، وبالغوا حتى إنهم كانوا ينادون عند انقضاء

(١) نفس المصدر، ١٣١.

(٢) ابن الأبار، محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي (ت: ٦٥٨هـ/١٢٦٠م)، الحلة السرياء (في تراجم الشعراء من أعيان الأندلس والمغرب)، حققه وعلق على حواشيه: حسين مؤن، (الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٣م)، ٤٤/١.

(٣) ابن الأبار، نفس المصدر، ٤٤/١.

الأذان/ الصلاة يا مخمور الصلاة! وشافهه بعضهم بالقول وصفقوا عليه بالأكف" (١).

أما ما تفعله الحشرات فهذا أمر آخر، فعند الاطلاع على مصادر التاريخ، لاسيما في بلاد المغرب والاندلس لمدن وقعت بها حوادث عدة منها سنة (٢٠٧هـ/—٨٢٢م) في خلافة عبد الرحمن الأوسط (ت: ٢٣٨هـ/—٨٥٢م)، بسبب ما قام به الجراد بإتلاف المحاصيل الزراعية، إذ أصابت الناس مجاعة كبيرة ألفت بهم بسببها. قال ابن حيان القرطبي (ت: ٤٦٩هـ/—١٠٧٦م): "نالت أهل الأندلس مجاعة شديدة صدر أيام الأمير عبد الرحمن سنة سبع ومائتين وكان سببها انتشار الجراد بالأرض ولحسه الغلات وتردده بالجهات، فنالت الناس مجاعة عظيمة، كفى حدها الأمير بإطعام الضعفاء والمساكين من أهل قرطبة، فيهم باسم: أيوب العابد المستجاب" (٢).

وفي موعظة أخرى قد نستفد منها في حياتنا المعاصرة ألا وهي ظهور انتشار القمل في الزروع، ففي سنة (٢٢٢هـ/—٨٣٦م) لحق الضرر في اقتصاد المجتمع بحيث أصبحوا يعيشون الخوف من عدم الاستفادة من غلاتهم، فضلاً عما يصيبهم من وباء من تلك الحشرات الضارة للإنسان إلا أن دعاء الناس وبفضل الله عليهم الذي استجاب عندما أرسل طيوراً كبيرة

(١) أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي (ت: ٧٣٣هـ/—١٣٣٢م)، نهاية الأرب في فنون الأدب، (دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ١٤٢٣هـ/—٢٠٠٢م)، ٣٧٠/٢٣؛ للمزيد من التفاصيل، يُنظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٢٩٨/٦.

(٢) ابن حيان القرطبي، أبو مروان حيان بن خلف بن حسين بن حيان (ت: ٤٦٩هـ/—١٠٧٦م)، المقتبس من أنباء الأندلس، تحقيق: محمود علي مكي، (نشر المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٣٩٠هـ)، ٢٧.

الحجم من العصافير، إذ كانت هذه الطيور تأكل القمل حتى فنته كاملاً على الرغم من كثرته بعد أن ظن الناس أنه سيبقى في آثاره السلبية عليهم. ولوجود أوبئة أو كوارث، فقد كان ابن حيان القرطبي يركز في ذكره للأحداث مبيّناً زمانها ومكانها وسبب الحدث الذي أدى لهذه الظواهر، ذكر ظاهرة غريبة شوهدت من الناس ألا وهي تساقط النجوم سنة (٢٢٤هـ/٨٣٨م)، قائلاً: وفيها تساقطت النجوم من هذه السنة الذي ضاقت بها الناس لما وقع بها من قحط كبير، لاسيما من عهد الامير عبد الرحمن الأوسط^(١).

كما وقع في سنة (٢٣٢هـ/٨٤٦م) القحط الذي عم الأندلس، فضلاً عن الحرق والجوع لنقص الزروع والدواب، قال ابن حيان: " وفيها كان القحط الذي عم الأندلس، فهلكت المواشي، واحتترقت الكروم، وكثر الجراد، فزاد في المجاعة وضيق المعيشة"^(٢).

ومن خلال هذا العرض لهذه الحوادث التاريخية يتضح لنا ان المؤرخ كثيراً ما كان يستخدم عرضاً من دون ذكر الأوبئة أو الأمراض التي تخلفها لاحقاً على الرغم من بيانه الأخبار والأسباب بإيجاز، ومن المحتمل أنها وقعت والحقت الضرر من دون الخوض في تفاصيلها حينذاك.

(١) المقتبس من أنباء الأندلس، ١٨٠.

(٢) ابن حيان القرطبي، المقتبس من أنباء الأندلس، ١.

المبحث الثاني الأوبئة المتبسة في العصر العباسي الثاني (٢٢٢-٣٣٤هـ/٨٤٧-٩٤٦م)

ورث العرب المسلمون وغيرهم من الدّين السماوي الكثير خاصة في علوم البدن ومن العصرين الأموي والعباسي، فضلاً عما سبقهم، إذ استفادوا من علوم المتطببين مثل ديسقوريدوس وجالينوس في القرنين الأول والثاني بعد ميلاد نبي الله عيسى (عليه السلام)، فقام العرب بترجمة هذه العلوم الطبية مستعينين بعدد من المترجمين، ومنهم على سبيل المثال: إسحاق بن حنين (ت: ٢٩٨هـ/٩١٠م)، وقسطا بن لوقا البعلبكي (ت: ٣٠٠هـ/٩١٢م) وغيرهم كثير.

وعلى الرغم مما سبق، يمكن القول إن بعض الأوبئة والحوادث الطبيعية قد أراد الله تعالى منها عودة الناس إلى رشدهم وترك الغي، فكثيراً ما يرسل الله تبارك وتعالى علامات غايتها ترك المعاصي كما حصل في العراق. قال ابن تغري بردي في سنة (٢٣٤هـ/٨٤٨م) هبت ريح بالعراق شديدة السموم لم يعهد مثلها، إذ أحرقت زروع بغداد والكوفة والبصرة في وسط وجنوب العراق وقتلت المسافرين، ودامت خمسين يوماً ثم اتصلت بهمذان فأحرقت أيضاً الزروع والمواشي ثم اتصلت بالموصل وسنجار، ومنعت الناس من المعاش في الأسواق، ومن المشي في الطرقات، كما أهلكت خلقاً كثيراً^(١).

(١) أبو المحاسن جمال الدّين يوسف الأتابكي (ت: ٨٧٤هـ/١٤٦٩م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، (المؤسسة المصرية العامة للتأليف، مصر، (د. ت.))، ٢/٢٧٥.

ذكر الذهبي ذلك في قوله : " وفيها هبت ريح بالعراق - ما قيل - شديدة السموم، لم يعهد مثلها، أحرقت زرع الكوفة، والبصرة وبغداد، وقتلت المسافرين. ودامت خمسين يوماً، واتصلت بهمدان، فأحرقت الزرع والمواشي، واتصلت بالموصل وسنجار، ومنعت الناس من المعاش في الأسواق، ومن المشي في الطرق، وأهلكت خلقاً كثيراً والله أعلم بصحة ذلك" (١).

ولم تقف الرسائل الربانية عن ذلك التحذير، بل تستمر طالما يستمر الكثير من الناس إتيان المعاصي، قال ابن تغري بردي في سنة (٢٣٧هـ / ٨٥١م) بما نصه : " وفيها ظهرت نار بعسقلان، أحرقت البيوت والبيادر، وهرب الناس، ولم تزل تحرق إلى ثلث الليل ثم كفت، بإذن الله" (٢).

لقد استمرت الكوارث ولم تهدأ مخلقة أمراض عدة، ومنها ما وقع في دمشق من زلزلة مهولة سقطت منها الدور وامتدت إلى انطاكية، قال السيوطي (ت: ٩١١هـ / ١٥٠٥م) : " وفي سنة أربعين [يقصد: ٢٤٠هـ / ٨٥٤م] سمع أهل خلاط صيحة عظيمة من جو السماء، فمات منها خلق كثير، ووقع برد بالعراق كبيض الدجاج، وخسف بثلاث عشرة قرية بالمغرب" (٣)، فضلاً عما ذكره قسم من المؤرخين من بلاء غريب

(١) يُنظر: الذهبي، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (ت: ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م)، تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، (دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م)، ٧٤٥/٥.

(٢) الذهبي، تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام، ٢٣/١٧؛ ابن تغري، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ٢/٢٩٠؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ٢/٢٩٠.

(٣) الذهبي، تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام، ٣٠/١٧؛ تاريخ الخلفاء، ٣٧٥.

وعجيب، فقد وقعت في سنة (٢٤١هـ/٨٥٥م)، صيحة عظيمة سمعها خلق عظيم من جو السماء لم يسمع بها أحد من قبل (١).

إن هذه الأمور التي تظهر بعلامات ثم قد تترك أمراض لا يمكن الركون عليها من دون البحث عن الأسباب، ليس على الإنسان فحسب، بل قد تصيب الحيوانات أيضاً مخلقة وراثتها أمراض عدة قد لا تحمد عقباها، ففي السنة نفسها أي (٢٤١هـ/٨٥٥م) نفوق العديد من البقر مرة واحدة، قال ابن كثير: " وفيها مات من الدواب شيء كثير، ولاسيما البقر " (٢)، إذ أصيبت بمرض لم يفصح عنه، ومن طبيعة هذه المتغيرات في البيئة يتوقف البيع والشراء، لما قد تمتلك الكثير من الأمراض قبل وبعد وفاتها، كونها مصابة بوباء يجهله العلماء والأطباء البيطريون ومدى تأثيرها على صحة الإنسان والبيئة في وقت واحد، ولم يشر إلى الأضرار التي خلفتها في تناول لحومها من عدمها.

ويستمر مسلسل الألم على المجتمع العربي الإسلامي لأسباب لا نعلم ما أراد الله منها. قال ابن العماد الحنبلي في سنة (٢٤٢هـ/٨٥٦م) رُجمت قرية يقال لها السويداء بـ: ناحية مصر بخمسة أحجار فوق حجر منها على خيمة أعرابي فاخرقت وزن منها حجر، فكان عشرة أرتال فحمل أربعة إلى الفسطاط وواحد إلى تنيس وزلزلت الري وجرجان وطبرستان ونيسابور وأصبهان وقم وقاشان كلها في وقت واحد، وتقطعت جبال عدة، ودنا بعضها من بعض وسمع للسماء والأرض أصوات عالية وسار جبل كان باليمن عليه مزارع قوم إلى مزارع قوم آخرين فوقف عليها. وزلزلت الدامغان فسقط نصفها على أهلها، فهلك بذلك خمسة وعشرون ألفاً من البشر تقريباً،

(١) يُنظر: الذهبي، نفس المصدر، ٣٠/١٧؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء، ٣٧٥.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، ٣٥٧/١٠.

وسقطت بلدان كثيرة على أهلها، ووقع طائر أبيض دون الغراب وفوق الرخمة على دابة ب: حلب لسبع مضين من رمضان فصاح يا معشر الناس اتقوا الله الله حتى صاح أربعين صوتاً ثم طار، وجاء من الغد فصاح أربعين صوتاً، وكتب صاحب البريد بذلك إلى الخليفة المتوكل العباسي (٢٤٧هـ/٨٦١م)، وأشهد خمسمائة إنسان سمعوه بأذانهم لأول مرة^(١). ويبدو من هذه الحوادث إنذار الناس بتقوى الله والرحمة فيما بينهم وبخلافه ينزل غضب الله الواحد الأحد.

وفي سنة (٢٥١هـ/٨٦٥م) ضاقت أرض بغداد ذرعاً بأهلها بسبب المحن التي تتوالى، فقد ذكر الذهبي قائلاً: "وأما بغداد فكان بها قحط لم ير مثله، وهرب الخلق، فكانت النساء يخرجن عشرين وعشراً يمسك بعضهن ببعض ويصحن الجوع الجوع، ثم تسقط الواحدة بعد الواحدة ميتة"^(٢).

إن ما تقوم به الدولة في بعض الأحيان هو عامل مساعد في انتشار الأوبئة والأمراض، ومنها ما قام به محمد بن جعفر المتوكل على الله^(٣). إذ كان قبل وفاته أي في سنة (٢٥٧هـ/٨٧٠م) بمتابعة صاحب الزنج^(٤)

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ١٠٠؛ للمزيد يُنظر: ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ٢٩٦/١١.

(٢) العبر في خبر من غير، ٢٣٩/٢.

(٣) ابن محمد المعتصم بـ: الله، ويكنى أبا أحمد، ولقبه الموفق بالله شقيق الخليفة العباسي المعتمد على الله (ت: ٢٧٨هـ/٨٩١م) الذي توفي في القصر المعروف بـ: الحسنى على شاطئ دجلة في بغداد، ودفن بالرصافة ليلاً. الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ١٢٥/٢.

(٤) علي بن محمد بن عبد الرحيم الورزيني العلوي والمعروف بـ: صاحب الزنج، لأن أغلب أنصاره ومؤيديه كانوا من العبيد ذوي البشرة السوداء. وثورة الزنج بدأت سنة (٢٥٥هـ - ٢٦٩م) على الخلافة العباسية ومركزها مدينة البصرة من جنوب العراق، واستمرت لأكثر من (١٤) سنة قبل أن تتمكن الدولة العربية الإسلامية في القضاء عليها، ويرى مؤرخون أن الثوار بدأوا حركتهم بزنج من شرق أفريقيا، وجيء بهم إلى تلك المدينة كعبيد، ثم =

وأصحابه المعارضين لتلك السلطة، فتمت محاصرتهم بعد سنوات عدة من قيام الثورة في اغوار نهر أبي الخصيب من أرض العراق بشكل قاسي من حيث منع وصول الغذاء والأمان حتى دبّ فيهم الوباء والبلاء، قال الطبري: " فبلغ عنده الرطل من خبز البر عشرة دراهم، فأكلوا الشعير ثم أكلوا أصناف الحبوب ثم لم يزل الأمر بهم إلى أن كانوا يتبعون الناس، فإذا خلا أحدهم بامرأة أو صبي أو رجل ذبحه وأكله ثم صار قوي الزنج يعدو على ضعيفهم، فكان إذا خلا به ذبحه وأكل لحمه ثم أكلوا لحوم أولادهم ثم كانوا ينبشون الموتى فيبيعون أكفانهم ويأكلون لحومهم" (١).

هذا الواقع من المؤكد أن ينذر السلطة والمجتمع بتوقع الوباء على عجل لما تركوا من آثار سلبية كما وصفها الطبري آنف الذكر.

وقد اشار المسعودي أن صاحب الزنج واتباعه كانوا محاصرين في البصرة سنة (٢٥٧هـ/ ٨٧٠م) (٢)، إذ كانوا يختفون بالنهار ويظهرون في الليل سواء أكانوا من أنصاره أم من المؤيدين له، وهؤلاء مهمتهم البحث عن

=توسعت فانضم اليها الأحرار في مناطق عدة من الدولة الإسلامية، وقد كانت ثورتهم واسعة عندما بسط نفوذه على البصرة والأهواز وعبادان وميسان ورامهرمز والبطائح وواسط وصار قريبا من مقر الخلافة العباسية، إذ أسسوا دولة لهم مقرها مدينة المختارة في جنوب البصرة، وأصبحت تهدد العباسيين، فجندوا لها إمكانات بغية سحقها وإنهاء وجودها، وفعلاً تم القضاء عليها، إذ انتهت في سنة (٢٧٠هـ/ ٨٨٣م) ويمكن القول أنها من أطول الثورات في العصر العباسي، فضلاً عن خطورتها على الدولة برمتها.

للمزيد يُنظر: الذهبي، تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام، ٣٨٣/٢٠؛ مغنية، محمد جواد، التفسير الكاشف، (دار العلم، بيروت، ١٩٨٧م)، ٦٥/٢؛ آل شبيب، تحسين، مرقد الإمام الحسين (عليه السلام)، دار الفقه للنشر، قم/إيران، ١٤٢١هـ)، ١٤٢.

(١) تاريخ الرسل والملوك، ١١٧/٨.

(٢) ذكر ابن الجوزي أن هذه الحوادث وقعت سنة (٢٥٨هـ/ ٨٧١م). يُنظر: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ٨/٥.

طعام، لاسيما عن الكلاب ليذبحوها وتناول طعامها، بسبب الجوع الذي ألمّ بهم، فضلاً عن اكلهم حيوانات عدة منها الفئران وغيرها التي تصادفهم لما يعانونه من الجوع، وإذا مات أحدهم أكلوه، فضلاً عن عدم توفر الماء الصالح للشرب.

وقيل: أن هناك امرأة تحتضر، إذ أسرعت النساء إليها لرؤية موتها، بغية أكل لحمها، وهذا من الفظائع بين الناس خلافاً للواقع، وقد يكون فيه مبالغة^(١)، وعرضنا هو للوقوف على حقائق التاريخ في نشر الأوبئة والاستفادة من عضاته.

قال المسعودي أيضاً بما نصه: "كانوا يظهرون بالليل، فيأخذون الكلاب فيذبحونها ويأكلونها، والفئران، والسنانير، فأفندوها حتى لم يقدرُوا منها على شيء، فكانوا إذا مات منهم الواحد أكلوه، ويراعي بعضهم موت بعض، ومن قدر منهم على صاحبه قتله وأكله وعدموا مع ذلك الماء العذب.

وذكر عن امرأة منهم أنها حضرت امرأة تتازع ومعها أختها، وقد احتوشوها ينظرون أن تموت فيأكلوا لحمها، قالت المرأة: فما ماتت حتى ابتدرناها فقطعنا لحمها وأكلناها، ولقد حضرت أختها وقد جاءت على النهر ونحن على مشرعة عيسى بن أبي حرب وهي تبكي ومعها رأس أختها، فقيل لها: وبحك! ما لك تبكين، قالت: اجتمعوا على أختي فما تركوها تموت موتاً حسناً حتى قطعوها، فظلموني، فلم يعطوني من لحمها شيئاً إلا رأسها هذا، وهي تشتكي ظلمهم لها في أختها، ومثل هذا كثير، وأعظم مما وصفنا^(٢).

(١) المسعودي، علي بن الحسين بن علي (ت: ٣٤٦هـ/٩٥٧م)، مروج الذهب ومعادن

الجوهر، (منشورات دار الهجرة، ط٢، إيران، ١٩٨٤م)، ١٢٠/٤.

(٢) مروج الذهب ومعادن الجوهر، ١٢٠/٤.

ونحن نرى قد تكون هناك مبالغات كثيرة فيما ذكرته بعض المصادر التاريخية التي أشارت إلى أسباب ذلك، لأن من هذه الظواهر السلبية تنتج عنها انتشار الأوبئة والأمراض، فضلاً عن ارتفاع الأسعار، ومنها أيضاً ذكر أكل الميت من البشر، وهذا خلاف مبادئ الإسلام، لأن المسلم المؤمن وغيره يفضل الموت على أن يقتل بشراً من أجل أن يأكله.

ومن الواضح أن المسعودي ربط الأحداث التي قد تكون سبباً في تولد هذه الأمراض من خلال تفسيره للأسباب التي منها -كما ذكرنا- ما كان طبيعياً أو ما هو بسبب أحداث وقعت وكانت مؤذية للناس بوجه عام بأفعال فاعلين من البشر لظروف لم يشر لها هو أو المؤرخون آنذاك.

ومن الحوادث ما وقع في بغداد من وباء، ففي سنة (٢٥٨هـ/٨٧١م) هلك الكثير من الناس حتى قيل أن: "الرجل يخرج من منزله فيموت قبل أن ينصرف، فيقال إنه مات ببغداد في يوم واحد اثنا عشر ألف إنسان"^(١). وهذا دليل على وجود وباء لم يحدد نوعه كما هو ملتبس علينا اليوم في وباء كورونا اللعين.

فضلاً عن مجاعة أخرى سميت مجاعة سنة (٦٠)، إذ وقعت في السنة (٢٦٠هـ/٨٧٣م)، فأصبح القحط قائماً ولم يكن في تلك السنة، بل تجاوز السنة الثانية أي سنة (٢٦١هـ/٨٧٤م) وهذا كان بسبب احتباس المطر ونضوب الكثير من الآبار، لاسيما في قرطبة وأصبح الناس تشرب المياه من الأنهار قليلة المياه على الرغم ما فيها من أمراض.

ولم تتوقف هذه الأحداث بقتل المعارضين وتركهم بالعراء كما حصل في سنة (٢٦٤هـ/٨٧٧م)، قال المسعودي أيضاً: "وفي هذه السنة - وهي سنة أربع وستين ومائتين ... ولما ركن من بقي بالبصرة إلى هذا الفعل من

(١) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ٥١٠/٢.

المهلبى بها اجتمعوا في بعض الجمع، فوضع فيهم السيف، فمن ناج سالم، ومن مقتول، ومن غريق، واختفى كثير من الناس في الدور، والآبار، فكانوا يظهرن باللبل، فبأخذون الكلاب فبذبونها وبأكلونها، والفيران، والسنانبر، فأفنونها حتى لم بقدرن منها على شىء، فكانوا إذا مات منهم الواحد أكلوه وبراعى بعضهم موت بعض، ومن قدر منهم على صاحبه قتله وأكله وعدموا مع ذلك الماء العذب" (١).

وذكر ابن الجوزى ذلك فى قوله: "وظهر بالأهواز والعراق وباء، وانتشر ذلك إلى حدود فب (٢)، وكان كل يوم يموت ببغداد خمسمائة إلى ستمائة وكانت هدات كثيرة بالبصرة تساقط منها أكثر المدينة، ومات فىها أكثر من عشرين ألف إنسان" (٣).

نستنتج من هذا النص أنها قد تكون عقوبات من الله تبارك وتعالى على ما كانوا يفعلون خلافاً لسنة الله فى أرضه، ولم يعقب ابن الجوزى القائل لهذا النص عن الأسباب وبقيت مجهولة.

ذكر الطبرى فى سنة (٢٨٥هـ/٨٩٨م) حوادث وكوارث غريبة لم ترد من قبل، لاسيما تلك التى أثارت الرعب فى نفوس الناس، قائلاً بما نصه: "بذكر أن ربحاً صفراء ارتفعت بنواحي الكوفة" (٤)، و أردف قائلاً أنها استمرت حتى تحولت قبل الغروب إلى سوداء مخيفة. ثم قال: "فلم تنزل إلى وقت صلاة المغرب ثم استحالت سوداء فلم يزل الناس فى تضرع إلى

(١) مروج الذهب ومعادن الجواهر، ٤/١١٨-١١٩. للمزبب ينظر: ابن الجوزى، المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم، ٨/٥.

(٢) لم أجد لها مكان ومعنى فى المصادر الجغرافية والتاريخية. ابن الجوزى، نفس المصدر، ٨/٥.

(٣) نفس المصدر، ٨/٥.

(٤) تاريخ الرسل والملوك، ٨/١٩٣.

الله وان السماء مطرت بعقب ذلك مطراً شديداً برعود هائلة، وبروق متصلة ثم سقط بعد ساعة بقرية تعرف بـ: أحمد آباذ ونواحيها حجارة بيض وسود مختلفة الألوان في أوساطها ضغطة شبه أفهار العطارين، فأنفذ منها حجراً، فأخرج إلى الدواوين والناس حتى رأوه" (١).

هذه الظواهر قد تكون نذيرة لأفعال مرفوضة يمارسها قسم من الناس، على حين هناك بعض المنجمون قالوا قبل ذلك أن البلاد سيصيبها الماء واحتمال الغرق لكثرة الأمطار إلا أنها باتت ولم تحصل كما قالوا بقولهم. قال رسول الله (ﷺ): "كذب المنجمون ورب الكعبة" (٢)، وفي قول آخر، نقل القلقشندي قولاً للرسول محمد (ﷺ): "كذب المنجمون ولو صدقوا" (٣).

وفي سنة (٢٨٨هـ/٩٠٠م) أصيبت بلاد الأندلس بوباء كبير، وكان قبله حصول مجاعات إلا أن هذا الوباء كان كثير التأثير على السكان، إذ لم يستطع قسم من الناس دفن الموتى، ولم يقفوا على السبب الذي أودى بحياة الكثير منهم، وبذلك يرون أنه مجرد مرض وبائي، الأمر الذي جعلهم يقومون بدفن موتاهم في قبور كبيرة ويدفنونهم بشكل جماعي أي بقبر واحد (٤).

(١) نفس المصدر، ١٩٣/٨.

(٢) الرازي، فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين (ت: ٦٠٦هـ/١٢٠٩م)، تفسير الرازي والمسمى: مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، (دار أحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م)، ١٩٩/٢٩.

(٣) أبو العباس شهاب الدين أحمد بن علي بن عبد الله الفزاري (ت: ٨٢١هـ/١٤١٨م)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، (بيروت، دار الكتب العلمية، (د.ت.))، ٩٦/١١.

(٤) يُنظر: مؤلف مجهول، كتاب تاريخ الاندلس، ١٥٦، ٢٠٠.

ووقع البلاء المسبب للوباء، ففي سنة (٢٩٧هـ/٩٠٩م) حصل هطول السيل العارم الذي وقع بمكة وألحقت المياه الضرر في بيت الله الحرام، فضلاً عن الطواف وارتفاع الماء في بئر زمزم، ومعروف ما تتركه السيول من سلبات قد تبقى راکدة وربما تصبح بؤرة للوباء والمرض^(١).

وقد حصل أيضاً في سنة (٣٠٠هـ/٩١٢م) بعد أن تعرضت مدن إلى حوادث مخيفة منها انخسافاً في جبل التل بالدينور في بلاد الشام، وظهر من تحته ماء كثير أغرق قرى عدة، على حين في السنة نفسها سقطت من أحد جبال بلاد لبنان قطعة كبيرة بعد انخسافه، وتدحرجها في البحر، وهذا ما لم يرى مثله من قبل^(٢)، ولم يرد ذكره على السنة الناس، لاسيما من الرواة قبل وقوع تلك الحادثة، وبقيت من دون تعليق عن أسباب ذلك.

قال الطبري: "وفي هذه السنة كثرت الأمراض والعلل ببغداد في الناس، وذكر أن الكلاب والذئاب كلبت فيها بالبادية، فكانت تطلب الناس والدواب والبهائم، فإذا عضت إنساناً أهلكته"^(٣).

ولم يوضح أسباب انتشار هذه الحوادث وما خلفته من أمراض قاتلة، فأصبحت ملتبسة عليهم، كما هي ملتبسة علينا اليوم في الوباء المستجد. ولم يهمل الكثير من المؤرخين هذه الحوادث التي مرّ بها المجتمع العربي الإسلامي، ومنها ما ذكره الطبري أيضاً الذي كان شاهد عيان على هذا الوباء عندما أحل في مدينة بغداد، لاسيما سنة (٣٠١هـ/٩١٣م) وما قبلها فنجا منه بأمر الله تعالى.

(١) يُنظر: <https://alqabas.com/article/١٦٤٦٢٩> ينظر: في هذا الموقع تفاصيل

السيول كلها التي تعرضت لها مكة المكرمة بما فيها السيل آنف الذكر. تاريخ الدخول في

الموقع: ٢٠٢٠/٥/١٥م.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، ١١/١٣٤

(٣) تاريخ الرسل والملوك، ٨/٥٥.

قال الطبري عن ذلك الوباء المنتشر في بغداد عاصمة الخلافة العربية الإسلامية بما نصه: " وفيها كثر أيضاً الوباء ببغداد فكان بها منه نوع سموه (حنينا) ومنه نوع سموه (الماسرا)، فأما الحنين فكانت سليمة، وأما الماسرا فكانت طاعونا قتالة" ^(١)، وقال أيضاً: " كثر الأمراض والعلل ببغداد وفشا الموت في أهلها" ^(٢). وهذه الأوبئة مجهولة ولم ترد في المصادر الطبية مثل كتاب: عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة، ومن المحتمل أنها تحمل صفات وأعراض وباء كورونا المتببس معه أو غيره من الأوبئة المجهولة تقريباً والله أعلم.

وقد تكون الرياح العاتية سبباً في حمل الكثير من الأوبئة إن صح التعبير، عندما تكون شديدة وقاسية لما قد تنقله أو تتركه، لاسيما في بيوت الفقراء كما حصل في الأندلس سنة (٣٠٧هـ/٩١٩م)، إذ هبت ريح شديدة سوداء كما وصفها أحد المؤرخين، الأمر الذي لزم الناس المساجد خوفاً، وهم يعلنون التوبة لله الواحد القهار ^(٣). وفي بعض الأحيان تأتي خلاف الاتجاهات الأربعة قال احد الباحثين بما نصه: " وكانت الريح أحيانا تهب منحرفة عن الجهات الأربع الأصلية فكان العرب يدعونها عند ذلك بالنكباء." ^(٤)

وفي سنة (٣٢٤هـ/٩٣٥م) أشار ابن حيان إلى ظاهرة قاتلاً: فكانت سنة صعبة على أغلب أفراد المجتمع لما مرّوا فيه من ضائقة اقتصادية قلّ نظيرها، وقال: وفيها أمحل العام عجباً. وبرزت هناك ظاهرة غريبة في

(١) نفس المصدر، ٢٥٥/٨.

(٢) نفس المصدر، ٦٥٥/٨.

(٣) مؤلف المجهول، كتاب تاريخ الأندلس، ١٦١.

(٤) باشا، أحمد حسن الزيات، مجلة الرسالة، ((د. ط)، (د. م)، (د. ت))، ٦٨/١١.

السماء نظر إليها القاصي والداني من خلال وصفه لها، إذ بدت في الأفق جمرة والضحي غابت، ولم يقدم لنا تفسيراً دقيقاً ماذا وقع في الأرض والناس عليها، وهذه الظاهرة قد يعجز الإنسان عن تفسيرها، لقلة التطور العلمي فلكياً إلا بصورة بسيطة حينذاك خلاف ما نعيشه اليوم.

فضلاً عن ذلك، فقد حصل في سنة (٣٢٦هـ/٩٣٧م) عندما أصاب الناس أمراض معدية، ومنها ظهور الجرب والبثور في قسم كبير من الناس رجالاً ونساءً لأسباب مجهولة، وعلى ما يبدو أن هذا المرض والوباء انتشر وانتقل بين الناس بالجو وربما يشبه وباء كورونا (كوفيد-١٩) المستجد اليوم عند العطس أو اللمس أو غيرها، والدليل على ذلك تعرض الحيوانات البرية للأعراض نفسها، وقيل عن بعض الناس كانوا " يصيدون حمر الوحش بأيديهم فيعافون أكلها " ^(١). لما تحمله من أمراض، إذ يخافون تناولها فيصيبهم ذلك.

وهناك الكثير من المتغيرات الطبيعية التي حصلت، وعلى سبيل المثال الحرائق التي لا مجال لتوضيحها، إذ يضيق المقام في بيان تفاصيلها، ويمكن للقارئ اللبيب الرجوع إلى المصادر التاريخية ليجد حجم المعاناة التي مرت بالأمة الإسلامية خلال قرون خلت، ويمكن القول إن الله تعالى قد يرسلها لقتل الأوبئة أو لغايات يعلمها هو وحده لا شريك له.

ولا أريد أن اكون سباقاً في الرأي، ولكنني أقول قد تكون هذه عقوبات أو متغيرات أراد الله بها أن تكون على الناس أما نعمة لما هم فيه أو نقمة بما هم عليه والله أعلم.

إن الأوبئة لم تكن بمكان محدد بل تنتشر بين الحين والآخر وتنتقل كهشيم النار في بلدان إسلامية وغير إسلامية عدة، فنجدها على سبيل

(١) ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ١٠٢/١٦.

المثال للحصر في: مصر وبلاد الشام والأندلس، والعراق ومنها مدينة بغداد التي كانت مشمولة بهذه الأوبئة وليس هي حصراً؛ بل تعدت إلى مدن كثيرة مثل: ديالى من أرض العراق التي تأثرت بتلك الأمراض، ففي سنة (٣٢٩هـ/٩٤٠م)، وسنة (٣٣٠هـ/٩٤١م) ظهرت أمراض وافدة من بغداد وما جاورها وسمي مرض الحميات (١).

على حين وقعت مجاعة في سنة (٣٣١هـ/٩٤٢م) لم يعرف سببها، إذ استغاث الناس من الفقر والجوع، قال أحد المؤرخين بما نصه: "وأغاث الله تعالى الضعفاء عند تعذر الخبز بجراد أسود" (٢).

ونزعم على أساس ما لدينا من مادة أن على امتداد تاريخ الدولة العربية الإسلامية التي شهدت أزمات عدة كان قسم منها يشكل تهديداً لصحة وبقاء الدولة والبشر في مواضع كثيرة، كما كانت سبب في عدم تقدمهم الاجتماعي والاقتصادي والعلمي في هذه الفترة بسبب دخول الأعاجم من الأتراك على مفاصل الدولة، وما جاؤوا به من أمور معلنة أو غير معلنة بسبب طبيعة المناخ في آسيا وفي بلدان العالم الإسلامي، بل إن الأمر ازداد سوءاً، إذ لوحظ أن الكثير عانوا من الشقاء التي تسببها الأوبئة ويهتم بها المتضررين من دون الدولة، وكان بالإمكان تجاوزها أو تقليل أضرارها إذا تضافرت الجهود الدولة والمجتمع عموماً لإنقاذ حياة الكثير من الناس وتقليل معاناتهم على وفق مبادئ الإسلام، ومنها الحد من ظاهرة الفقر التي لم يلتفت إليها قسم من الحكام سابقاً ولاحقاً، الأمر الذي يصاحب الكثير بعض الأوبئة والأمراض والحشرات الناتجة عن الجوع في أغلب الأحيان.

(١) يُنظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٣٧٧/٨.

(٢) الهمداني، محمد بن عبد الملك (ت: ٥٢١هـ/١١٢٧م)، تكملة تاريخ الطبري، تحقيق: البرث يوسف كنعان، (المطبعة الكاثوليكية، ط٢، بيروت، ١٩٦١م)، ١/١٣١.

المبحث الثالث الأوبئة المتبسة في العصر العباسي الثالث

(٣٣٤-٤٤٧هـ/٩٤٥-١٠٥٥م)

إنماز بعض المؤرخين بتدوين الكثير من الكوارث أو الحوادث الطبيعية التي مرّت بها الأمم والشعوب فدونت في مصادرهم، وهذا بحسب طبيعة المؤرخ من حيث رؤيته أو نقله للخبر الذي عايشه أو سمع من الرواة عنه، إذ بينوا تلك الأخبار للفائدة؛ بغية تجاوز الأزمات أولاً التي قد تنشأ مستقبلاً، ومعالجة الحالات التي قد شفيت للاستفادة من تجارب العقاقير التي تناولوها ثانياً.

فقد كانت سنة (٣٣٤هـ/٩٤٥م) مليئة بالمعاناة هي الأخرى، قال الهمداني بما نصه: "وأكل الناس في يوم الغلاء النوى والميتة وكان يؤخذ البزر قطونا ويضرب بالماء ويبسط على طابق حديد ويوقد تحته النار ويؤكل فمات الناس بأكله وكان الواحد يصيح الجوع ويموت ووجدت امرأة قد شوت صبياً حياً فقتلت" (١).

أما في سنة (٣٤٣هـ/٩٥٥م)، فقد أصاب بغداد ومدن عدة وباء كبير مات بسببه آلاف البشر. ذكر ذلك ابن الجوزي قائلاً بما نصه: "حدث في ابتداء المحرم بأصبهان علة مركبة من الدم والصفراء، فشملت الناس فرمما هلك جميع من في الدار، وكان أصلح حالاً من تلقاها بالفصد، وكانت بقية العلة قد طرأت على الأهواز وبغداد وواسط واقترن بها هناك وباء حتى كان يموت كل يوم ألف نفس" (٢). ولم يكتفي هذا الوباء بهذه الاعداد من

(١) تكملة تاريخ الطبري، ١/١٥٢.

(٢) ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ٦/٣٧٧.

الوفيات المهلكة؛ بل أصبحت العائلة كلها ميتة في مكانها، ولم يعرفوا سبب تلك الوفاة^(١).

وهناك من المؤرخين من عايش الأحداث الكارثية على الناس، ومنهم المسعودي لأنه كان من الرحالة الذي اتسم بنقل الأخبار وتدوينها كما ذكرنا آنفاً، فقد أشار إلى وقوع زلزال عظيم في سنة (٣٤٤هـ/٩٥٥م)، لاسيما في بلاد الشام ومصر والمغرب العربي بساعة واحدة، إذ كان هو يعيش بالفسطاط من بلاد مصر.

وأضاف المسعودي أيضاً: "وتهدم في شهر رمضان سنة ٣٤٤ [هـ/٩٥٥م] نحو من ثلاثين ذراعاً من أعاليها بالزلزلة التي كانت ببلاد مصر، وكثير من بلاد الشام والمغرب في ساعة واحدة، على ما وردت به علينا الأخبار المتواترة ونحن بفسطاط مصر، وكانت عظيمة جداً مهولة فظيعة، أقامت نحو نصف ساعة زمانية"^(٢). ولم تكن هذه الحوادث تقع في مناطق محدودة، بل تمتد وتنتشر إلى مناطق أخرى، ومنها كما قال في طبرستان وما وقع فيها من حوادث مهولة بما نصه: "لم أر أعظم أمراً من هذه الزلزلة ولا أطول مكثاً، وذلك أني تبينت تحت الأرض كالشيء العظيم يحاكيها ماراً تحتها وهازراً ومحركاً لها، كأنه أعظم منها وكأنها كالنائية عنه، مع دوى عظيم في الجو"^(٣).

وقال أيضاً: "زلازل تواترت كان مبدؤها من نحو بلاد الصين إلى أن اتصلت ببلاد فرغانة، وهذه البلاد هلك فيها خلقٌ كثير من الناس، فمنها ما

(١) يُنظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ١١/٢٢٠.

(٢) أبو الحسن علي بن حسين (ت: ٣٤٦هـ/٩٥٧م)، التنبيه والإشراف، تح: عبد الله

اسماعيل الصاوي، (دار الصاوي، القاهرة، (د.ت))، ٤٤.

(٣) التنبيه والإشراف، ٤٥.

صار موضعها آجاماً ومياها سوداً منتنةً، ومنها ما صارت كالرماد لانقلابها في سفوح جبال شاهقة منيعة" (١).

وفي السنة (٣٤٤هـ/٩٥٥م) ذاتها أيضاً، فقد كانت هي الأخرى فيها وباء بمدينة الري من خراسان. قال ابن العماد الحنبلي بما نصه: "توفي في رمضان سنة أربع وأربعين وثلاثمائة فيها أقبل أبو علي بن محتاج صاحب خراسان وحاصر الري فوقع بها وباء عظيم فمات عليها" (٢).

ومن اللافت أن هناك مدن تكثر فيها المزروعات، الأمر الذي تزداد فيها الأمراض مثل مدينة ديالى من أرض العراق على سبيل المثال، إذ كانت وما تزال كثيره النباتات والاشجار، فنجد قسماً منها تصاب بـ: مرض الملاريا، بسبب كثافة تلك المزروعات، وهذه قد تخلق وباء شديد يضر المزارعين سواء أكانوا كباراً أم صغاراً في تلك المدينة وخارجها، بسبب ضعف مكافحة الحشرات، وعدم توفر مواد مضادة لها فتؤثر عليهم ويصابون بالأوبئة.

ففي سنة (٣٤٧هـ/٩٥٨م) وقع وباء خطير في تلك المدينة، ولم يعرف ماهيته وانتقل إلى مدن عدة، لاسيما مدينة بغداد وواسط من العراق، إذ كان له وقع شديد في نفوس المزارعين تاركاً خلفه الكثير من الموتى، وتلف الكثير من المحاصيل الزراعية التي بسببها تضررت الموارد الاقتصادية، وما تخلفه من آثار نفسية على المجتمع عموماً (٣).

(١) نفس المصدر، ٤٥.

(٢) شذرات الذهب، ٣/٣٦٣.

(٣) يُنظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٩/٤٩٥؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٨/٥٢٥؛ آدمز، روبرت ماك، أطراف بغداد، تاريخ الاستيطان في سهول ديالى، ترجمة: صالح أحمد العلي، وعلي محمد المياح، وعامر سليمان، (مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٨٤م)، ٨٧.

ذكر ابن كثير أن في سنة (٣٤٧هـ/٩٥٨م) وقع وباء جلل، قائلاً بما نصه: "كان ببلاد الجبل وباء عظيم، مات فيه أكثر أهل البلاد، وكان أكثر من مات فيه النساء والصبيان، وتعذر على الناس عيادة المرضى، وشهود الجنائز لكثرتها، وفيها انخسف القمر جميعه" (١). وهذا الوباء لم يحدد نوعه فهو ملتبس عليهم كما هو اليوم وباء كورونا الملتبس علينا الذي انتشر بمدن عدة من العالم مخلفاً وراءه الكثير من المصابين، فضلاً عن الوفيات. وقد يكون الفقر المؤدي إلى الجوع سبب تكاثر الأمراض، وما هو إلا مؤشر أو مؤثر في حركة نشاط الدولة من خلال ما يقوم به العاملين فيها بواجباتهم، إذ تحصل الأمراض للسبب أعلاه ويتوفى الناس والدولة قد تكون عاجزة عن تأمين تكاليف العلاج، ومنها ما وقع في سنة (٣٤٨هـ/٩٥٩م)، إذ كان الموت يداهم الناس فجأة، وأصبح مصيبة على الذين يخرجون من بيوتهم، لاسيما من هو مكلف بأمر وشؤون العمل في أعمال الدولة المختلفة، ومنهم القضاة لتسهيل شؤون حياة المجتمع كلاً ضمن عمله عند تعرضهم للمحن ولما هم بحاجة إليه، كما أنهم على ما يبدو لم ينفذوا الحجر الصحي، وقد يكون لأسباب عدة منها ارتكاب الفواحش ما ظهر منها وما بطن، قال ابن الحراني أن رسول (ﷺ) قال: "إذا كثرت الزنا بعدي كثرت موت الفجأة" (٢).

ذكر العجلوني عن الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) أن رسول الله (ﷺ) قال: "يا معشر المسلمين إياكم والزنى، فإن فيه ستّ خصال، ثلاث في

(١) الكامل في التاريخ، ٥٢٥/٨.

(٢) تحف العقول عن آل الرسول (ﷺ)، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، (مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم/إيران، ١٤٠٤هـ)، ٥١؛ للمزيد يُنظر: الشاكري، الكبائر من الذنوب، ٤١.

الدنيا وثلاث في الآخرة، فأما التي في الدنيا، فإنه يذهب بالبهاء، ويورث الفقر، وينقص العمر، وأما التي في الآخرة، فإنه يوجب سخط الرب، وسوء الحساب، والخلود في النار" ^(١)، وقال النبي (ﷺ): سولت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون ^(٢)، وهذا مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْنَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ ^(٣).

وذكر ابن الجوزي أن من أسباب هذه الأوبئة التي تنتشر بين الفينة والأخرى هو نقص المياه أو تلوثها، ففي سنة (٣٥٤هـ/٩٦٥م) تعرض بلاد العراق إلى أزمة حادة من نقص المياه، قائلاً بما نصه: "تعرضت دجلة في هذه السنة نقصاناً مفرطاً وغارت الآبار" ^(٤)، وهذه الظاهرة تترك آثاراً نتيجتها أمراض قد لا تحمد عقباها، ولم يعقب على ما وقع بعد هذه الكارثة بسبب النقص المفرط.

ومن نتائج المجاعات ضعف الدولة وعدم إمكانية مواجهة الأعداء المتربصين بها سوءاً كما ذكر ابن خلكان، ففي سنة (٣٥٨هـ/٩٦٩م) أن جوهر الصقلي ^(٥) غزا مصر عندما كانت تحت حكم الدولة الإخشيدية،

(١) كشف الخفاء ومزيل الإلباس، ٤٤١/١.

(٢) كشف الخفاء ومزيل الإلباس، ٤٤١/١؛ يُنظر: البغدادي، عبد اللطيف، الشفاء الروحي

والجسمي في القرآن، (الدار الإسلامية للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠٠٣م)، ١٩٥.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٣٣.

(٤) ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ٥١/٧.

(٥) أبو الحسين جوهر بن عبد الله، ولد في صقلية عام (٣١٦هـ/٩٢٨م)، ويعرف أيضاً باسم جوهر الرومي، وعلى ما يبدو فإنه من أهم وأشهر القادة في التاريخ الفاطمي، كونه مؤسس مدينة القاهرة الفاطمية، فضلاً عن بناءه الجامع الأزهر، الذي فرغ من بنائه عام (٣٦١هـ/٩٧١م)، وهو من أقام سلطان الفاطميين في الشرق، وفتح بلاد المغرب ومصر وفلسطين والشام والحجاز، وينسب جوهر الصقلي للشعبة الإسماعيلية، والمعروف أن الفاطميين ينسبون إلى الشعبة بوجه عام. توفي في القاهرة سنة (٣٨٢هـ/٩٩٢م).

وكان سبب غزوه بسبب ما تعاني منه البلاد من ضائقة اقتصادية، فضلاً عن انتشار الوباء نفس الوقت، وتفشيته بين الناس. قال ابن خلكان: " وكان بمصر في تلك السنة غلاء عظيم، ووباء حتى مات في مصر وأعمالها في تلك المدة ستمائة ألف إنسان على ما قيل "(١).

وتأتي مرة أخرى السيول التي يمكن تسميتها بـ: النكباء، لاسيما في سنة (٣٦١هـ/٩٧١م)، إذ استمرت أياماً عدة الحقت الضرر بكل ما يحتاجه الإنسان والحيوان على حد سواء من أجل البقاء.

ومن الغريب حقاً أننا لم نعرف ماذا كانت تفعل السلطات الادارية لوضع الحلول المناسبة لمواجهة تلك السيول، لاسيما وأنها كانت تضرب المدن، وعلى سبيل المثال المدن الأندلسية على حين وصف المؤرخون هذه الحوادث بالعموم -كما أسلفنا- على الرغم من أنها تشكل كوارث إنسانية مؤثرة، ولا بد لنا من ان نتساءل عن سببها ونضعها أمام المؤرخين في تلك العهود سالفة الذكر، كونها تترك أوبئة إذا ركدت المياه مما يصعب العيش عند استخدامها.

أما في سنة (٣٦٧هـ/٩٧٧م) فقد وقعت أحداث منها، مجاعة في بغداد وسببت انتشار أوبئة أدت إلى وفاة الآلاف من البشر، علماً أن الكثير من المتوفيين لم يتم تغسيلهم وتكفينهم وفقاً للشريعة الإسلامية؛ خوفاً من إصابة الناس بالعدوى، وهذا ما يشبه اليوم أعراض وباء كورونا المُعدي بادئ الأمر عند ملامسة المتوفى، فلم يُسلموا إلى أهلهم وذويهم خوفاً عليهم وعلى

يُنظر: القرشي يحيى بن علي (ت: ٦٦٢هـ/١٢٢٥م)، تحقيق: محمد خرشافي، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧-١٩٩٦م)، ٤١؛ ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين محمد (ت: ٦٨١هـ/١٢٨٢م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، (دار صادر، بيروت، ١٩٧٧م)، ٣٧٥/١.

(١) ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ٢٢٦/٥؛ ابن العماد، شذرات، ٥٣.

الناس جميعاً من الإصابة بالعدوى، بل تم دفنهم بمقبرة خاصة، ففي العراق على سبيل المثال اتخذت السلطات الحكومية قراراً بأن يكون الدفن في محافظة النجف حصراً التي تبعد عن العاصمة بغداد بحدود (٢٠٠) كيلو متر، وخارج حدود المدينة بحدود (٢٠) كيلو متر تقريباً ونفذ ذلك الأمر فعلاً ولم يسمح لأحد بزيارة القبور خوفاً من العدوى. ولكن كشفت تقارير طبية أن الفيروسات لا تؤثر على الأصحاء بعد الوفاة، مما اتخذ إجراء آخر يقضي بتسليم المتوفي لذويه ودفنه مع مقابر عامة الناس. الأمر الذي أعاد الكثير من الناس جثث موتاهم إلى ذويها مرة أخرى، ودفنت مع المقابر داخل مدنهم، وهذا غيض من فيض بما سمعناه من قصص عدة بما كانوا يفعلون عند الدفن لا مجال لسردها.

قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^(١)، من هذه الآية المباركة نستنتج أن الأمة الإسلامية فيها أناس يؤمنون بالله عز وجل يعبدون الله ويتصدقون، وآخرون عصاة فيهم من كانوا يأتون الفواحش ما ظهر منها وما بطن، فينزل غضب الجبار فجأة وهم لا يشعرون، قال الهمداني بما نصه: "وكثر الموت حتى كان يدفن الجماعة من غير غسل ولا صلاة وظهر من قوم فيهم دين وصدقة على الأحياء وتكفين الموتى وظهر من آخرين فجور ومنكرات، وكان علي بن عيسى والبقري يكفنان الناس على أبواب دورهما"^(٢).

(١) سورة الأعراف، الآية: ٩٦.

(٢) الهمداني، تكملة تاريخ الطبري، ١/١٢٠.

وفي سنة (٣٧٣هـ/٩٦٨م) أصاب بلاد الأندلس وباء جارف رافقته سيول شديدة وأمطار غزيرة^(١)، وهذه بطبيعتها تترك مخلفات لعدم وجود شبكات صرف صحي من جهة، والطين اللازب يُخلف آثار سلبية على الناس جميعاً من جهة أخرى، ومن المحتمل إصابتهم بأمراض متنوعة إذا بقي من دون جفاف كونه مؤثر على الدور والناس في آنٍ واحد.

كما أن في السنة ذاتها (٣٧٣هـ/٩٨٣م) وقعت مجاعة، قال عنها ابن الجوزي بما نصه: "زادت الأسعار في هذه السنة زيادة مفرطة، ولحق الناس مجاعة عظيمة، وبلغ الكر الحنطة في رمضان: ثلاثة آلاف درهم تاجية، وبلغ في ذي القعدة أربعة آلاف وثمانمائة درهم، وضج الناس، وكسروا منابر الجوامع، ومنعوا الصلاة في عدة جمع، ومات خلق من الضعفاء جوعاً على الطريق"^(٢).

مما تقدم لا بد من القول إنه لا يمكننا معرفة السبب في هذه المجاعات، فهل هي أمراض أم جذب أم ماذا^(٣)، وكيف نقف على تلك الحقائق بأكثر تفصيلاً، لأن هذه الأحوال لم يتطرق لها الكثير من المؤلفين بشيء من التفصيل، على الرغم من أن هناك من كتب عن الإنسان والحيوان والنبات قبل هذه الفترة بأكثر من قرن تقريباً، وتشخيصه للأمراض التي حصلت لها، ومنهم الأصمعي على سبيل المثال للحصر^(٤).

(١) يُنظر: مؤلف مجهول، كتاب تاريخ الأندلس، ١٧٣.

(٢) ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ٣٠٢/١٤.

(٣) عنتر، سهيل تركي، أثر الكوارث الطبيعية على الوضع الاقتصادي في الدولة العربية الإسلامية، (مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإنسانية، العدد ٢، حزيران ٢٠١٨م)، ٥٥.

(٤) يُنظر كتابنا: مشالي، علي عبد، علوم الحياة في مؤلفات الأصمعي ومنهجه وموارده/ دراسة مقارنة (١٢٣-٢١٦هـ)، (دار الحداثة، بغداد، ٢٠١٩م)، ١١.

أما في سنة (٣٧٧هـ/٩٨٧م) فقد ارتفعت الأسعار بشكل مبالغ فيه، لاسيما المواد الغذائية والأعشاب النافعة بسبب انتشار الوباء المجهول، واستمر هذا الحال حتى سنة (٣٧٨هـ/٩٨٧م)، قال أحد المؤرخين بما نصه: "فمن الحوادث فيها غلاء الأسعار وعدم الأقوات وظهور الموت والأغلال في المحرم وبيعت الكارة الدقيق بستين درهما" (١). و -كما أسلفنا- فقد حصل هذا الارتفاع عند انتشار فيروس كورونا، لاسيما في العراق موطن المؤلف.

ومن البديهي أن قسم من الأوبئة تصاحبها مشاكل جمة، وهناك الكثير من هذه الظواهر ارتأينا الإقلال من شرحها، ومنها تلازم الموتان: الغلاء والوباء.

ومن المحتمل قد تكون هذه عقوبات إلهية كما وقع بالفعل عندما أصاب الغرور: عبد الرحمن بن المنصور بن محمد بن أبي عامر (ت: ٣٩٩هـ/١٠٠٨م) حاجب الخليفة هشام المؤيد بـ: الله، المعروف بلقب: شنجول عهد الخلافة الأموية في الأندلس الذي افتتح أموره بـ: اللهو والخلاعة واللعب، وكان يخرج إلى التتزه ويتهتك (٢)، إذ أغتر بما شاهد في ماله وخزائنه، حتى نقل عنه أنه قال: أنا أكثر من النبي يوسف (عليه السلام) عندما كان على خزائن مصر، وهذا دليل على ضعف الإنسان ونسيانه أن ذلك من أمر الله تعالى حتى ذبح وطيف برأسه (٣).

(١) ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ٣٢٩/١٤.

(٢) الذهبي، تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام، ٣٧٣/٢٧.

(٣) النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ٤٠٧/٢٣؛ الذهبي، تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام، ٣٧٣/٢٧.

وبعد حين أصابهم الجذب والفقر خلال أقل من ثلاث سنوات وضافت البلاد والعباد، لاسيما في سنة (٣٧٨هـ/٩٨٨م)، ويمكننا القول إنها قد تكون عقوبة من الله تعالى على المتكبرين في الأرض، ولا يخشون خالقهم، فكانت موعظةً حسنةً له ولغيره، وإلى الحكام في عالم اليوم أيضاً بوجه عام. وأصاب مدن خراسان القحط في سنة (٤٠١هـ/١٠١٠م)، قال الذهبي: " وفيها كان القحط الشديد بخراسان، لاسيما بنيسابور، فهلك بنيسابور وضواحيها مائة ألف أو يزيدون. وعجزوا عن غسل الأموات وتكفينهم. وأكَلت الجيفة والأرواث ولحوم الآدميين أكلاً ذريعاً، وقبض على أقوام بلا عدد كانوا يغتالون بني آدم ويأكلونهم، وفي ذلك يقول أبو نصر الدُّهلي:

قد أصبح الناس في بلاء

أو في غلاء تداولوه

من يلزم البيت مات جوعاً

أو يشهد الناس يأكلوه (١)

على حين حلَّ في سنة (٤٠٦هـ/١٠١٥م) وباء كبير في مدينة البصرة أصاب أغلب الناس إلا ما رحم الله، حتى عجز الحفارون عن دفن الموتى، قال ابن الجوزي: " في هذا الشهر ورد الخبر بوقوع الوباء في البصرة حتى عجز الحفارون عن حفر القبور " (٢). ولم يذكر طبيعة ذلك الوباء الملتبس مع الطواعين، ومن المحتمل أن يكون ملتبس أو شبيهه وباء عصرنا حالياً.

(١) تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام، ١٠/٢٨.

(٢) ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ٢٧٦/٧.

ومن هنا نستنتج عجز الأطباء عن توفير وسائل الوقاية، فضلاً عن العلاج الوافي من هذا الوباء أولاً، وسرعة وفاة الإنسان قبل تناول العلاج إذا وجد ثانياً^(١).

وعلى ما يبدو فإن هذا المرض لا يعطى المريض مدة طويلة؛ كي يُشخص ويعالج وهذا ما لاحظناه في وباء كورونا (كوفيد-١٩) المستجد الذي يصيب الإنسان، وقد يؤدي به إلى الهلاك إذا لم يعالج أيضاً بادئ الأمر قبل تفاقم الحالة الصحية والنفسية على المصاب.

ومن الغريب أن قسم من الأمراض تفتك بالناس مثل الجدري الذي وقع على أهل الموصل سنة (٤٢٣هـ/١٠٣١م) الذي أدى إلى هلاك خلقاً كثيراً، واستمر ذلك الوباء بالانتشار خلال أشهر السنة إلى دول عدة وبعيدة، ومنها على سبيل المثال جميع بلاد الشام، وأهل خراسان وغزنة وغيرها من البلدان الإسلامية. قال ابن الجوزي أن هذا الوباء استمر أشهر ستة من حزيران حتى تشرين الثاني من السنة نفسها^(٢).

وقيل أيضاً أنه هلك في ذلك الوباء بحدود (٤٠٠٠) صبي أي أنه تفشى بالصغار من دون الكبار، وقيل إنه مرض الجدري^(٣) والله أعلم بما هو نوع الوباء.

وعلى ما يبدو فإنه من الأمراض المُعدية التي أصابت الناس الذين يفتقرون للمعلومات الطبية واللقاحات، لاسيما عند البسطاء من عامة

(١) يُنظر: ابن الجوزي، نفس المصدر، ٢٦٧/٧؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٢٦٢/٩؛

ابن كثير، البداية والنهاية، ٣/١٢.

(٢) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ٦٩/٨.

(٣) يُنظر: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ٦٩/٨؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٢٠٥/٨؛

ابن العبري، غريغوريوس ابو الفرج بن أهرن (٦٨٥هـ/١٢٨٦م)، تاريخ الزمان، نقله إلى

العربية: الأب إسحاق أرملة، تقديم: موريس فييه، (دار المشرق، بيروت، ١٩٩١م)، ٨٥.

المجتمع حتى قيل: " لم تخلُ دار من مصيبة لعموم المصائب وكثرة الموت
"(١).

وبعد عامين أي في سنة (٤٢٥هـ/١٠٣٣م) حصل وباء شمل الكثير من
الناس، وكان هذا يسبب الخوانيق لمرضاه، فضلاً عن كونه سريع الانتشار
داخل الأسرة الواحدة.

ذكر ابن الأثير عن أهل الدار قائلاً بما نصه: " يسدد بابها لموتى أهلها
"(٢)، وهو ما نشاهده اليوم من أعراض لوباء كورونا حيث الخوانيق هي
التي تسبب الوفاة في الأعم الأغلب.

وفي السنة نفسها اشتد وباء مجهول على مدن عدة، منها الموصل
وبغداد وغيرها، وقد استمر خلال الصيف من شهر حزيران حتى شهر
تشرين الثاني من السنة نفسها، وكانت الإصابات تكثر بالصيف وعلى
سبيل المثال، فقد وقع الموت على أهالي بغداد وحدها بحدود (٧٠) ألف
إنسان (٣).

ومن اللافت أن هذا المرض كان كثير الإصابة في النساء على الأغلب
من دون الرجال، وكان معظمه بالخوانيق (٤). وليس هذا فحسب، بل هناك
أوبئة وأمراض تصيب الحيوانات حصراً.

ففي سنة (٤٣٧هـ/١٠٤٥م) هلكت الخيول، بسبب الوباء المنتشر آنذاك،
الأمر الذي خلّف موت (١٢) أثنا عشر ألف من الخيل، لاسيما في معسكر

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٢٠٥/٨.

(٢) نفس المصدر، ٢١٣/٨.

(٣) يُنظر: ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ٧٩/٨؛ ابن كثير، البداية والنهاية،
٣٥/١٢.

(٤) يُنظر: ابن الجوزي، نفس المصدر، ٧٩/٨؛ ابن كثير، نفس المصدر، ٣٥/١٢.

الملك البويهى أبو نصر خسرو (ت: ٤٥٠هـ/١٠٥٨م) ^(١)، فكان الوباء المنتشر في هذه السنة يؤدي إلى موت بحدود (١٠٠) فرس يومياً، وترمى هذه الحيوانات الميتة في نهر دجلة ببغداد، بحيث تعذر على الناس شرب الماء، بسبب انتشار الأمراض المجهولة التي أصيبت بها الخيول. ومن الجدير بالذكر فإن ابن الجوزي قال إن أعراض هذه الأمراض التي وقعت في الخيل والبغال " موتان وكان مرضها نفخة العينين، والرأس وضيق الحلق " ^(٢).

ومن علامات الأوبئة التي أشرنا إليها والملتبسة بين الماضي والحاضر، ومنها ما ذكره الدينوري قائلاً بما نصه: " وإذا عوت كلاب وجاوبتهم ذئاب كان وباء وموتان جارف " ^(٣) والله أعلم.

من البديهي أن الوباء بوجه عام يحل على البشر والدواب والزرع، ويسبب هلاك ونفوق وتلف الكثير مما ذكر، إذ كان قاسياً واستمر خلال هذه السنة والتي بعدها، فهلكت أغلب الحيوانات دون الوقوف على أسباب موتها.

ذكر قسم من المؤرخين ذلك الوباء في مؤلفاتهم، قال ابن الجوزي بما نصه: " وفيها وقع الوباء في الخيل فهلك من معسكر أبي كاليجار اثنا عشر ألف رأس وعم ذلك في البلاد وامتألت حافات دجلة من جيف الخيل

(١) أبو نصر خسرو فيروز بن أبي كاليجار الملقب بـ: الملك الرحيم، الذي توفي بقلعة الري. يُنظر: الصفدي، الوافي بالوفيات، ١٨/١٩٦؛ العاملي، محسن عبد الكريم الأمين، أعيان الشيعة، تحقيق: حسن الأمين، (دار التعارف للمطبوعات، طه، بيروت، ١٩٤١هـ/١٩٩٨م)، ٦/٣١٥.

(٢) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ١٦/٦١.

(٣) الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت: ٢٧٦هـ/٨٨٩م)، عيون الأخبار، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ)، ١/١٠٨.

"(١). كما قال أيضاً: " وقع الموتان في الدواب فربما أنفق في اليوم الواحد مائة وأكثر وكان ذلك يطرح في دجلة فاجتنب كثير من الناس الشرب منها وكان قوم يحضرون لدوابهم الأطباء فيسقونها ماء الشعير ويدبرونها "(٢). وهناك رأي للمؤرخين أن أحد أسباب وقوع الوباء هو ارتفاع الأسعار ووجود شريحة كبيرة من الفقراء وقيامهم بشراء ما هو غير صحي أي أشبه بالغذاء منتهي صلاحية الاستهلاك، مما يؤدي إلى إصابة الكثير منهم بأمراض عدة، فيقع البلاء والوباء كما حصل في سنة (٤٣٩هـ/١٠٤٧م) (٣). ومنها قاله سبط ابن الجوزي: " و سببه اتصال الحصار، وغلؤ الأسعار، وموت أهلها ... وهذا شيء كثير، الغرارة بمئتي دينار ثمنها ثلاثة آلاف درهم "(٤).

إن الأوبئة تنتشر منذ زمن بعيد وقد شخص الأطباء قسماً منها، وقسم لم يعرفوها، لاسيما خلال حكم الدولة العربية الإسلامية الممتدة من عام (١-٦٥٦هـ=٦٢٢-١٢٥٨م)، وما بعدها عند سيطرة الأعاجم في العصر العباسي الثاني وما بعده، ومن الممكن أن تكون بعضها أو واحدة منها وباء شبيه ب: وباء كورونا المعاصر، وعلى سبيل المثال لا الحصر قال ابن أبي أصيبعة: إن في سنة (٤٤٥هـ/١٠٥٣م) ظهر وباء وانتشر في مدن عدة،

(١) ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ٣٠٢/١٥؛ أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، ١٦٨/٢؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ٣٥/١٢.

(٢) ابن الجوزي، نفس المصدر، ٣٠٥/١٥؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٥٣١/٩؛ سبط ابن الجوزي، شمس الدين يوسف بن قزاوغلي بن عبد الله البغدادي ثم الدمشقي (ت: ٦٥٤هـ/١٢٥٦م)، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، (مطابع دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن، الهند، ١٣٧١هـ/١٩٥٢م)، ٤٦١/١٨.

(٣) يُنظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٥٤١/٩.

(٤) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، ٣١١/١٩.

ومنها الموصل وغيرها، ولم يذكر اسمه أو أي معلومات عنه لجهل الأطباء والناس معرفته وأسبابه وعلاجاته^(١).

يتضح مما تقدم أن الدراسة بوجه عام بيّنت أهم الأوبئة والأمراض التي قد تسببها السيول والفيضانات وما تترك من أثر سلبي على المزروعات، وارتفاع الأسعار وغيرها ممن تتحمل الدولة وزره أولاً، والناس جميعاً ثانياً، بما واجهتهم من أعراض في الأمصار الإسلامية، لاسيما التي كتب عنها قسم من المؤرخين وغيرهم، على الرغم مما شهدته الحضارة العربية الإسلامية من تطور، لاسيما وصولهم من الصين شرقاً ومرامي فرنسا غرباً، فضلاً عن تبادل العلماء أفكارهم من خلال ترحالهم، ولغتهم العربية لغة القرآن الكريم التي سادت في هذه الدولة منذ نشأتها وإلى يومنا هذا. مع ذلك نجد أن هناك إخفاقات وقعت بسبب هذه الأوبئة بما فيها الطاعون أو الأوبئة غير المعروفة، إذ لم تتمكن الدولة في كثير من الأحيان من إنقاذ الأرواح التي ذهبت ضحيتها، وقد تكون ملتبسة عليهم بعدم معرفة علاجها كما هو اليوم في وباء كورونا (كوفيد-١٩) المستجد الملتبس علينا في كل مكان، والمنتشر في بلدان العالم تقريباً.

(١) يُنظر: عيون الأنبياء في طبقات الأطباء، ٣٠١.

المبحث الرابع الأوبئة المتبسة في العصر العباسي الرابع

(٤٤٧-٦٥٦ هـ/١٠٥٥-١٢٥٨ م)

عانت الخلافة والمجتمع العربي الإسلامي في العصور العباسية، لاسيما القرون المتأخرة من مشاكل جمة بسبب احتلال: الأتراك والبويهيين والسلاجقة، حتى سقوط بغداد بيد التتار سنة (٦٥٦ هـ/١٢٥٨ م)، وسنحاول في هذه الدراسة الإشارة إلى أهم الأزمات التي عانوا منها بسبب الأوبئة والأمراض حصرًا، وما التبس عليهم بها قديمًا، وأسبابها والنتائج المترتبة عليها، فضلًا عن اهمال الدولة لهذه الظواهر القاهرة لأسباب لامجال الغور فيها، ومدى الصبر الذي تحمّله هؤلاء الناس، وهم يعملون بمنهجهم الإسلامي الذي يدعوهم للأسهام في حل الأزمات الوبائية والمرضية من خلال التكافل الاجتماعي والتعاون على الرغم من الظروف الاقتصادية الصعبة التي عاصروها خلال هذه الحقبة.

وكما أسلفنا- فإن قسم من الأوبئة التي وقعت في الدولة العربية الإسلامية قد تكون من التغيير المناخي الذي حصل في سنوات مختلفة، لاسيما عند وقوع الرعد والبرق والامطار في غير موسمها، فتكون سبباً في تفشي عدد من الأمراض، وسنتطرق لها لاحقاً في هذه الدراسة.

قال التنوخي: "إذا أراد الله بقوم خيراً ولّى عليهم خيارهم، وأمطرهم المطر في أوانه، وإذا أراد بقوم سوءاً، ولّى عليهم شرارهم، وأمطرهم المطر في غير أوانه"^(١)، ونرى أن المطر إذا نزل من دون وقته قد يؤدي إلى تلف

(١) نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، تحقيق: عبود الشالجي المحامي، (د. ط)، (د. م)،

١٩٧٣ م، ١/١٣٧.

المحاصيل الزراعية، وحصول مجاعات تسبب قسم من تلك الأوبئة نتيجة استهلاك ما هو غير صالح، فضلاً عن كثرة الحشرات التي تظهر نتيجة التعفن الحاصل لتلك الأغذية أو المشروبات.

قال ابن أبي أصيبعة: "أن الغلاء عرض بمصر في سنة خمس وأربعين وأربعمائة. قال، ونقص النيل في السنة التي تليها وتزايد الغلاء وتبعه وباء عظيم واشتد وعظم في سنة سبع وأربعين وأربعمائة، وحكي أن السلطان كفن من ماله ثمانين ألف نفس، وأنه فقد ثمانمائة قائد وحصل للسلطان من الموارد مال جزيل" (١). وهنا نترك للقارئ الكريم الوقوف على أعداد المتوفين واستفادت السلطان من الأموال والبلاد والعباد تمور في بحر الموت.

كما ذكر ابن الأثير أن في سنة (٤٤٧هـ/١٠٥٥م) تعرضت وأصيبت مدن عدة، لاسيما الحجاز بوجه عام، ومكة المكرمة بوجه خاص إلى وباء شديد كان سببه مجاعات انتشرت في مواطن متفرقة، وكانت سبباً في موت الكثير من الأهالي (٢)، من دون ذكر ذلك الوباء الذي سبب هلاكهم.

أما في سنة (٤٤٩هـ/١٠٥٧م) فقد ذكر بعض المؤرخين أن أبا عثمان (٣) كان خطيباً يعظ بالناس، فأخبروه بعد أن دفع إليه كتاب قد ورد من مدينة بخارى مشتمل على وقوع وباء عظيم، وطلبوا أن يدعو الله لهم واستدعى فيه المسلمين بالدعاء على رؤوس المملأ في كشف ذلك البلاء عنهم. و وصف في الكتاب آنف الذكر حادثة بسبب ما اصابهم من وباء

(١) عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ٧٧/٢.

(٢) يُنظر: الكامل في التاريخ، ٦٣٢/٩؛ الفاسي، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، ٢٧٠.

(٣) لم أقف على سيرته وتاريخ وفاته لتشابه الأسماء بذكر الكنية أولاً، ومن دون ذكر الاسم ثانياً.

كان مفادها: " أن رجلاً أعطى خبازاً درهماً، فكان يزن والصانع يخبز، والمشتري واقف، فمات ثلاثتهم في ساعة، فلما قرأ الكتاب هاله ذلك، واستقرأ من القارئ ﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ﴾ (١) " (٢).

ومن اللافت أن المؤرخ ابن العماد الحنبلي ذكر انتشار الوباء سنة (٤٤٩هـ/١٠٥٧م) في مدن عدة قائلاً بما نصه: " سنة تسع وأربعين وأربعمائة [للهجرة] فيها كما قال في الشذور بلغت كارة الخشكار أي النخالة عشرة دنانير، ومات من الجوع خلق كثير وأكلت الكلاب وورد كتاب من البخاري أنه وقع في تلك الديار وباء حتى أخرج في يوم ثمانية عشر ألف جنازة، وأحصى من مات إلى تاريخ هذا الكتاب ألف وستمائة وخمسون ألفاً، وبقيت الأسواق فارغة والبيوت خالية ووقع الوباء بأذربيجان وأعمالها والأهواز وأعمالها وواسط والكوفة وطبق الأرض حتى كان يحفر للعشرين والثلاثين زبية، فيلقون فيها وكان سببه الجوع وباع رجل أرضاً له بخمسة أرطال خبز فأكلها ومات في الحال، وتب الناس كلهم وأراقوا الخمر وسروا المعازف وتصدقوا بمعظم أموالهم، ولزموا المساجد وكان كل من اجتمع بامرأة فأشار بأصبعه إلى بيت في الدار، فإذا بجانبه خمر فقلبوها فمات. وتوفي رجل كان أربعة أنفس ليلاً إلى المسجد فماتوا، ودخل رجل على ميت مسجى بلحاف فاجتذبه عنه فمات " (٣). ولم يبيّن أسباب هذا الوباء القاتل وأعراضه وطبيعة علاجه، وما هو دور الدولة في مكافحة الوباء من جهة وإحياء الناي من جهة أخرى.

(١) سورة النحل، الآية: ٤٥.

(٢) ابن عساکر، تاريخ مدينة دمشق، ١١/٩؛ الذهبي، سير، ٤٣/١٨؛ للمزيد ينظر: العطار، فرحان، تسهيل الوصول لفوائد سير أعلام النبلاء، ((د. ط.))، (د. م.)، (د. ت.)، ٢٨٨.

(٣) شذرات الذهب، ٢٧٨/٥.

أما ابن تغري بردي^(١) فقد ذكر في سنة (٤٥٧هـ/١٠٦٤م) عهد الخليفة الفاطمي المستنصر بـ: الله قد أصابت الناس مجاعة عظيمة في مستهل النصف الثاني من القرن الخامس الهجري (الثاني عشر ميلادي)، وعرفت بالشدة المستنصرية أو الشدة العظمى واستمرت سبع سنوات، قال حاجي خليفة مشيراً لانتهاؤ الشدة بما نصه: "... أربع وستين من الغلاء والوباء، فمات أهلها وخربت ديارهم"^(٢).

وهذا الأمر على ما يبدو قد أصاب الناس عامة، مما يتحصل غلاء في الأسعار، إذ يصعب على الفقراء مسايرة حياتهم الاقتصادية ببسر وسهولة، ناهيك عن الركود المالي للدولة، وعدم توفر إمكانية بيع وشراء السلع والزراعية والحيوانية بين أفراد المجتمع ببسر في الأزمات.

وفي بلاد مصر سنة (٤٦٢هـ/١٠٦٩م) فقد أصابتهم مجاعة قاسية دمرت البلاد والعباد، على حين كان للقيادة دوراً في معالجة الأزمة وكما ذكرنا أن ابن خلكان لم يوضح تفاصيل أكثر عن تلك الظروف التي واجهت الناس والدولة آنذاك، قال: "وتفرق أهل مصر في البلاد وتشتتوا ولم يزل هذا الأمر على شدته حتى تحرك بدر الجمالي [٤٨٧هـ/١٠٩٤م] والد الأفضل أمير الجيوش من عكا وركب البحر حسبما شرحناه في ترجمة ولده الأفضل شاهنشاه وجاء إلى مصر وتولى تدبير الأمور فانصلحت"^(٣). وأردف قائلاً: "وشرح ذلك يطول"^(٤).

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ٣/١٤٠.

(٢) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ١/٣٠٣.

(٣) ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ٥/٢٣٠.

(٤) نفس المصدر، ٥/٢٣٠.

وهذا ما ارتأينا أن نعرفه لنستفد مما قد تعانیه المجتمعات في عالمنا المعاصر، بغية النجاة من الفقر والموت ومواجهة الأوبئة كما نعيشه اليوم مع وباء كورونا اللعين.

ذكر الذهبي أيضاً أن أحداث وقعت في سنة (٤٦٦هـ/١٠٧٣م) بما نصه: "فيها كان الغرق الكثير ببغداد فهلك خلق تحت الردم، وأقيمت الجمعة في الطيار [نوع من السفن] على ظهر الماء، وكان الموج كالجبال وبعض المحال غرقت بالكلية، وبقيت كأن لم تكن، وقيل إن ارتفاع الماء بلغ ثلاثين ذراعاً" (١).

هذه الإشارات تدعونا للوقوف كثيراً عن النتائج التي تخلفها تلك الكوارث من انتشار الأوبئة بسبب الفيضانات وضعف وسائل التصريف الصحي للمدينة، إذ لم تسعنا المصادر التاريخية بيان نتائجها فتبقى مجهولة التأثير من جهة، ومن جهة أخرى لم نتعرف على طبيعة الأوبئة التي من المحتمل أنها قد انتشرت في حينه، والوفيات التي راح ضحيتها بسبب ما وقع من أضرار، فضلاً عن عدم الإشارة إلى دور الدولة والعاملين فيها.

وقال ابن كثير في هذه الواقعة أن في سنة (٤٦٦هـ/١٠٧٣م): "نزل مطر عظيم وسيل قوي كثير، وسالت دجلة وزادت حتى غرقت جانباً كبيراً من بغداد، حتى خلص ذلك إلى دار الخلافة، فخرج الجوّاري حاسرات عن وجوههن، حتى صرن إلى الجانب الغربي، وهرب الخليفة من مجلسه، فلم يجد طريقاً يسلكه، فحمله بعض الخدم إلى التاج، وكان ذلك يوماً عظيماً، وأمرًا هائلاً، وهلك للناس أموال كثيرة جداً. ومات تحت الردم خلق كثير من أهل بغداد والغرباء، وجاء على وجه السيل من الأخشاب والأحطاب، والوحوش والحيات شيء كثير جداً، وسقطت دور كثيرة في الجانبين،

(١) العبر في خبر من غير، ٢٦١/٣.

وغرقت قبور كثيرة، من ذلك قبر الخيزران ^(١) [ت: ١٧٣هـ/٧٨٩م]، ومقبرة أحمد بن حنبل. ودخل الماء من شبابيك البيمارستان ^(٢) العضدي، وأتلف السيل في الموصل شيئاً كثيراً، وصدّم سور سنجار فهدمه، وأخذ بابه من موضعه إلى مسيرة أربعة فراسخ. وفي ذي الحجة منها جاءت ريح شديدة في أرض البصرة، فانجعت منها نحو من عشرة آلاف نخلة. وممن توفي فيها من الأعيان أحمد بن محمد بن الحسن السمناني ^(٣).

وعلى ما يبدو فإن المؤرخ ابن كثير بيّن الخبر وذكر الحوادث، إلا أنه هو الآخر لم يفصح عما تركته من أوبئة وأمراض قد أودت بالمجتمع آنذاك، إذ كان كثيراً ما يتجنب التعليق عليها، فضلاً عن تفسير محتواها سواء أكانت ظروف مناخية أم اجتماعية أم دينية أم غيبية.

أما في سنة (٤٦٧هـ/١٠٧٤م)، إذ رحل الكثير من أهل السواد، ومعهم من نسائهم واطفالهم إلى مدن قبل نهاية نهر دجلة على الرغم من هلاكهم بالوباء والتجأ قسم منهم إلى مدينة واسط وآخرون عبروا النهروان، على

(١) الخيزران بنت عطاء وهي زوجة الخليفة العباسي المهدي، ووالدة الخليفة هارون الرشيد والخليفة الهادي، والخيزران هي جارية عربية استقدمت من اليمن، اشترها الخليفة المهدي وأعتقها وتزوجها، واصطحبها معه إلى بلاد العجم، وكان طبيبها الحكيم عبد الله الطيفوري، وقد ولدت خليفتين، ودفنت في الأعظمية في بغداد في المقبرة التي سميت باسمها مقبرة الخيزران، وتوفى يوم وفاتها إمام اللغة الخليل بن أحمد الفراهيدي بالبصرة. ينظر: الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٢٣٨/٨.

(٢) وتعني: المستشفى أي مجمع المرضى، وهي لفظة فارسية، وذلك أن البيمار بـ: الفارسي هو المرضى، وستان هو الموضع، أي موضع المرضى. ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ١٩.

(٣) البداية والنهاية، ١٣٣/١٢.

حين توجه غيرهم إلى خراسان بسبب نقص الماء من جهة، وما يحمله من نتائج سلبية من جهة أخرى قد تؤدي بحياتهم جميعاً^(١).

وأيد ذلك ابن كثير قائلاً: إن بعد أشهر عدة جاء سيلٌ عظيم، فخرج الناس إلى الصحراء، وجلسوا على التلال وتحت المطر، وعلى الرغم من ذلك وقع وباء عظيم بالرطوبة من أرض العراق، إذ توفي بما يقارب (١٠,٠٠٠) عشرة آلاف شخص واستمر ذلك الوباء بالانتشار، وخاصة في مدن واسط والبصرة وخوزستان، وأراضي خراسان وغيرها من المدن الإسلامية الواسعة^(٢).

وكما هو معروف فإن الأوبئة والأمراض وما ينتج عنها في حالة صراع مع الإنسان على مر العصور^(٣). وهناك أمراض جائحة عدة، ومنها ما نقله الجراد عندما هاجم أرض السواد سنة (٤٦٨هـ/١٠٧٥م)، إذ كان أعدادها غريبة وكثيرة جداً مخلفة أضرار جسيمة.

وكما أسلفنا - فإن من أحد أسباب هذه الأوبئة والأمراض قد تكون بكثرة الآفات الزراعية، ففي سنة (٤٦٨هـ/١٠٧٧م) وصلت إلى بغداد أعداد من الجراد، وقيل كـ: عدد الحصى بعد أن أكلت المزروعات واتلفتها وتركت الأوبئة خلفها حتى جاع الناس وأكلوا الخرنوب مخلوطاً بحبات الدخن، وبعد كل هذه الظروف القاسية التي أصابت الناس بالأمراض، فوقعوا بالوباء والجوع في آنٍ واحد، فهلك الكثير منهم ولم تسعفنا المصادر القديمة بمعرفة المرض أو الوباء الذي نتج عن هذه الحشرات في تلك المدينة، والوفيات

(١) يُنظر: ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ٨/٢٩٤-٢٩٥.

(٢) يُنظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ١٢/١٠٩.

(٣) يُنظر: علي، عبد الستار عارف، وفؤاد عبد العزيز، أسس مكافحه الآفات الزراعية، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي العراقية، (دار التقني للطباعة، بغداد، ١٩٦٨م)، ١١.

التي كانت بسببها ^(١). كما نتج عن ذلك آفات من المحتمل أنها قد تولدت
وسببت الأمراض ونشرت الأوبئة، إذ ظهرت عقارب طائرة ذات الشوكتين،
وقيل إنها قتلت الكثير من الأطفال ^(٢).

ولم تتوقف الأوبئة عن هذا الانتشار المؤسف، ففي سنة
(٤٦٩هـ/١٠٧٦م) وقع وباء شامل في مناطق إسلامية عدة كـ: الشام
والجزيرة الفراتية والعراق ولم يفصح عن نوعه، الأمر الذي أدى إلى تلف
المحاصيل الزراعية، بسبب كثرة الوفيات من جهة، وعدم وجود البشر
لحصاد الزرع من جهة أخرى، قال ابن الأثير بما نصه: " كان بالجزيرة
والعراق والشام وباء عظيم وموت كثير حتى بقي كثير [من] الغلات ليس
لها من يعلمها لكثرت الموت في الناس " ^(٣).

كما كانت سنة (٤٧٨هـ/١٠٨٥م) من أكثر السنين قسوة على بغداد وما
حولها، إذ انتشرت الأوبئة بشكل مخيف ومرعب. قال ابن الجوزي بما نصه
:" بدأ الطاعون ببغداد ونواحيها وكان عامة أمراضهم الصفراء بينا الرجل
في شغله اخذته رعدة فخر لوجهه ثم عرض لهم شناج وبرسام وصداع،
وكان الأطباء يصفون مع هذه الأمراض أكل اللحم لحفظ القوة، فإنهم ما
كانت تزيدهم الحمية إلا قوة بغية مواجهة المرض، وكانوا يسمونها مخوية،
وقال الأطباء ما رأينا مثل هذه الأمراض لا تلائمها المبردات ولا المسخنات،
واستمر ذلك إلى آخر رمضان خمسة أيام وستة ثم يأتي الموت، وكان
الناس يوصون في حال صحتهم، وكان الميت يلبث يوماً أو يومين لعدم

(١) يُنظر: ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ٢٩٧/٨.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٦٦٦/١٠؛ ابن العماد، شذرات الذهب، ٦٧.

(٣) الكامل في التاريخ، ١٠٥/١٠.

وجود غاسل وحامل وحافر، وكان الحفارون يحفرون عامة ليلتهم بالروحانية ليفي ذلك بمن يقبر نهاراً.

ووهب المقتدي [ت: ٤٨٧هـ/—/١٠٩٤م] للناس ضيعة تسمى الأجمة، فامتلت بالقبور وفرغت قري من أهلها منها المحول. وحكى بعض الأتراك أنه مرّ بالمحول فرأى كثرة الموتى، وطفلة على باب بيت تتادي هل من مسلم يؤجر فيّ فيأخذني، فإن أبي وأمي وأخوتي هلكوا في هذا البيت، فنزلت، فإذا في البيت تسعة أموات، فسرت ثم عنّ لي أخذُ الطفلة، فعدت فإذا بها في صدر أمها ميتة، وحكى عبيد الله بن طلحة الدامغاني [ت: ٥٠٢هـ/—/١١٠٨م] أن درباً من دروب التوتة مات جميع أهله فسدّ باب الدرب، وهلك عامة أهل باب البصرة وأهل حربي وعمّ هذا الطاعون خراسان والشام والحجاز، وتعقّبته موت الفجأة ثم أخذ الناس الجدري في أطفالهم ثم تعقّبته موت الوحوش في البرية، ثم تلاه موت الدواب والمواشي ثم قحط الناس، وعزت الألبان واللحوم ثم أصاب الناس بعد ذلك الخوانيق والأورام والطحال، وأمدّ المقتدي بأمر الله الفقراء بالأدوية والمال، ففرق ما لا يحصى وتقدم إلى اطباء المارستان بمراعاة جميع المرضى^(١).

يتبيّن هنا جلياً أن هناك وباء معلن، وآخر مخفي فالطاعون وبعض الأوبئة قد عرّفه الأطباء العرب المسلمين، أمّا موت الفجأة فهو ما لم يحدد هوية هذا المرض وسببه، فضلاً عن ذلك فقد تبعه إصابة الدواب البرية والأطفال بنفس السنة، إذ كان مرض الجدري يحوم بأعراضه، وهو الآخر من الأوبئة المُعدية التي كثيراً ما تؤدي إلى فقدان البصر من دون الموت، فضلاً عن ترك آثار قاسية في وجه المصاب قد يكون من الصعب إزالتها.

(١) ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ٩/١٤-١٥؛ ابن كثير، البداية والنهاية،

أما في سنة (٤٩٣هـ/١٠٩٩م) فقد وقع وباء كبير أصاب أهل العراق بشكل مؤلم، قال عنه ابن الجوزي بما نصه: "وفي آخر شعبان كثر الجرف بالعراق/ والوباء، وامتنع القطر، وزاد المرض، وعمت الأدوية والعقاقير، ورئي نعش عليه ستة موتى، ثم حفر لهم زبية فألقوا فيها"^(١).

ومن الواضح أن هذه الأوبئة جميعها تترك أثراً كبيراً، لاسيما في الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والنفسية على حدٍ سواء، وهذا ما قد يؤثر على طبيعة الحياة السياسية برمتها، إذا لم تهتم السلطة بحماية المجتمع من هذه الأوبئة الخطيرة وتوفير الإمكانيات اللازمة التي تحقق بالأمة بين الحين والآخر هذا من جهة.

ومن جهة أخرى قد يكون السبب عائد للعلاقات السياسية بسبب النزاعات والفتن، فنتار مسألة الأوبئة الوافدة وفي حقيقتها خلاف ذلك، وعلى سبيل المثال الخلافات بين ولاية مكة والمدينة المنورة، إذ منع السفر إلى مكة سنة (٥١٤هـ/١١٢٠م)، وكذلك سنة (٥٥٣هـ/١١٥٧م) بسبب تأزم العلاقات بين حكام مكة والمماليك، فضلاً عما تقدم فإن العائد إلى مكة يؤخذ منه مكس أي من كل شخص بمقدار دينار عن نفسه ودينار عن حمولته، الأمر الذي أدى إلى انقطاع الحج من مصر وبلاد الشام والعراق.^(٢)

أما في سنة (٤٩٨هـ/١١٠٤م) وقع وباء الجدري على الناس ثم تبعه وباء آخر ولم يذكر اسمه، ووافق ذلك سنة وفاة السلطان بركياروق. ذكر السيوطي بما نصه: "وفيها كان ببغداد جدري مفرط مات فيه خلق من

(١) ابن الجوزي، نفس المصدر، ٥٤/١٧.

(٢) للمزيد يُنظر: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ١٨؛ ابن فهد، غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام، ٥١٧.

الصبيان لا يحصون وتبعه وباء عظيم" (١). ولم يبيّن نوع الوباء العظيم الذي من المؤكد حصد أرواح الناس.

وهذا ما حصل في عالم اليوم من انتشار لوباء كورونا (كوفيد-١٩)، حيث توقفت مناسك الحج والعمرة إلى بيت الله الحرام، بسبب الوباء كما هو معن. على حين هناك تجمعات بعد هذه القرارات تقام واحتفالات في بلدان العالم الإسلامي لم يتم الاعتراض عليها ومنها مجمعات التسوق الكبيرة.

وهنا لابد من الإشارة أن المملكة العربية السعودية قامت في ٤ مارس/آذار بتعليق إصدار تأشيرات زيارة العمرة للحرم المكي الشريف، وكذلك زيارة الحرم النبوي في المدينة المنورة بسبب فيروس كورونا.

إذ اضطرت المملكة العربية السعودية في عصرنا الحاضر بإلغاء كافة إجراءات موسم تأدية شعائر الحج لبيت الله الحرام الذي حلّ موعده هذا العام أواخر شهر يوليو/ تموز ٢٠٢٠م وإلى الآن للأسباب آفة الذكر. علماً أن المملكة تسعى لتأمين زيارة أكثر من (٢٠) مليون إنسان بين حاج ومعتمر سنوياً، الأمر الذي ستكون آثاره سلبية على اقتصاد الدولة لما تفقد من واردات من الحجيج والمعتمرين، فضلاً عن تضرر المجتمعات في دول عدة جراء ذلك، بسبب توقف النشاطات والمناسك الدينية جميعها، وما يترتب على حياة العاملين وأصحاب العقارات والفنادق والمطاعم والمواقع السياحية وغيرها داخل وخارج المملكة من خسائر، إذ أنهم مكرهين لا راغبين جميعاً على ذلك المنع، في حين ترى الحكومة ضرورة الحفاظ على أرواح المسلمين من الوباء والبلاء سالف الذكر.

ولم تقف الكوارث المسببة في بعض الأحيان للأمراض التي اصابته مدن إسلامية، فقد عادت تارة أخرى في سنة (٥١٩هـ/ ١١٢٥م) لمدينة

(١) تاريخ الخلفاء، ١٧٧.

سنجار، إذ كانت هناك هطول أمطار غزيرة أدت إلى وقوع سيل عظيم هدم أسوار مدينة سنجار من العراق مجدداً، فضلاً عن حمل السيل باب المدينة مسيرة نصف يوم حتى طمره السيل سنوات عدة، وقيل إنه حمل سرير طفل صغير حتى علق في شجرة الزيتون، إذ عاش الطفل وكبر^(١). وهذا يعني أن السيول إذا تهمل ستخلف متاعب؛ يمكن أن تكون سبباً للأوبئة مستقبلاً. وعوداً على بدء يمكننا القول أن قسم من المؤرخين وثقوا لبعض الحوادث الطبيعية والبشرية بوجه عام على حدٍ سواء، ومنها على سبيل المثال ما ذكره ابن العماد في أحداث سنة (٥٥٢هـ/١١٥٧م) قائلاً بما نصه :

" وقعت زلازل في الشام تهدمت منها ثلاثة عشر بلداً من بلاد الإسلام حلب وحماه وشيزر وكفر طاب، و فامية وحمص والمعرة، وتل حران وخمسة من بلاد الكفر حصن الأكراد وعرقه واللاذقية وطرابلس وأنطاكية، فأما حماة فهلك أكثرها، وأما شيزر فما سلم منها إلا امرأة وخادم لها، وهلك الباقون، وأما حلب فهلك منها خمسمائة نفس، وأما كفر طاب فما سلم منها أحد، وأما فامية فهلكت وساخت قلعتها، وهلك من حمص خلقٌ كثير وهلك بعض المعرة، وأما تل حران فإنه انقسم نصفين وظهر من وسطه نواويس وبيوت، وأما حصن الأكراد وعرقه فهلكتا جميعاً وهلكت اللاذقية، فسلم منها نفر ونبع فيها جومة ماء حمئة وهلك أكثر أهل طرابلس وأكثر أنطاكية"^(٢). وعند إلقاء نظرة على هذه المدن والقرى التي مات أهلها بكاملهم تقريباً بسبب هذا الزلزال وغيرها يعطينا إشارات بعدم توفر وسائل تقنية كما نعيشه اليوم، لأن جنث هؤلاء ستكون عرضة للتفشي وإنتاج الوباء الذي لا بد من

(١) يُنظر: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ٦/٢١٣؛ ابن العماد،

شذرات الذهب، ٢/٣٠.

(٢) شذرات الذهب، ١٦٠.

أن يكون ضاراً لمدن أو بلدن أخرى قد سَلِمَ أهلها، فيصبح المرض وافداً إليها، ويهلك الكثير ممن بقي على قيد الحياة ولم يعرف سبب مرضه. في حين لم يذكر المؤرخون سبب الزلازل التي حلّت بمدنهم، وعدد الذين توفاهم الله تعالى وما الاضرار التي نتج عنها.

وفي بغداد ازدادت وكثرت الفيضانات، لاسيما قبل هذه الفترة أي في سنة (٥٦٩هـ/١١٧٣م)، إذ أصاب الناس الضرر، وهدمت دور كثيرة بما فيها سور المشهد الكاظمي^(١).

أما في سنة (٥٧٣هـ/١١٧٧م) فقد انتشر وباء في مدن عدة، ومنها الموصل، ولم يذكر المؤرخون سبب هذا الوباء واسمه على الرغم من بقايا آثاره، ويبدو أنهم يجهلون أسبابه وعلاجه.

إلا أن هذا الوباء المجهول اختفى ليعود بعد سنتين أي في سنة (٥٧٥هـ/١١٧٩م)، وكأنه ناتج من الوباء الأول، فحصل انتشار للأمراض وكثرت المجاعات، ومنها (السرسام): وهو مرض أشبه بالصداع ومن أعراضه ظهور ورم في الدماغ يسبب النسيان^(٢)، إذ مات خلقٌ كثير بسببه، فضلاً عن ظهور أمراض أخرى منها قديمة ك: السل، الذي يصيب الرئتين

(١) يُنظر: عنتر، سهيل تركي، أثر الكوارث الطبيعية على الوضع الاقتصادي في الدولة العربية الإسلامية، (مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإنسانية، العدد ٢، حزيران ٢٠١٨م)، ٥٢.

(٢) يُنظر: ابن سينا، أبو علي الحسين بن علي (ت: ٤٢٧هـ/١٠٣٦م)، القانون في الطب، تحقيق: محمد أمين الضناوي، (دار إحياء التراث، بيروت، ٢٠٠٥م)، ٤٠٢/٢؛ ابن الذهبي، أبو محمد عبد الله بن محمد الأزدي العماني (ت: ٤٥٦هـ/١٠٦٣م)، كتاب الماء، تحقيق: هادي حسن حمودي، (منشورات وزارة التراث القومي والثقافة في سلطنة عمان، لندن، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م)، ٣٤٤.

وغيرها، وهو السبب في وفاة الأمير سيف الدين غازي (٥٦٥-
٥٧٦هـ=١١٦٩-١١٨٠م)، الذي لم يتمكن من انقاذ نفسه (١).

وكما أسلفنا- فإن الأمراض قد تقع لأسباب عدة منها، الفقر المسبب
للمجاعة والكوارث ك: الفيضانات والحشرات الناقلة وغيرها الكثير.

ذكر الذهبي أن في سنة (٥٩٧هـ/١٢٠٠م) وقع جوع مفرط وموت في
الديار المصرية، قائلاً بما نصه: "كان الجوع والموت المفرط بالديار
المصرية وجرت أمور تتجاوز الوصف، ودام ذلك إلى نصف العام الآتي
فلو قال القائل مات ثلاثة أرباع أهل الإقليم لما أبعد والذي دخل تحت قلم
الحشرية في مدة إثنين وعشرين شهراً مئة ألف وأحد عشر ألفاً بالقاهرة، وهذا
نزر في جنب ما هلك بمصر والحواضر وفي البيوت والطرق ولم يدفن،
وكله نزر في جنب ما هلك بالإقليم. وقيل إن مصر كان بها تسع مئة
منسج للحصر، فلم يبق إلا خمسة عشر منسجاً، فقس على هذا وبلغ الفروج
مئة درهم ثم عدم الدجاج بالكلية لولا ما جلب من الشام، وأما أكل لحوم
الآدميين فشاع وتواتر وفي شعبان كانت الزلزلة العظمى التي عمت أكثر
الدنيا" (٢).

عرض لنا الذهبي صورة من المأساة التي واجهت مجتمعنا العربي
الإسلامي في بلاد مصر، والحقت ضرراً كبيراً فيه، مما يجعلنا نتساءل عن
أسباب هذه المجاعة، وما نوع الوباء الذي انتشر بسببها، ووصفه للأعداد
الهائلة الذين راحوا ضحيته، علماً أن المؤرخ لم يذكر لنا الوباء الذي لازم

(١) يُنظر: ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن، علي بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد
الجزري (ت: ٦٣٠هـ/١٢٣٣م)، التاريخ الباهر، تحقيق: عبد القادر أحمد طليحات، (دار
الكتب الحديثة، القاهرة، ١٣٨٢هـ/١٩٦٣م)، ١٨٠.

(٢) العبر في خبر من غير، ٤/٢٩٥؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ٣٢٨.

المجتمع لأشهر عدة أو من عدمه، وهذه الأوبئة قد تبدو ملتبسة عليهم كما التبس علينا وباء كورونا اليوم الذي جهلنا سببه رسمياً ودولياً وشعبياً.

ومن النصوص التاريخية التي جاء فيها عن انتشار الوباء الذي وقع في سنة (٥٩٧هـ/١٢٠٠م)، الذي قال فيه ابن الساعي بما نصه :

" وقع في بني عزة بأرض (السراة) بين الحجاز واليمن وباء عظيم، كانوا يسكنون في عشرين قرية، ووقع الوباء في ثماني عشرة قرية، فلم يبق منهم أحد، وكان الانسان إذا قرب من تلك القرى يموت من ساعته وبقيت إبلهم وأغنامهم لا مانع لها. وأما القريتان الاخريان، فلم يمت فيهما أحد، ولا أحس أهلها بشيء مما كان أولئك فيه "(١).

ومن المواقف الفردية المتميزة في الحجر الصحي ذكر لسان الدين ابن الخطيب الأندلسي (ت: ٧٧٦هـ/١٣٧٤م) (٢) أن الزاهد العارف أبو مدين شعيب بن الحسين الأنصاري (ت: ٥٩٤هـ/١١٩٧م) والمعروف باسم: سيدي بومدين أو أبو مدين التلمساني، الملقب بـ: شيخ الشيوخ، ولقبه ابن عربي بـ: معلم المعلمين، من أهل سلا المغربية قد أصابهم وباء الطاعون، فلم يجدوا العلاج للتخلص منه، فـ: بنى أبو مدين على منزله باباً، وتزوّد بالغذاء والشراب، وعزل نفسه وأهله في منزله، بسبب انتشار الوباء وكان

(١) ابن الساعي الشنجا، أبي طالب علي بن أنجب (ت: ٦٧٤هـ/١٢٧٥م)، الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير، تعليق: مصطفى جواد، (المطبعة السريانية الكاثوليكية، بغداد، ١٩٣٤م)، ٥٤/٩؛ للمزيد يُنظر: العزاوي، عشائر العراق، ٤٣/١٢.

(٢) علامة وكان شاعراً وكاتباً وفقهياً مالكيًا ومؤرخاً وفيلسوفاً وطبيباً وسياسياً من الأندلس، درس الأدب والطب والفلسفة في جامعة القرويين بمدينة فاس. يُنظر: الأزرقى اليميني، تسهيل المنافع في الطب والحكمة: المشتمل على شفاء الأجسام وكتاب الرحمة، ١٨.

كثيراً حينذاك، فنبيت المدينة وتوفي خلقٌ كثير، وسلم أبو مدين هو وأهله على الرغم من طول مدة انتشار الوباء اللعين (١).

أما تواجد الكثير من الفئران فهذا بحد ذاته سبب لنقل الوباء، ففي سنة (٦١٤هـ/١٢١٧م) انتشرت في منطقة الدجيل من أرض العراق، وكانت تتبع بعضها البعض وبكثرة لا توصف، إذ عانى منها الناس، وقد وصفت أن من الصعب جلوس إنسان من دون أن تمرّ عليه مجموعة منها، وكان الفرد يمسك العصا لطردها من المكان الذي يتواجد فيه. والمعروف أن هذه الفئران تقوم بنقل الأمراض وتنتشر الأوبئة في مواقع عدة، والله أعلم ما خلفت ورائها من أضرار كان نتيجتها وفيات أخذت من المجتمع مأخذه، ولم يحدد المؤرخون طبيعة الوباء أو المرض الذي كانت تحمله، فضلاً عما تخلفه من أمراض وأوبئة فيما بعد.

قال ابن كثير: " وفيها كثر الفأر ببلدة دجيل من أعمال بغداد، فكان الإنسان لا يقدر أن يجلس إلا ومعه عصاً يردج الفأر عنه، وكان يرى الكثير منه ظاهراً يتبع بعضه بعضاً " (٢).

ولم تكن الدجيل وبغداد مشمولة بهذه الأوبئة حصراً، بل تعدت إلى مدن أخرى كثيرة، ومثال على ذلك: ديالى التي تأثرت بتلك الأمراض، لاسيما في سنوات سابقة منها (٣٢٩هـ/٩٤٠م) و (٣٣٠هـ/٩٤١م)، إذ ظهرت أمراض وافدة إليها من بغداد وما جاورها وسمي ب: مرض الحميات (٣).

(١) نقلاً عن: أبو شويرب، عبد الكريم، لسان الدّين بن الخطيب ومخطوطته: مقتعة السائل عن المرض الهائل، (مجلة الجامعة المغاربية، ليبيا، مج ٥، العدد ١٠، ٢٠١٠م)، ٣٢٤-٣٣٠.

(٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ٣٣١/١٢-٣٣٢.

(٣) يُنظر: نفس المصدر، ٣٧٧/٨.

لقد تعرض العراق وكثير من البلدان إلى أزمات وبائية عدة ذكرها قسم من المؤرخين في مؤلفاتهم، ومنهم ابن الجوزي، فكانت لها تداعيات خطيرة وسلبية على المجتمع العربي الإسلامي، فضلاً عن الدولة والتزاماتها أمام ذلك المجتمع لصعوبة تحديد وتوفير العلاج الذي ينقذهم من هذا الوباء، مما دفعهم إلى التضرع والدعاء والتوبة والاستغفار، والتوسل ب: الله سبحانه وتعالى لتخليصهم من هذا الخطر الجسيم، وما يلحقه من آثار سلبية على المجتمع الإسلامي عموماً^(١)، لأن هناك فيضانات بدأت تتحرك مسببة الأضرار التي تكون عاملاً مساعداً لانتشار الأوبئة والأمراض في المجتمع، وهذا كثيراً ما يحصل في المدن المجاورة للأنهار.

ذكر أن بغداد تعرضت للغرق سنة (٦٤٢هـ/١٠٦٩م) من فيضان نهر دجلة، إذ: "وصل الماء إلى ثلاثين ذراع علو"^(٢)، الأمر الذي هلك بسببه الأنفس والدواب والأموال، وركبت الناس في السفن حتى أن صلاة الجمعة أقيمت في مركب (الطيّار) بعد أن هدمت من بغداد وما حولها بحدود مائة ألف دار^(٣).

إن هذه الكارثة والهدم الهائل للدور جعل الناس تعيش في العراء بعد أن هجرت منازلها، وهذا على ما يبدو لا يمر بسلام طالما هناك آثار تبقى على الأرض فتسبب أمراضاً عدة كانت نتيجتها هلاك الأنفس ونفوق الحيوانات وتلف المحاصيل الزراعية التي تُعد مصدر مالي من مصادر

(١) ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ٣٧٧/٦.

(٢) العمري، ياسين أفندي بن خير الله، غرائب الأثر في حوادث ربع القرن الثالث عشر، (دار

أم الربيعين، الموصل، ١٩٤٠م)، ٨.

(٣) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ٤٢٢.

التمويل للدولة الأمر الذي قد زاد تعقيداً لهلاك البشر من جهة، والدواب والزرع من جهة أخرى في وقت واحد.

ومن اللافت أن الرأي العام كان له من الأثر على الخلفاء والسلاطين والأمراء، ولغرض توثيق ذلك نورد ما ذكره أحد المؤرخين عندما عبر الخليفة العباسي المعتصم بـ: الله (ت: ٦٥٦هـ/١٢٥٨م) لزيارة المشاهد المقدسة في بغداد سنة (٦٥٠هـ/١٢٥٣م) ^(١)، قال له الوزير ابن العلقمي، محمد بن أحمد (ت: ٦٥٦هـ/١٢٥٨م)، الذي أشاد بالخليفة ودوره عندما تعرضت عاصمة الخلافة العربية الإسلامية بغداد إلى الدمار بسبب الفيضانات، قائلاً بما نصه:

ملأت فضاء غربي دجلة عسكرياً على الرمل أن تحصي الرمال يزيدُ
جعلت العدى تحت الثرى فقلوبهم راجفٌ ما تحت التراب جليدُ
وزلزلت الزوراء إذ غبت ساعة وأقلقها شوق إليك شديدُ
قدمت لخلق أنت فيهم سكينه واعطيت عمر الزمان يبيدُ ^(٢)
وهناك من الشعراء من وثق هدم البيوت، بسبب السيول التي قد تسهم في نشر الأوبئة والأمراض كما بيّنا، قال أحدهم يوم الجحاف:

لَمْ تَرَ عَيْنِي مِثْلَ يَوْمِ الْإِثْنَيْنِ
أَكْثَرَ مَحْزُونًا وَأَبْكَى لِلْعَيْنِ
إِذْ خَرَجَ الْمُخَبَّاتُ يَسْعَيْنِ

(١) مؤلف مجهول، الحوادث الجامعة و التجارب النافعة في المائة السابعة، صححه: مصطفى جواد، ومحمد رضا شيببي، (المكتبة العربية، بغداد، ١٣٥١هـ/١٩٣٢م)، ٣٠٥. علماً أن الكتاب يُنسب إلى ابن الفوطي، ويرى مؤرخون معاصرون أن نسبة الكتاب غير صائبة. ينظر: الأشرف الغساني إسماعيل بن العباس (ت: ٨٠٣هـ/١٤٠٠م)، العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك، (دار البيان، بغداد، (د. ت.))، ١/٥٨٨.

(٢) الأشرف الغساني، نفس المصدر، ١/٥٨٨.

سَوَانِدًا فِي الْجَبَلَيْنِ يَرْقَيْنِ (١)

وعلى ما يبدو فإن هذه الكوارث استمرت لسنوات عدة، لاسيما في الأعوام (٦٥٢هـ/١٢٥٤م) (٢)، وكذلك سنة (٦٥٤هـ/١٢٥٦م) عندما تدمر الرأي العام من ارتفاع مناسيب المياه، وغرقت قرى متعددة مثل: الخالص في ديالى، والراشدية من قرى بغداد (٣)، والعباسية وغيرها من أرض العراق (٤).

فضلاً عن غرق مدينة بغداد في نفس السنة وكان غرقاً شديداً لم يعهد مثله، قال أحد الباحثين: "تهدمت الدور والأسواق والجوامع ... وصار الناس يأتون بالسفن ليصلوا بالمستصرية كما غرقت بعض دور مدينة الكاظمية" (٥).

وهذا يعني أنها خلفت الكثير من الأوبئة لعدم إمكانية تصريفها بسهولة ويسر كما هو اليوم، وكأن هذه السنوات كانت نذير شؤم على الخلافة العربية الإسلامية في بغداد، لاسيما بعد هذه الكوارث عندما دخلها التتار سنة (٦٥٦هـ/١٢٥٨م)، وقتلوا ودمروا البلاد والعباد، وكل شيء فيها من

(١) يُنظر: البلاذري، فتوح البلدان، ١٦٨/٢؛ ابن الجاور، جمال الدين أبو الفتح يوسف بن

يعقوب بن محمد الشيباني الدمشقي (ت: ٦٩٠هـ/١٢٩١م)، صفة بلاد اليمن والحجاز،

(مطبعة بريل، لندن، ١٩٥١م)، ١٢٢؛ الفاسي، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، ٢٦١.

(٢) يُنظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، ٧٩٤/٢؛ مجهول، الحوادث

الجامعة و التجارب النافعة في المائة السابعة، ٢٣٠؛ الغساني، العسجد المسبوك والجوهر

المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك، ٦٠٠.

(٣) يُنظر: الحموي، معجم البلدان، ١٥/٢.

(٤) يُنظر: الحموي، نفس المصدر، ٤١٩/٤؛ مجهول، الحوادث الجامعة و التجارب النافعة في

المائة السابعة، ٣٤٤.

(٥) الورد، باقر أمين، حوادث بغداد في أثنى عشر قرناً، (إتحاد الناشرين العراقيين، بغداد،

٢٠١٣م)، ١٣٦.

حياة سواء أكان بتلف النتاج العلمي العربي والإسلامي أم قتل العلماء العرب والمسلمين على حدٍ سواء بعيداً عن الإنسانية وحقوق الإنسان المشروعة، إذ أن بعدها انتشرت الأوبئة؛ بسبب القتل الجماعي والإهمال وتوقفت الحياة بشكل عام إلا ما رحم الله تعالى^(١).

ولم يتوقف الوباء والبلاء في العراق، بل ذكر أن في مصر وقع وباء وبلاء ولم يهتم الناس به، لاسيما سنة (٦٥٦هـ/١٢٥٨م)، إذ فقدوا كل يوم بحدود (١٠٠٠) إنسان لأشهر عدة، قال أحد المؤرخين بما نصه: "حصل بالقااهرة مرض عظيم لم يكد يسلم منه أحد، وكان حدوثه يوم الخميس الرابع والعشرين من شوال سنة ست وخمسين وستمائة [للهجرة]"^(٢).

ومن المحزن المبكي أن ابن خلكان كان نفسه من ضحايا هذا المرض، وقد مات بسببه الذي وصفه قبل وفاته وكأنه يعلم أن حتفه عندما ساد الوباء والبلاء في البلاد في قوله: "مرض عظيم لم يكد يسلم منه أحد"^(٣)، وهذا ما تعرض الناس إليه جميعاً أي في سنة (٦٥٦هـ/١٢٥٨م)^(٤).

قال ابن تغري بردي بما نصه: "وفيها كان الطاعون العظيم بمصر وقرأها، فمات بمصر في عشرة أشهر كل يوم ألف إنسان"^(٥).

(١) يُنظر: ضاحي، فاضل جابر، وعباس فاضل عبد علي، موقف الرأي العام تجاه الكوارث

الطبيعية في العراق إبان العصر العباسي الاخير (٥٩٠-٦٥٦هـ=١١٩٣-١٢٥٨م)،

(مجلة واسط، جامعة واسط، العراق، مجلد ١٦، العدد ٤٦)، ١٥ وما بعدها.

(٢) ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ١٨٧/١.

(٣) نفس المصدر، ٣٣٨/٢.

(٤) نفس المصدر، ٣٣٨/٢.

(٥) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ٧٤/٥.

ومن المصيبة في هذا الأمر أيضاً أن ابن خلكان أشار لهذا الوباء ونقصد به الطاعون كما شاع سابقاً، إذ قال: "وكان بهاء الدّين^(١) المذكور ممن مسّه منه ألم، فأقام به أياماً، ثم توفى قبل المغرب في يوم الأحد رابع ذي القعدة من السنة المذكورة، ودفن من الغد بعد الظهر بترتته في القرافة الصُّغرى بالقرب من قبة الشافعي رحمه الله في جهتها القبليّة، ولم يتفق لي الصلاة عليه لاشتغالي بالمرض"^(٢)، وهذا الوباء كان سبباً في زمانه بانتشار الفقر والغلاء بين الناس الذي أشار إليه بإشارات فقيرة، إذ لم يفصح عما حصل من أعراض بالتفصيل العلمي المتداول من أطباء عصره سوى كلمة ألم.

نعم لم يذكر ابن خلكان (ت: ٦٨١هـ/١٢٨٢م) تفاصيل واسعة عن تلك المآسي، لاسيما في تراجم كتابه وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان على الرغم من سعته. إذ لم يكن متوازناً في عرض أخباره عن موضوعات الأوبئة والأمراض والكوارث التي ألمّت بالمجتمع العربي الإسلامي، ومنها على سبيل المثال بعدما ترجم سيرة الخليفة المستنصر الفاطمي (ت: ٤٨٧هـ/١٠٩٤م) ذكر المجاعة الشديدة التي وقعت في عهده ببلاد مصر، على حين لم نجد هذه الإشارة في ترجمة الملك العادل الأيوبي المتزامنة معه في نفس فترة الحكم، لاسيما في سنتي (٥٩٧هـ—/١٢٠٠م) و (٥٩٨هـ/١٢٠١م).

(١) توفى صاحب بهاء الدّين زهير بن محمد المهلبى سنة (٦٥٦هـ/١٢٥٨م). إذ عمل كاتب إنشاء للملك الصالح أيوب، وفي آخر عمره انكشف حاله، وباع موجوداته وكتبه، وأقام في بيته بالقاهرة إلى أن أدركته المنية، بسبب الوباء الشائع الذي أصاب المجتمع آنذاك، ووصف أن من شعره موزون مخترع ليس بخرجة العروض أبيات. يُنظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ١/١٨٧.

(٢) نفس المصدر، ٢/٣٣٨.

من هنا نجد أن هناك تناقضات وآراء عند بعض المؤرخين، منها ذكر الحوادث والتواريخ التي حصلت بها موضوع الأوبئة، ويتضح أن كثيراً منهم لا يصنع له أسلوب واحد، بل يعمل على أسلوبين، وعلى سبيل المثال في ذلك: ابن حيان القرطبي أبو مروان حيان بن خلف بن حسين بن حيان الاموي بالولاء (٤٦٩هـ/١٠٧٦م)، الذي يصنع له أسلوب تقريرى صرف، مثل وصفه تساقط النجوم الذي سببته في سنة (٢٢٤هـ/٨٣٩م) على عهد الأمير عبد الرحمن الأوسط قائلاً: " وفيها تساقطت النجوم نحو قرطبة "(١). وقسماً منهم في أغلب الأحوال يصطنعون الأسلوب التقريرى حين يذكرون الخبر أو الكارثة التي حلت بالمسلمين، ومرةً أخرى يقللون من أسلوبهم التقريرى ليمزجوه بصور وعناصر وصفية متفاوتة، إذ همهم الأول والأخير عرض الأخبار على ما يبدو.

وخلاصة الأمر يمكننا القول أن هناك من اتبع أسلوب إخبارى بيانى لا تطبيقي كما كان يفعله رسول الله (ﷺ) (٢)، إذ يبين المؤرخ الفكرة للآخرين بصورة مبسطة كأنها حية وواقعية، كي يسهل إدراكها وفهمها على أغلب القراء، وهو قريب من أسلوب الصحافة في عصرنا الحاضر (٣).

ولم يكن مسرح الهلاك في مصر وبغداد فحسب، بل حصل هذا في دمشق لأكثر من مرة، إذ لم يعرف الأطباء نوع هذا الوباء، وروى قسم من المؤرخين أن عدد الوفيات يومياً أكثر من (١٠٠٠) نسمة، وذكر أن سبب هذا الوباء هو مرض وافد من العراق؛ بسبب النزوح الذي خلفه التتار

(١) المقتبس من أنباء الأندلس، ١٨٠.

(٢) العاملي، السيد جعفر مرتضى، الصحيح من سيرة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، (دار الحديث، قم/إيران، ١٤٢٦هـ)، ٦١/٢١.

(٣) <https://school.kotar.cet.ac.il/kotarapp/index/Chapter.asp> تاريخ

الدخول في الموقع: ٢٥/٧/٢٠٢٠م.

آنذاك، وهم أنفسهم الذين نقلوا الأمراض التي سبق الإشارة إليها في هذه الدراسة^(١).

فضلاً عما ذكر في هذه البلدان العربية الإسلامية، فلا يخفى على القارئ الكريم ما تخلفه الحروب من أوبئة وامراض فيما بعد، بسبب قتل الأنفس وتدمير البنى التحتية، وعلى سبيل المثال لا الحصر عندما هجم التتار على بغداد عاصمة الخلافة سنة (٦٥٦هـ/١٢٥٨م)، وبلاد الشام سنة (٦٥٨هـ/١٢٥٩م)، إذ قتلوا " أمم لا يحصيهم إلا الله سبحانه وتعالى وامتألت الطرقات بالقتلة "^(٢).

ويبدو أن الأوبئة كانت موجودة ومستمرة لأسباب يعلمها الله تبارك وتعالى، وهي التي قد تسهم في ظروف حياة المجتمع كما نراه اليوم في بلدان عدة من العالم عندما انتشر وباء كورونا (كوفيد-١٩) المستجد الذي أوقف العجلة الاقتصادية والاجتماعية والإنسانية من تواصل المجتمع وغيرها.

(١) يُنظر: اليونيني، قطب الدين أبو الفتح موسى (ت ٧٢٦هـ/١٣٢٦م)، ذيل مرآة الزمان، (مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر اباد، الدكن، الهند، ١٣٧٤هـ/١٩٥٤م)، ٩١/١؛ الذهبي، العبر في خبر من غير، ٢٢٦؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ٧/٦٠؛ الدويهي، اسطفان، تاريخ الأزمنة، تحقيق: بطرس فهد، (دار لحد خاطر، ط ٣، بيروت، ٢٠١٩م)، ٢٣٨؛ ابن العبري، تاريخ، ٣٠٧.

(٢) الذهبي، تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام، ٥٠/٤٨.

المبحث الخامس الأوبئة المتبسة في العصور المتأخرة (١٢٥٧هـ/١٢٥٩م حتى سنة ٨٩٧هـ/١٤٧٩م)

أنصب اهتمام قسم من المؤرخين في القرون الأولى على السيرة النبوية والمغازي والتراجم للصحابة (ﷺ)، فضلاً عن استمرار الفتوحات الإسلامية وغيرها، وعلى ما وقع في تلك الدولة الفتية من الفتن والثورات والاضطرابات وتتنوع الأنظمة السياسية خلاف ما كان عليه في الخلافة الراشدة، لاسيما في العصر العباسي الأول (١٣٢-٢٣٢هـ)، والثاني (٢٣٢-٣٣٤هـ)، والثالث (٣٣٤-٤٤٧هـ)، والرابع (٤٤٧-٦٥٦هـ)، والعصور المتأخرة بعد سقوط بغداد سنة (٦٥٦هـ/١٢٥٨م) على يد التتار، إذ أصبحت قيادة دفة الحكم العربي الإسلامي بيد الأعاجم، بسبب انهيار الدولة وضعف الحكام من جهة، وازدياد الفتن والاضطرابات من جهة أخرى إلا أن العلم أخذ يتراوح بين التطور والضعف بحسب الحكام المشجعون والداعمون للعلم والعلماء.

وعلى الرغم من تطور علم الطب في العصور الإسلامية سألقة الذكر وما له من أهمية بمعرفة هذه الأوبئة والأمراض التي عصفت في مدن عدة من العالم الإسلامي، ويبدو عدم وجود معرفة لهذه الأمراض التي عانت منه، ومن المحتمل أنها قد تشبه أعراضها وباء كورونا (كوفيد-١٩) المستجد من جهة، وإهمال الدولة لتلك الآفات الوبائية من جهة أخرى، الأمر الذي قد يكون هو السبب في عدم ذكرها اعتقاداً أنه وباء الطاعون لا غيره.

لم تتوقف الأوبئة والأمراض الكثيرة التي ترادفت على المجتمع العربي الإسلامي بعد سقوط الخلافة العربية الإسلامية، ففي سنة (٦٦٨هـ/١٢٦٩م) انتشرت الحشرات بشكل غير مألوف مخلفة أضراراً عدة، قال الذهبي: "وفيها جاء جراد عظيم إلى الغاية بالشام، وإلى الديار المصرية، وإلى الحجاز" (١).

أما في سنة (٦٧٩هـ/١٢٨٠م) إذ قُتل الكثير من سكان حلب، تاركين أجساد المسلمين من دون دفنهم، قال ابن كثير بما نصه: "وصلت التتار إلى حلب، فقتلوا خلقاً كثيراً" (٢)، ورغم أن هذا الأمر فيه من الإساءة للإسلام والمسلمين الذين أراد الله بهم تخلص البشرية من الرجس والأوثان، ويبدو أن المسلمين لم ينصر بعضهم بعضاً، وعدم اهتمام الخليفة ومن حوله بما يدور حوله من تهديد وأخطار حينذاك فكانوا جميعاً ضحية بما قام بقتلهم المغول مخلفين أجسادهم بالعراء الأمر الذي ينتج عنه الكثير من الأوبئة التي لم يشر إليها بسبب هول المطلع.

وفي حادي عشر من المحرم سنة (٦٩٤هـ/١٢٩٤م) وقع بالقاهرة وباء عظيم حتى توفي في يوم واحد ممن ضبط ميراثهم في ديوان بيت المال بحدود سبعة آلاف إنسان، فضلاً عن غيرهم " ففرق صاحب الترجمة الفقراء على الأمراء ولولا أنه فعل كذلك ماتوا جميعاً" (٣).

وهذا يظهر تحمل الدولة جزء من مهامها مما تمكن قسم منهم السلامة من هذا الوباء المميت.

(١) تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام، ٥١/٤٩.

(٢) البداية والنهاية، ٣٤١/١٣.

(٣) الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله (ت: ١٢٥٠هـ/١٨٣٤م)، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، (دار المعرفة، بيروت، (د. ت.))، ٥٣/٢.

ولم يكن في القاهرة فحسب؛ بل عجز أهل بلييس وسائر المدن الشرقية في مصر عن ضم الزرع لكثرة موت الفلاحين، وعم الموت أيضاً جزيرة الأندلس بكمالها إلا مدينة غرناطة فإنهم نجوا، ومات من عداهم حتى إنه لم يبق للفرنج من يمنع أموالهم بسبب وفاة أغلب الناس هناك؛ فأتتهم العرب من إفريقية تريد أخذ الأموال إلى أن صاروا على نصف يوم منها، فمرت بهم ريح، فمات منهم على ظهور الخيل جماعة كثيرة ودخلها باقيهم، فرأوا من الأموات ما هالهم، وأموالهم ليس لها من يحفظها؛ فأخذوا ما قدروا عليه، وهم يتساقطون موتى ولا يعلمون ما يفعلون لسرعة الإصابة والوفاة. فنجا من بقي منهم بنفسه، وعادوا قليل إلى بلادهم بعد أن هلك أكثرهم، والموت قد فشا بأرضهم أيضاً، إذ مات منهم في ليلة واحدة عدد كثير، وعم الموتان أرض إفريقية بأسرها، جبالها وصحاريها ومدنها، وجافت من الموتى^(١).

ولم يكن هذا فحسب بل: "بقيت أموال العريان سائبة لا تجد من يراها. ثم أصاب الغنم داء، فكانت الشاة إذا ذبحت وجد لحمها منتناً قد اسود وتغير، وماتت المواشي بأسرها"^(٢).

وقال أيضاً: "ومات الفلاحون بأسرهم إلا القليل، فلم يوجد من يضم الزرع"^(٣). أمّا مدينة القاهرة فأصبحت بسبب الوباء "خالية مقفرة، لا يوجد بشوارعها مار، بحيث إنه يمر الإنسان من باب زويلة إلى باب النصر فلا يرى من يزاحمه، لاشتغال الناس بالموتى. وعلت الأتربة على الطرقات، وتكرت وجوه الناس، وامتألت الأماكن بالصياح؛ فلا تجد بيتاً إلا وفيه

(١) للمزيد ينظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ١٠/٢١٠؛ المقرئ، السلوك لمعرفة دول

الملوك، ٨٣/٤؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ١٠/٢٠٠.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، ١٠/٢٠٨.

(٣) نفس المصدر، ١٠/٢١١.

صريحة، ولا تمر بشارع إلا وترى فيه عدة أموات ... ودخلت امرأة غاسلة لتغسل امرأة، فلما جردتها من ثيابها، ومرت بيدها على موضع الكبة، صاحت الغاسلة وسقطت ميتة؛ فوجدوا في بعض أصابعها التي لمست بها الكبة، كبة قدر الفولة. وصار الناس يبيتون بموتاهم في التراب لعجزهم عن تواريتهم" (١).

وأردف عن استمرار هذا الوباء المستتر قائلاً: "إن هذا الوباء أقام يحور على أهل الأرض مدة خمس عشرة سنة. قلت: ورأيت أنا من رأى هذا الوباء، فكانوا يسمونه الفصل الكبير، ويسمونه أيضاً بسنة الفناء، ويتحاكون عنه أضعاف ما حكيناه، يطول الشرح في ذكره" (٢).

إن هذا الوباء دليل على أن هناك سنوات فناء حقاً، ولكن لم يحدد السبب بطول هذه الفترة أي (١٥) سنة تقريباً.

ومن باب الاستفادة في انتشار الوباء واستغلال الظروف التي سبق الحديث عنها، قال ابن تغري بردي: "وصار يأخذ الحمال ستة دراهم بعد الدخلة عليه، وصار الحفار يأخذ أجره حفر كل قبر خمسين درهماً، فلم يمتع أكثرهم بذلك وماتوا" (٣).

وعلى ما يبدو أن هذه الأوبئة كانت سمة بارزة بالظهور بين الحين والآخر، لاسيما في هذا العصر، فكانت تعترى الناس في فترات غير متباعدة حتى أن فترة خمس عشرة سنة تعتبر في نظرهم مدة طويلة (٤)،

(١) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ٢١٢/١٠.

(٢) نفس المصدر، ٢١١/١٠.

(٣) نفس المصدر، ٢١١/١٠.

(٤) ابن إياس، محمد بن أحمد (ت: ٩٣٠هـ—/١٥١٠م)، بدائع الزهور في وقائع الدهور،

تحقيق: محمد مصطفى، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٤٠٢هـ—/١٩٨٢م)،

٢٧٢/٢ - ٢٧٥.

وقيل أيضاً: " اشتد أمر الفناء والغلاء بالديار المصرية، وعم سائر ضواحيها، ومات من أهل القاهرة والفلاحين نحو النصف، فلما اشتد أمر الغلاء وكثر الطعن، نادى السلطان في الناس أن يصوموا ثلاثة أيام متوالية وأن يخرجوا إلى الجوامع" (١).

إن ما أحقته الأوبئة ومنها الطاعون ب: الدولة المملوكية التي ظهر فيها وانهيائها، فربما قد يكون وباء الطاعون واحداً من الأسباب الرئيسية في انهيار حكم المماليك، إذ كانت عواقبه هو الحصد المستمر للسكان، وعلى شكل موجات بشرية تهلك ولم تتوقف في مصر وبلاد الشام من السنة آفة الذكر حتى الغزو العثماني في سنة (٩٢٣هـ/١٥١٧م) (٢).

ومن باب نقل العدوى كما قال ابن تغري بردي عن المرأة التي تغسل النساء بعد موتها، وظهرت في جسمها تليف ماتت بعد ما لمسته. وهذا يعني أن انتقال الوباء ليس بالرداذ فقط بل بلامسة الجسد أيضاً، فقد ذكر أن أحد القضاة خلع نعله فلبسه رجل آخر، فمات بسببه من حينه، وعلى ما يبدو فإنه قد يكون مصاب بمرض ما، وانتقلت العدوى إلى هذا الرجل الذي لم يتمكن من تحمل ذلك الفيروس الذي أدى إلى وفاته لضعف مناعته والله أعلم.

لقد بدت مدينة القاهرة خالية من المارة بسبب الوباء المنتشر بين الناس، ولذلك تجد البيوت في أغلبها العويل والصراخ، بسبب الأموات الهائلة، وكثيراً يصعب إحصائها، لاسيما بسبب ازدياد المعاناة من قلة الغذاء والدواء

(١) نفس المصدر، ٢/٢٧٢ - ٢٧٥.

(٢) نفس المصدر، ٢/٢٧٢ - ٢٧٦.

وكثرة المرضى على الرغم مما قدمته الدولة من مساعدات لذوي الضحايا وغيرهم (١).

وحينذاك ذكرت تقارير رسمية أن في أحد المدن كانت تجبى الضرائب لأفراد بحدود (٦٠٠٠) شخص، وبعد أن حلّ الوباء في الناس تقلص العدد لمن يدفعون تلك الضرائب، إذ أصبح بحدود مائة وستة عشر شخصاً (٢). وهذا دليل على فقدان الكثير من الناس، بسبب ذلك الوباء اللعين الذي ذهبوا ضحيته وفقدوا حياتهم بسببه من دون معرفته وأسبابه، وهذا ما يمكن وصفه أنه شبيه ب: وباء كورونا الذي التبس على الناس بالأمس واليوم. وعلى الرغم مما تقدم ونظراً لتفشي هذه الأوبئة، فقد دعت الحاجة إلى قيام عدد من المؤلفين بكتابة مصنفات عدة، لاسيما عن وباء الطاعون؛ لأنه ملتبس مع الأوبئة الأخرى قديماً كما يرى قسماً منهم لعدم معرفتهم إلى ذلك الوباء القديم، بغية الحد منه والحذر من التهاون معه، وأخذ التدابير الملحة لتحقيق عدم الإصابة به. إذ أوصوا بضرورة عدم الدخول في المكان المصاب أو وجود أحد قد أصيب به، وعدم الخروج منه في حالة التأكد من مكان وجود الإصابة للحد من انتشاره، وهذا قريب من إجراءات الحجر الصحي.

ومن اللافت أن هذا الوباء لم يكن مختصاً على بلد واحد؛ بل انتشر في البلدان المجاورة، إذ ذكر قسم من المؤرخين انه قد الحق ضرراً كبيراً بها، فخرس الكثير من الناس أرواحهم وأموالهم، كما خربت البلاد على الرغم من

(١) يُنظر: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ١٩٥/١٩ - ٢٢٣.

(٢) يُنظر: المقرئبي، تقي الدين أحمد بن علي (ت: ٨٤٥هـ/١٤٤١م)، السلوك لمعرفة دول

الملوك، صححه: محمد مصطفى زيادة، (مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة،

١٣٥٣هـ/١٩٣٤م)، ٩٠/٤؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة،

٢٠٩/١٠.

اتساع أرضها وسمائها، الأمر الذي يبيّن أن الوباء لم يقتصر على فرد أو مجموعة أفراد؛ بل ينتقل من بلد إلى آخر كما هو اليوم في وباء كورونا (كوفيد-١٩) المستجد الذي لفّ العالم بأسره من دون معرفة الأسباب الحقيقية من ظهوره المفاجئ، فضلاً عن سرعة انتشاره^(١). إلا في مناقشات إعلامية لا تغني ولا تسمن.

وكما أسلفنا- فإن هذا الوضع لم يكتفي بإصابة الإنسان فحسب، بل أصاب الكثير من الدواب، لاسيما الدواجن والاسماك في المياه والنباتات والمزروعات بما فيها النخيل، وقد لوحظ في مصر على سبيل المثال أن الكثير من الطيور وجدت ميتة داخل الزروع، وظهور آثار الكبد على الريش^(٢).

وهذا ما أصاب الناس في صميم حياتهم، لأنه بسبب هذا الوباء ارتفعت الأسعار وقل العرض من السلع والمواد الغذائية، الأمر الذي جعل الناس أن تسلم أمرها إلى الله تعالى^(٣). كما أن الكثير من الناس يضع اسمه وعائلته في جيبه بغية التعرف عليه بعد موته، لعدم ضمان عودة الإنسان إلى أهله، لانتشار الوباء بشكل مخيف^(٤).

ذكر الصفيدي في سنة (٦٩٥هـ/١٢٩٥م) أحداث مرت على بلاد الشام، إذ تساقطت كميات غزيرة من الأمطار ففرغ الناس منها، وتوقفت فيما بعد.

(١) المقرئزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ٩٠/٤؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك

مصر والقاهرة، ٢٠٩/١٠.

(٢) يُنظر: المقرئزي، نفس المصدر، ٢-٧٨٤؛ ابن تغري بردي، نفس المصدر، ٢٠٩/١٠.

(٣) ابن أياس، بدائع الزهور في وقائع الدهور، ١٣٣/٢.

(٤) يُنظر: المقرئزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ٢٠٦/٧، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة

في ملوك مصر والقاهرة، ٣٤٠/١٤؛ ابن أياس، بدائع الزهور في وقائع الدهور، ١٣٣/٢.

وتبعت تلك الأحداث وباء عظيم وفناء كبير ثم أن الغلاء وقع بالشام وبلغت الغرارة مائة وثمانين درهماً (١).

فضلاً عما تقدم من قطعان الجراد في تلك السنة، وعادت تارة أخرى. ففي سنة (٦٩٦هـ/١٢٩٦م) ذكر ابن الفرات أن قطعان من الفئران هاجمت المزروعات واتلفتها وأشياء كثيرة أخرى تاركة الأمراض التي خلفتها من جراء فضلاتها المؤذية للإنسان ولتلك المزروعات في آن واحد، إذ أضرت الناس كثيراً (٢).

أما في سنة (٧٠١هـ/١٣٠٢م) فقد جاءت موجة كبيرة على مدينة دمشق وألحقت بها ضرراً كبيراً، وذكر بعض المؤرخين أنها تركت الغوطة عيصاً مجردة وبيست أغلب النباتات والأشجار بما لا يعد ولا يحصى (٣).

إن الأخطار الكثيرة التي تسببها الأوبئة والأمراض قد تكون أحد أسبابها مياه الفيضانات، وبالتالي تحد من العلاقات الإنسانية كالمساجد أو التواصل مع صلة الأرحام وغيرها، وهذا ما لمسناه في انتشار وباء كورونا (كوفيد-١٩) المستجد هذا العام في دول ومدن وقرى من العالم الواسع على الأغلب، كونها تمنع التواصل لأسباب رسمية ك: المعاملات وغير الرسمية. كما أصاب الوباء بلدان عدة، لاسيما في سنة (٧٤٩هـ/١٣٤٨م) بحيث يقف المرء حائراً في مشاهدته ومعاناة الناس من ذلك، إذ أضر بالإنسان والحيوان. وكان ابتداء الوباء من أول فصل الصيف من هذه السنة، قال ابن

(١) يُنظر: الوافي بالوفيات، ٧٧/٢، ١٣٤/٢٥.

(٢) يُنظر: ابن الفرات، ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم (ت ٨٠٧هـ/١٤٠٥م)، تاريخ ابن الفرات، مج ٨-٩، تحقيق: قسطنطين زريق، ونجلاء عز الدين، (المطبعة الأمريكية، بيروت، ١٣٥٦هـ/١٩٣٩م)، ٢٣١/٨.

(٣) يُنظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ٢٢/١٤؛ المقرئ، السلوك لمعرفة دول الملوك، ٣٤٨/٢.

تغري بردي: " فجافت الطرقات بالموتى، ومات سكان بيوت الشعر ودوابهم ومواشيهم" (١). وهذا يعني كثرة الوباء واضرارته، وقال بعض المؤرخين: بلغ في شعبان عدد من يموت في كل يوم مائتي إنسان تقريباً، فكان هذا الوباء لم يعهد في الإسلام مثله، فإنه ابتداءً بأرض مصر آخر أيام التخضير وذلك في فصل الخريف في أثناء سنة ثمان وأربعين، وما أهل محرم سنة تسع وأربعين حتى انتشر الوباء في الإقليم بأسره (٢). ومن النظر إلى الخسائر البشرية نرى مدى الإهمال وعدم وجود علاجات تمنع الخطر، فكان يموت بالقاهرة ومصر ما بين عشرة آلاف إلى خمسة عشر ألف إلى عشرين ألف نفس في كل يوم، وهي أعداد تحتاج التأمل وليس الإشارة فقط لمعرفة هذا الوباء الذي قد مرّ بمراحل تطور كما نعيشه اليوم مع كورونا المتطور سلالياً (٣).

كما نشير إلى ما وقع في سنة (٧٧٥هـ/١٣٧٣م)، إذ زاد نهر دجلة زيادة غير طبيعية، الأمر الذي فاض في كل بقاع الأرض المجاورة والبعيدة، وقد اختلط مع مياه الفرات، وأصبح من العسير الخروج وكما هو معتاد عند الكثير من الناس الذهاب في المشاهد المقدسة، لاسيما مشهدي الإمام أبي حنيفة (رضي الله عنه) (ت: ١٥٠هـ/٦٧٦م)، والإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) (ت: ١٨٣هـ/٧٩٩م)، فضلاً عن المزارات الأخرى في بغداد وغيرها، إذ كان الوصول إليها بالمراكب، بسبب دخول المياه إلى آلاف الدور مخلفةً

(١) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ١٠/٢١٠.

(٢) ابن تغري بردي، نفس المصدر، ١٠/١٩٥؛ المقرئ، السلوك لمعرفة دول الملوك، ٨٠/٤.

(٣) ابن تغري بردي، نفس المصدر، ١٠/١٩٥؛ المقرئ، نفس المصدر، ٨٠/٤.

ورائها الكثير من الضحايا والأمراض، ومنها الملاريا بسبب تكاثر البعوض على تلك الآثار المدمرة.

ومنها ما أصاب الوالي لمدينة بغداد السيد: الخواجة سرور^(١) حزناً شديداً على ما وقع، الأمر الذي أدى به إلى الموت، كونه أصبح عاجزاً عن تقديم يد العون للناس جميعاً في هذه الظروف الحرجة^(٢).

وعلى ما يبدو فإن هذه السيول وما تخلفه من نتائج تكون فرصة لنمو الحشرات والآفات الزراعية التي لها الأثر الكبير في تكاثر الأوبئة في تلك الأمكنة التي تصبح عسيرة على حياة الإنسان مما قد يترك الناس الحياة الريفية ليتوجهوا إلى المدينة، فيجدوا أن ظروفهم قد ساءت بسبب تلوث الطبية من جهة واعتمادهم على أعمال غير لائقة بهم ثانياً.

أما في سنة (٨١٣هـ/١٤١٠م)، إذ قال ابن حجر كان في أولها " وباء ببلاد فلسطين وحوران وعجلون وناבלس وطرابلس فمات خلق كثير جداً، ثم كان في آخرها الطاعون بدمشق ونواحيها"^(٣). ونتساءل ما هو الوباء الذي وقع في أولها الذي أهمله المؤرخون والأطباء حتى ظهر الطاعون لاحقاً؟

(١) لم نقف على ترجمته.

(٢) يُنظر: العاني، نوري عبد الحميد، العراق في العهد الجلائري، (دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٦م)، ١٧٧. وممن توفاه الله بالوباء محمد مرتضى الزبيدي (ت: ١٢٠٥هـ/١٧٩٠م)، إذ يُعد واحداً من أكبر واضعي المعجمات العربية، صاحب كتاب (تاج العروس من جواهر القاموس)، قال من ترجم له، إنه مات بالطاعون بذات اليوم الذي أصيب فيه بمصر ودفن هناك. يُنظر: الياس سركيس، معجم المطبوعات العربية، (مكتبة آية الله المرعشي النجفي، قم/إيران، ١٤١٠هـ)، ١٧٢٦/٢.

(٣) أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد (ت: ٨٥٢هـ/١٤٤٨م)، إنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ، تحقيق: محمد عبد المعيد خان، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م)، ٢٣٥/٦.

وفي أوائل سنة (٨٢٧هـ/٤٢٣م) وقع بـ: مكة المكرمة وباء عظيم، إذ كان يتوفى في كل يوم بحدود أربعين إنسان من دون معرفة سبب الوفيات من الأطباء الذين نتوسم بهم معلومات دقيقة جداً على الرغم من الإمكانيات المتوفرة، قال ابن حجر: "وحصر من مات في ربيع الأول ألفاً وسبعمائة، وقيل إن إمام المقام لم يصل معه في تلك الأيام إلا اثنين وبقية الأئمة بطلوا لعدم من يصلي معهم" (١).

وفي سنة (٨٣١هـ/٤٢٧م)، إذ كان ببلاد الصعيد الأعلى، وباء شديد ومرض حاد، ومات بسببه خلائق في رجب وشعبان (٢).

أما في سنة (٨٣٧هـ/٤٣٣م) فقد كان الوباء بسبب السيول والأمطار الغزيرة، قال ابن حجر بما نصه: "وفيها وقع بمكة سيل عظيم طبق ما بين الجبلين، وانهدمت بمكة دور كثيرة، ووصل الماء إلى قرب باب الكعبة، وطاف بعض الناس سبحاً، وأقام الماء يوماً بالحرم إلى أن صرف، وفاضت زمزم إلى أن شرع الماء بها هدرًا. قرأت في كتاب علي بن إبراهيم الأبى الزبيدي (٣) نزيل مكة ... [إذ] وقع بمكة مطر غزير سالت منه الأودية وكانت ليلة الجمعة، فأصبحوا وقد صار في المسجد ارتفاع أربعة أذرع - ماء -، فأزيلت عتبة باب إبراهيم فخرج الماء من المسفلة، فبقى من الطين في المسجد نحو نصف ذراع، وتهدمت في تلك الليلة دور كثيرة، ومات تحت الردم جماعة، وقرأت في كتاب صاحبنا شهاب الدين الجرهني (٤) أنه تلف له كتب كثيرة من السيل، وعقب هذا السيل وباء" (٥).

(١) ابن حجر العسقلاني، إنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ، ٤٢/٨.

(٢) نفس المصدر، ٤٠٦/٣.

(٣) لم نقف على ترجمته.

(٤) لم نقف على ترجمته.

(٥) إنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ، ٥١٤/٣.

وذكر الحنبلي أن القاهرة فجعت سنة (٨٣٨هـ/٤٣٤م) بوفاة الكثير من الناس من دون معرفة الوباء، قائلاً بما نصه: "وتوفي بالقاهرة يوم الأحد سابع شهر رمضان سنة ثمان وثلاثين وثمانمائة [للهجرة] فيها كان وباء عام في بلاد المسلمين والكفار مات به من لا يحصى كثرة" (١).

وذكر ابن الحمصي أن في سنة (٨٨٤هـ/٤٧٩م) "أفقس الجراد وسرح في الأرض إلى أن طم البلاد" (٢)، وقال أيضاً: "رعى ورق الشجر، وأفسد المياه من كثرتة وسد الأزقة والطرقات" (٣).

وعلى ما يبدو فإن هناك أسباب هي الأخرى بإمكانها الإسهام في نقل الأوبئة والأمراض، وتسمى الأمراض الوافدة، ذكر المقرئزي سببها قائلاً: هو ما يعمّ خلقاً كثيراً في بلدٍ واحدٍ وزمانٍ واحدٍ، ومنه نوع يقال له: الموتان، وهو الذي يكثر معه الموت، وحدثت الأمراض الوافدة تكون عن أسباب كثيرة يجتمع في أجناس أربعة وهي: تغير كيفية الهواء، وتغير كيفية الماء، وتغير كيفية الأغذية، وتغير كيفية الأحداث النفسانية، لأن الهواء يتغير كيفيته على ضربين:

أحدهما: تغيره الذي جرت به العادة، وهذا لا يحدث مرضاً وافداً، وليس تغيراً ممرضاً.

والثاني: التغير الخارج عن مجرى العادة، وهذا هو الذي يحدث المرض الوافد. وكذلك الحال في الأجناس الباقية وخروج تغير الهواء عن عادته يكون: أمّا بأن يسخن أكثر، أو يبرد أو يرطب، أو يجفف أو يخالطه حال

(١) شذرات الذهب، ٢/٢٢٤.

(٢) ابن الحمصي، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر (ت: ٩٣٤هـ/١٥٢٧م)، حوادث الزمان ووفيات الشيوخ والأقران، تحقيق: عمر عبد السلام، (المكتبة العصرية، مصر، ١٤٠٥هـ)، ١/١٦٠.

(٣) نفس المصدر، ١/٢٢٩.

عفنة، والحالة العفنة أمّا أن تكون قريبة أو بعيدة. فإن أبقرات وجالينوس يقولان: إنه ليس يمنع مانع من أن يحدث ببلد اليونانيين مرض وافد عن عفونة اجتمعت في بلاد الحبشة، وتراقت إلى الجوّ وانحدرت على اليونانيين، فأحدثت فيهم المرض الوافد.

وقد يتغير أيضاً مزاج الهواء عن العادة بأن يصل وفد كثير قد أنهك أبدانهم طول السفر، وساءت أخلاطهم فيخالط الهواء منها شيء كثير، ويقع الإعداء في الناس، ويظهر المرض الوافد.

والماء أيضاً قد يحدث المرض الوافد أمّا أن يفرط مقداره في الزيادة أو النقصان، أو يخالطه حال عفنة ويضطرّ الناس إلى شربه، ويعفن به أيضاً الهواء المحيط بأبدانهم، وهذه الحال تخالطه أمّا قريباً أو بعيداً بمنزلة ما يمرّ في جريانه بموضع خرب قد اجتمع فيه من جيف الموتى شيء كثير، أو بمياه تقاطع عفنة فيحذرهما معه ويخالط جسمه، والأغذية تحدث المرض الوافد. أمّا إذا لحقها اليرقان، وارتفعت أسعارها، واضطرّ الناس إلى أكلها. وإما إذا كثرت الناس منها في وقت واحد، كالذي يكون في الأعياد فيكثر فيهم التخم، ويمرضون مرضاً متشابهاً.

وإما من قبيل فساد مرعى الحيوان الذي يؤكل، أو فساد الماء الذي يشرب، والأحداث النفسانية تحدث المرض الوافد متى حدث في الناس خوف عام من بعض الملوك، فيطول سفرهم وتفكرهم في الخلاص منه، وفي وقوع البلاء، فيسوء هضمهم وتتغير حرارتهم الغريزية. وربما اضطروا إلى حركة عنيفة في هذه الحال، أو يتوقعوا قحط بعض السنين، فيكثرون الحركة والاجتهاد في ادّخار الأشياء، ويشتد غمّهم بما سيحدث.

فجميع هذه الأشياء تحدث في أبدان الناس المرضى الوافدين متى كان المتعرض لها خلق كثير في بلد واحد ووقت واحد. وظاهر أنه إذا كثرت في

وقتٍ واحدٍ المرضى بمدينة واحدة، ارتفع من أبدانهم بخار كثير، فيتغير مزاج الهواء، فإذا صادف بدنًا مستعداً مرضه (١).

فضلاً عما تقدم فليس من الغريب أن الماء الذي يسقي المزروعات قد يكون سبب في إفساد النباتات وتلوثها، لاسيما التي منها غذاء الإنسان، وهذا يكون بسبب ظهور وباء يؤثر على تلك المياه ويكون ناقلاً لها، فيحمله الإنسان وهو لا يعلم عند تناول الأطعمة الملوثة، إذ يصابون وهم حيث لا يشعرون، فتكون العدوى بين أفراد المجتمع أو الأسرة من دون معرفة مصادرها غير الظاهرة على النباتات وغيرها (٢).

وأخيراً في سنة (٨٩٧هـ/١٤٩٢م) انتشر وباء الطاعون، إذ الحق الضرر في كل بقاع الأرض كما هو اليوم في وباء كورونا المستجد، حتى قيل عنه: "أن ربع سكان العالم ماتوا فيه" (٣).

وقال ابن العماد أيضاً: "فيها كان الطاعون العام العجيب الذي لم يسمع بمثله حتى قيل إن ربع أهل الأرض ماتوا به" (٤).

(١) يُنظر: المقرئزي، تقي الدين أحمد بن علي (ت: ٨٤٥هـ/١٤٤١م)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بـ: الخطط المقرئزية، (دار صادر، بيروت، (د. ت.))، ٥٨/١-٥٩.

(٢) يُنظر: ابن الوردي، سراج الدين أبو حفص عمر بن المظفر البكري القرشي المعري ثم الحلبي (ت: ٨٥٢هـ/١٤٤٧م)، عجائب النباتات والفواكه والحيوانات من خلال مخطوط خريدة العجائب وفريدة الغرائب، تحقيق وتعليق وتقديم: أنور محمود زناتي، (د. ط.)، (د. م.)، (د. ت.)، ١٠.

(٣) السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن محمد (ت: ٩٠٢هـ/١٤٩٦م)، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، (دار الجيل، بيروت، ١٩٩٢م)، ٢٧٤/٩؛ الورد، باقر أمين، حوادث بغداد في أثنى عشر قرناً، ١٧٧.

(٤) شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ٣٥٩.

وهذا يعني أن الوباء ملتبس على الناس كما نراه اليوم من دون إيجاد تشخيص دقيق ١٠٠% أو علاج لهذا الأوبئة ١٠٠% كما هو معطن عن وباء كورونا (كوفيد-١٩) المستجد في العالم وإلى يومنا هذا. من خلال استعراضنا للظروف والحوادث التي مرّت بالعصور العباسية وما بعدها حتى نهاية القرن التاسع الهجري، نلحظ العوامل المتنوعة التي تسهم في انتشار الأوبئة، ومنها الطبيعية والظروف الاقتصادية وعدم التزام الكثير من الناس بالتشريعات السماوية، وقد عرضنا قسم من النصوص والآراء بالتحليل على وفق منهج الوصف والاستقراء للأحداث التي عاشها أسلافنا.

كما يمكن القول إن هناك أسباب أخرى من المحتمل أن تكون هي السبب في حدوث الوباء، ومنها عوامل السياسة، بسبب الخلافات الدولية أو التدخلات البشرية آنذاك، وما نعيشه اليوم في انتشار وباء كورونا (كوفيد-١٩) المستجد الغامض إلى الآن، قد يضاف عامل آخر مستحدث ألا وهو استخدام الأبحاث العلمية المتطورة حديثاً، لعدم وجود تأكيد (رسمي) من دول أو جهات مختصة على أنه طبيعي أو بشري على وجه التحديد وإلى هذا اليوم والساعة التي نكتب عنه.

الفصل الرابع

الطب عند العرب والوقاية من الأوبئة

المبحث الأول
الطب عند العرب

المبحث الثاني
انتشار الأوبئة والأمراض

المبحث الثالث
الوقاية من الأوبئة

المبحث الرابع
العلاج بالأعشاب

المبحث الخامس
الحالة النفسية عند انتشار الوباء

المبحث الأول الطب عند العرب

عانى العرب والمسلمون من الأوبئة والأمراض في مراحل مختلفة من تاريخهم العريق، كان من أهمها وأبرزها وباء الطاعون الذي أسهمت تداعياته على جوانب الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية كافة. فلا عجب أن نجد لها حاضرة في قسم من مؤلفات المؤرخين أو كتابات بعض الفقهاء، وحتى قصائد الشعراء أو كتب الحكماء، إذ ليس هناك من شك في أن الطريقة التي تعاملوا بها مع وباء خطير قد يعكس لنا أنماط التفكير المختلفة للعلماء الأعلام في سياقات تاريخية متنوعة.

كما لم يكن الطب قبل وفي بداية صدر الإسلام يسير على وفق نظام علمي متكامل، ولكن في الوقت ذاته تمكن الأطباء من تكوين قاعدة له فيما بعد لسنين وعقود طوال أو لقرون خلت، إذ اهتدى من خلالها الأطباء بالنهوض بهذا العلم الحيوي. وقد لا يختلف دور الأطباء العرب والمسلمين حينذاك في تشخيص قسم من الأمراض عما يفعله الأطباء حالياً من خلال التشخيص السريري والملاحظة للأعراض قبل اللجوء إلى التحليلات بالأجهزة الطبية والتقنيات الحديثة على الرغم من الفارق في التقدم العلمي الكبير في المعدات التكنولوجية والتقنيات الطبية، لاسيما ما نعيش به حالياً في العالم العربي أو بعض الدول الإسلامية خارج وطننا العربي والغرب عموماً.

ذكر الحلبي العُقيلي أن الناس كانوا قبل الإسلام إذا خافوا وباء بلد عثروا كتعشير الحمار: أي نهقوا عشرة أصوات في طلق واحد قبل أن

يدخلوها، وكانوا يزعمون أن ذلك يمنعهم من الوباء ^(١)، و قال الدميري بما نصه: " إذا خافوا من وباء بلد، عثروا كتعشير الحمار، قبل أن يدخلوها. وكانوا يزعمون أن ذلك ينفعهم " ^(٢)، لأنهم يعتقدون أن هذا نصب من الجن أو الأرواح الشريرة، كي تبتعد عنهم عند دخولهم المدينة سواء أكان الوباء موجود أو لا.

لهذا تغيرت حياة المجتمع بعد مجيء الإسلام، وهذا ما يمكن النظر إليه في كتب التراث العلمي العربي والإسلامي الذي إنماز بخصائص قد الكثير من العلماء بضعف أو توانٍ في مواجهة الانتشار الكبير للوباء وعجزهم عن شرح أسباب حدوثه بما يتوفر لديهم من إمكانيات علمية، على الرغم من أن قسماً منهم لم يتردد في نسبه إلى غضب الله وسخطه، بينما ذهب البعض إلى التفسيرات الفلكية، وجعل حركة النجوم، ولقاء الكواكب مثل المريخ وزحل في البروج النارية المسببة للطاعون ^(٣).

ويرى ابن خاتمة (ت: ٧٧٠هـ / ١٣٦٩م)، قائلاً: اتفق الحكماء الأندلسيون على أن الطاعون الذي اجتاح أوروبا وشمال إفريقيا كان سببه بشكل أساسي حركة وتواصل الكواكب، مما أفسد الهواء وأدى إلى انتشار الوباء ^(٤).

وعليه فلا بد لهذه الأمة الإسلامية من توظيف تراثها العلمي توظيفاً جيداً يوافق طموحات عصر التطور العلمي الذي نعيشه اليوم، ومن خلال ذلك يمكن استشراف آفاق المعرفة، والاطلاع على التقنيات لمواجهة الأخطار،

(١) السيرة الحلبية، ٣١١/٤.

(٢) حياة الحيوان الكبرى، ٣٤١/١.

(٣) ابن الخطيب، مقنعة السائل عن المرض الهائل، ٦٥-٦٧.

(٤) يُنظر: تحصيل غرض القاصد في تفصيل المرض الوافد، ٣٢.

ودراسة الوسائل العلمية والعملية الكفيلة بإنقاذ المجتمع من الوباء، لاسيما التي اعتمدها الأطباء في تشخيص الأمراض ووضع العلاجات من خلال الملاحظة والبحث التجريبي، وعلى وجه التحديد من التي ساعدت كثيراً على وضع حركة التطور للمجتمع العربي الإسلامي في مكانها المناسب والصحيح وبالخصوص في مجال الطب البشري أو الحيواني أو النباتي، لأن العرب استفادوا من العلوم التي أطلعوا عليها من الروم والفرس فأضافوا وحذفوا^(١)، وعلى سبيل المثال: فقد عرفوا أخطار الذباب، واتخذوا له وسائل وقائية عدة. كما عرّف العرب العدوى ومنها السريعة والبطيئة، وكيفية محافظة الإنسان على نفسه ليوقئها شر الهلكة. إذ تتجُم العدوى كما يراها البعض عن أربعة أنواع رئيسة من الكائنات الحية هي: البكتيريا والفيروسات والفطريات والطفيليات^(٢).

وللأسف ترك الإنسان العربي في هذه الفترة الاهتمام بالبحث العلمي، وأغفلوا دورهم الحضاري^(٣)؛ بل فرطوا به كثيراً من دون أن يشعروا بواجبهم الشرعي وغير الشرعي ألا وهو إحياء الأمم بوجه عام، وجعل ذلك العطاء هو التراث الممتد كرافد للحياة، وخدمه للإنسانية جميعاً بدليل العالم اليوم يبحث عن علاجات لـ: وباء كورونا (كوفيد-١٩) المستجد والعالم العربي ينتظر الشراء أو طلب الحصول على موافقات استهلاك المنتج المحلي من

(١) القرني، أحمد حسنين، قصة الطب عند العرب، (الدار القومية للنشر، القاهرة، ١٩٦٥م)،

(٢) <https://www.msmanuals.com/ar/home/%D8%A7>

(٣) بيتنا ذلك في حضورنا المؤتمر الدولي المقام في العراق/ جامعة ديالى/ كلية التربية للعلوم الإنسانية في ٢٤ نيسان عام ٢٠١٩م، وإلقاء بحثنا المعنون: البحث العلمي العربي بين الواقع ومواجهة التحديات (دراسة تاريخية معاصرة).

الدول الصناعية الكبرى سياسياً واقتصادياً، لأسباب لا مكان لسردها بالتفصيل.

الوباء العالمي في التراث العربي الإسلامي:

تبيّن أن الطب العربي بوجه عام والوقوف على الأوبئة والأمراض بوجه خاص، لاسيما التي عانى منها المجتمع العربي والإسلامي قد مرّ بأربع مراحل هي (١):

الأولى: امتدت من عصر ما قبل الإسلام حتى بداية ترجمة الكتب اليونانية والهندية والفارسية إلى اللغة العربية في القرن الثاني الهجري أي صدر العصر العباسي الأول، إذ اعتمد الأطباء على الاعراف والتقاليد من دون الولوج في علم التشريح أو الفسلجة أو تحليل الظواهر المرضية وأعراضها.

الثانية: من ترجمة الكتب -سألقة الذكر- إلى بدايات ظهور العلماء العرب والمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها في الدولة العربية والإسلامية أي مطلع القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي).

الثالثة: وهي مرحلة النضوج العلمي للأطباء العرب والمسلمين وتأليف الكتب في مجالات عدة، منها الطب والصيدلة والتداوي بالأعشاب، وفي مقدمة هؤلاء الأعلام، الرازي والمجوسي، وابن سينا وغيرهم كثير أي من القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي)، فكانوا بحق رواد الحضارة العربية والإسلامية.

(١) للمزيد يُنظر: السامرائي، كمال، مختصر تاريخ الطب العربي، (دار النضال، بيروت،

١٩٨٩م)، ٣٢١-٣٢٣.

الرابعة: مرحلة الركود التي أتت بعد ظروف عدة، إذ توقفت عمليات البحث العلمي والتأليف وأصبحت شبه مضمورة، بسبب احتلال التتار بغداد واسقاط الخلافة العربية الإسلامية أي من القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي)، وقد بزغ خلال ذلك علماء بارعون ولكن قلة ومنهم ابن البيطار^(١) وابن النفيس. وهذا قد لا يكون شاملاً للطب في بلاد الشام أو الأندلس وغيرها كونه امتداد للطب العربي والإسلامي في العصور العباسية كونها عانت في قرونها الأخيرة من صراعات سياسية واحتلالات عدة، فضلاً عن تقسيمات بلدانية اضعفتها لا مجال الخوض فيها.

يرى الكثير من المؤرخين أن من أهم الأوبئة والأمراض المنتشرة في العالم القديم والوسيط هو الطاعون، وهذا المرض لم يصب المسلمون فحسب؛ بل هو وباء منتشر في العالم أجمع.

ففي سنة (٨٣٣هـ/١٤٢٩م) على سبيل المثال أصاب المجتمع الأوروبي الذي سموه بـ: الموت الأسود، إذ كانت أغلب إصاباته لمفاوية ورئوية على حين بلغت الوفيات أغلب سكان أوروبا، ذكر أنها كانت بحدود (٢٥) مليون إنسان فقد حياته بسبب هذا الوباء اللعين^(٢)، ومن المحتمل أن يكون هذا

(١) ضياء الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد المالقي، المعروف بـ: ابن البيطار، والملقب بالنباتي والعشّاب (ت: ٦٤٦هـ/١٢٤٨م). عالم نباتي وصيدلي مسلم، من عظماء العلماء الذين ظهرت علومهم في القرون الوسطى، ولد في مالقة بالأندلس، وتوفى في الشام/دمشق، إذ وافته المنية وهو يقوم بأحد أبحاثه وتجاربه على النباتات التي يستخرج العلاجات منها، فتسرب إليه السم أثناء اختباره لنبته حاول صنع الدواء منها. للمزيد ينظر: ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ٦٠١.

(٢) أي أن في أواخر القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي) عمّ الطاعون العالم بأسره منطلقاً من الصين الجنوبية وأسفر عن وفاة (١٠) مليون إنسان أو أكثر. ينظر: أحمد شفيق، معجم المصطلحات العلمية والفنية، (مكتبة لبنان، بيروت، ٢٠٠٣م)، ١٠٨.

الوباء أودى بحياة أعداد أكبر في آسيا وغيرها ومنها دولة موطن الوباء (١)، فضلاً عن وباء سنة (٨٩٧هـ/١٤٩٢م) الذي كان خاتمة الدراسة، وقالوا عنه أنه هلك من الناس ربع العالم تقريباً (٢).

والطاعون كما معروف طبيياً على وفق تفسيرات العلم الحديث، هو مرض وبائي قد تخزنه الفئران أي هي ناقل ولا تصاب به، ثم تنقله البراغيث إلى فئران أخرى ومن ثم إلى الإنسان (٣).

ويرى أهل العلم كما ورد في أحد الموسوعات العلمية أن الطاعون هو مصطلح قديم يطلق على أي: (مرض سريع الانتشار)، ويسبب وفيات جماعية إلا أن العلم الحديث أكد على أنه محصور في حمى معدية من نوع معين ومحدد تسببه اليرسينيا الطاعونية (واسمها العلمي: *Yersinia pestis*)، وكانت تُسمى سابقاً باستوريبلا طاعونية (واسمها العلمي: *Pasteurella pestis*)، وهي بكتيريا عصوية يسهم في نشرها برغوث الفئران، والأصل فيه أنه يصيب القوارض إلا أن انتقال الوباء إلى الإنسان يحصل بسبب الإتصال ببرغيث القوارض المصابة، فتحصل العدوى (٤).

https://www.aljazeera.net/news/cultureandart/٢٠٢٠/٣/١٠ تاريخ الدخول

في الموقع: ٢٠٢٠/٤/١٢ م.

(١) https://www.aljazeera.net/news/cultureandart/٢٠٢٠/٣/١٠

تاريخ الدخول في الموقع: ٢٠٢٠/٤/١٢ م.

(٢) الخطيب، أحمد شفيق، معجم المصطلحات العلمية والفنية، (مكتبة لبنان، بيروت،

٢٠٠٣م)، ١٠٨.

(٣) نفس المرجع، ٤١٥.

(٤) للمزيد يُنظر: الموسوعة العربية الميسرة، (دار الجيل، ط٢، الجمعية المصرية، ٢٠٠١م)،

Encyclopedia Britannica, v٣, ٢٠-٢١؛ ٢٢٤٨

أشكال وباء الطاعون:

١. الطاعون اللمفاوي الورمي:

تبدأ اعراضه برعشة في الجسم ثم يبدأ المصاب بالقيء ويستمر معه صداع شديد ودوار ثم حساسية ضد الضوء، وألم في عظام الظهر والأطراف جميعاً. ويحصل لديه أرق وضعف بالشعور، فضلاً عن الهذيان وارتفاع حرارة الجسم قد تصل إلى أكثر من (٤٠) درجة مئوية في حين أن حرارة الإنسان الاعتيادية (٣٦) ونصف درجة مئوية) ثم تبدأ الحرارة بالانخفاض درجتين أو أكثر مع الانهيار الشديد، والإمساك في هذا الحال جيد يمكن شفاء المريض منه. أمّا إذا صاحبه الإسهال فهو علامة دالة على احتمال الموت، بعدها قد تظهر عقد لمفاوية تتوزع في الفخذ والأبطن من جسم المريض (١).

قال ابن حجر نقلاً عن الطبيب المسلم ابن سينا (٢) (ت: ٤٢٧هـ/١٠٣٦م) بما نصه: "

الطاعون مادة سمية تحدث وربما قتالاً يحدث في المواضع الرخوة والمغابن من البدن وأغلب ما تكون تحت الإبط أو خلف الإذن أو عند الأرنبة قال: وسببه دم رديء مائل إلى العفونة والفساد يستحيل إلى جوهر سمي يفسد العضو بغير ما يليه ويؤدي إلى القلب كيفية رديئة فيحدث القيء والغثيان والغشي والخفقان وهو لرداءته لا يقبل من الأعضاء إلا ما كان أضعف بالطبع وأردؤه ما يقع في الأعضاء الرئيسية والأسود منه قلّ من

(١) يُنظر: ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ١٥١/١٠.

(٢) أبو علي الحسين بن عبد الله بن علي البلخي، المعروف بالشيخ والرئيس، ولد في بخارى عام (٣٧١هـ/٩٨١م)، وعني بالدراسة ورغب الطب وبرع فيه، ثم انتقل إلى الري من إيران، كتب الكثير من المؤلفات الطبية، فضلاً عن المؤلفات الفلسفية الأخرى، للمزيد يُنظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١١٨/١١.

يسلم منه، وأسلمه الأحمر ثم الأصفر والطواعين تكثر عند الوباء في البلاد
الوبئة ومن ثم أطلق على الطاعون وباء^(١)، فضلاً عن بعض الأعراض
الأخرى كما وصفها ابن سينا، ومن المحتمل أنها قد تقترب من وباء كورونا
المستجد في عصرنا على الأعم الأغلب.

٢. الطاعون الرئوي:

يصاب المريض بشكل واسع بالرئتين ويشعر بالتهاب رئوي وتتطور
حالته، فيتبعه استسقاء الرئتين أي وجود سوائل داخل الرئة، الأمر الذي يسد
الهواء، ويتوفى المصاب خلال ثلاث أو أربعة أيام والله أعلم.

٣. طاعون تعفن الدم:

بعد حضانة الوباء تنتشر في المصاب بكتيريا تلوث الدم، وهذا التلوث
يحدث قبل ظهور العلامات اللمفاوية أو الرئوية من المعاينة، ويصاب
المريض بانهيار شديد، فضلاً عن تلف خلايا الدماغ، وقد تحصل الوفاة
في يوم أو يومين على الأكثر والله أعلم.

ومن اللافت أن هذا المرض مدة حضانته من ثلاثة أيام إلى ستة أيام أو
تقل عن ذلك، وقد تمتد إلى عشرة أيام، ويمكن معالجته بمضادات حيوية
ومركبات السلفا أي الكبريتات أولاً، وأكثر هذه الأمراض قد تعالج بالطريقة
ذاتها، وكذلك وباء كورونا (كوفيد-١٩) المستجد يُعالج بنفس المركبات التي
وصفها بعض الأطباء العرب والأجانب، ومنها الزنك على سبيل المثال
وغيرها من المواد العلاجية الحديثة، فضلاً عن النباتات العشبية مثل: الثوم
والبصل والقرنفل وغيرها الكثير التي تقوي المناعة وتقاوم الفيروسات^(٢).

(١) ابن سينا، القانون في الطب، ٧٧/١؛ ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري،
١٥١/١٠.

(٢) يُنظر: معجم المصطلحات العلمية والفنية، ٣٢٤.

العدوى الناقلة للمرض:

ذكر أحد المؤرخين في سنة (٥٦٩هـ/١١٧٣م) شهد العراق ارتفاع درجات الحرارة عالياً، وهذه ما لم يتعود الناس مثلها، إذ قال بما نصه: "ورأينا في هذه السنة الحر في [شهري] تموز وآب ما لم نره في أعمارنا، وكان الحاج حينئذ في سفر الحجاز فأخبروا حين قدموا أنهم كانوا يتأذون بالبرد، وتغير الهواء ببغداد بدخول أيلول فأصاب الناس نزلات وسعال، فقل أن ترى أحداً إلا وبه ذلك وإنما كان العادة أن يصيب بعض الناس وهذا كان عاماً" (١). ويبدو أن هذا التغيير قد يسبب الأمراض التي تنتقل إلى عامة الناس بسبب تقبيل الحجيج عند عودتهم من مناسك الحج.

نرى أن العدوى قد تكون من أمر الله تبارك وتعالى يصيب بها من يشاء من عباده، ودليل العلماء قول الرسول (ﷺ): "من أعدى الأول" (٢)، ويرى قسم من العلم أن هذه الأمراض لا تُعدي بطبعها لقول رسول الله (ﷺ): "لا يورد ممرض على مصح" (٣).

يتضح مما ورد فإن انتقال العدوى قد يكون فيها تناقض مع الحديث الشريف: "لا عدوى ولا طيرة" (٤)، ولذلك يرى النووي أن: "وجه الجمع أن الأمراض لا تُعدي بطبعها، ولكن جعل الله سبحانه وتعالى مخالطتها سبباً

(١) ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ٢٠٢/١٨.

(٢) ابن حنبل، مسند الإمام أحمد، ٤١٥/٢؛ الضحاك، أبو بكر أحمد بن عمرو بن أبي عاصم الشيباني (ت: ٢٨٧هـ/٩٠٠م)، السنة لابن أبي عاصم، تحقيق: ناصر الدين الألباني، (المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٠هـ/١٩٧٩م)، ١١٧.

(٣) مسلم، أبو الحسن بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت: ٢٧١هـ/٨٧٤م)، صحيح مسلم، المسمى: المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله (ﷺ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ت.))، ٣١/٧.

(٤) أبو داود، سنن أبي داود، ٢٣١/٢.

للأعداء، فنفى في الحديث الأول ما يعتقدُه الناس قبل الإسلام من العدوى بطبعها، وأرشد في الثاني إلى مجانية ما يحصل عنده الضرر عادة بقضاء الله وقدره" (١).

وعن ابن الحافظ حجر العسقلاني عن النبي (ﷺ) عن الصحابة (رضي الله عنهم) أنه قال: "وجاءه جبريل عليه السلام، فقال: إن فناء أمتك يكون بالطعن أو الطاعون فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم فناء الطاعون (٢). لأنهم سيكونون شهداء، وهذه المنزلة الرفيعة لا ينالها من أمة محمد (ﷺ) رجالاً أو نساءً إلا من كان ذو حظٍ عظيم.

وقال الشوكاني بما نصه: "وأما الأمر بالفرار من المجذوم فمن باب سد الذرائع لئلا يتفق للشخص الذي يخالفه شيء من ذلك بتقدير الله تعالى ابتداءً لا بالعدوى المنفية، فيظن أن ذلك بسبب مخالطته فيعتقد صحة العدوى، فيقع في الحرج فأمر بتجنبه حسماً للمادة" (٣)، وقال ابن حجر العسقلاني: "مخطئ لوجود المناعة" (٤).

كما ذكر ابن أبي أصيبعة أن معاوية بن أبي سفيان (ت: ٦٠هـ/٦٧٩م) سأل الطبيب الحارث بن كلدة الثقفي (ت: ١٣هـ/٦٤٣م)، ما الطب يا حارث. فقال الأزم، ويعني الجوع، وقال الطبيب أيضاً: من سره البقاء ولا بقاء فليباكر الغداء، وليعجل العشاء وليخفف الرداء، وليقل الجماع، وقال

(١) المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ٣٥/١.

(٢) أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد (ت: ٨٥٢هـ/١٤٤٨م)، بذل الماعون في فضل الطاعون، تحقيق: أحمد عصام عبد القادر الكاتب، (دار العاصمة، الرياض، د. ت)، ٢٦٢.

(٣) نيل الأوطار شرح منتهى الأخبار من أحاديث سيد الأخيار، ٣٧٧/٧.

(٤) بذل الماعون في فضل الطاعون، ٢٥.

ناصحاً: دافع بالدواء ولا تشربه إلا من ضرورة، فإنه لا يصلح شيئاً إلا أفسد مثله (١).

من خلال استعراض هذه الحوارات العلمية والفقهية يمكننا القول أن الإنسان قادر على حماية نفسه من الأمراض قدر الإمكان باتباعه منهج صحي وقائي كما أشار إليه ابن كلداء وغيره.

أما الآفات فهي كثيراً ما تكون سبباً في انتشار الأوبئة التي تصيب الإنسان وهي متنوعة، بسبب حركتها وتقلها، ومنها على سبيل المثال: الفئران والخفاش والجراد هذا من جهة، وفضلاتها المؤذية والأمراض التي تنقلها من جهة أخرى.

خلاصة ما تقدم يمكننا القول إن الأوبئة قد تركت أثرها في قسم من المصنفات العربية القديمة، وأصبحت جزءاً من تراجم المؤلفين والشعراء والأدباء، بسبب انتشارها الواسع سابقاً في الدولة العربية الإسلامية، فلا يكاد كتاب في التراجم أو التاريخ أو الأدب العربي يخلو من إشارة إلى ذلك الوباء، كـ: سبب في موت هذا الأديب أو المصنف أو ذلك الشاعر في العصور المختلفة من دون إطناب.

إذ حظي موضوع الأوبئة أو الكوارث باهتمام قسم من المؤرخين، ولكن تفاوت ذلك الاهتمام بالموضوع وكيفية كتابة الحوادث والكوارث التاريخية له من عصر إلى آخر، أو من مؤرخ إلى مؤرخ على وفق ما يراه ضرورياً لتدوينه آنذاك - كما أسلفنا.

وكثيراً ما يشكك قسم من الأطباء أو المفكرين المعاصرين، لاسيما الباحثين عندما يطلعون على بطون المصادر التاريخية من التراث العربي والإسلامي قائلين ضرورة تجاوزها وننظر إلى التطور المعاصر ونسير عليه،

(١) عيون الأنبياء في طبقات الأطباء، ١٦١-١٦٥.

وهذا على ما يبدو من التتكر للأصالة أولاً، والمجافات للتراث العلمي العربي والإسلامي ثانياً، إذ إن استقراء الماضي يشكل ركيزة أساسية للانطلاق إلى المعاصرة، وهذا هو ديدن الحضارات السالفة، فلماذا ننظر لحضارة العرب والمسلمين بهذه الصورة في بخص حق العلماء والمفكرين من الرعيل الأول من جهة، والمثبطة للأجيال اللاحقة من جهة أخرى.

من الأهمية بمكان فإن الحضارة نشأت في منطقتين هما وادي الرافدين من العراق، و وادي النيل من مصر، فضلاً عن بحر ايجة والصين قبل آلاف السنين أي قبل الميلاد علماً أن حضارة بحر ايجة قد اشتقت من حضارتي بلاد العراق وبلاد مصر، أما حضارة الصين فلم تبدأ إلا في منتصف الألف الثاني قبل الميلاد، وتأثرت بهجرة الأقاليم والثقافات من خلال الهضبة الفارسية أو ما تسمى (الإيرانية) عن حضارة وادي الرافدين من العراق^(١). وفي هذا وصف الحموي العرب، ومنهم العراقيين قائلاً: "كان أهل العراق هم أهل العقول الصحيحة والآراء الراجحة والشهوات المحمودة والشمائل الظريفة والبراعة في كل صناعة"^(٢).

(١) عرب، مرسى محمد، دراسات في الشؤون الطبية من التراث الطبي العربي إلى المشاكل

الطبية الحاضرة، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، ١٩٦٦م، ٢٣-٢٤.

(٢) الحموي، معجم البلدان، ٩٥/٤.

المبحث الثاني انتشار الأوبئة والأمراض

كثيراً ما شهدت المجتمعات تطوراً بوجه عام لمواجهة الأوبئة والأمراض بخلاف قسم من دول العالم العربي والإسلامي، لاسيما التي وقعت تحت وطأة الاحتلال بغض النظر عن أشكاله والوانه كلها وإلى يومنا هذا. ويمكننا القول إن هذه المجتمعات أصبحت على ما يبدو ضعيفة مقارنة بالهيمنة العالمية عليها، بسبب ما تفتقر إليه من تطور في علوم التكنولوجيا والثقافة، فضلاً عن البيئة الصالحة التي تسهم في مواجهة الأوبئة بأشكالها وقدراتها المتغيرة بين الحين والآخر.

ويرى البعض أن صندوق النقد الدولي سيكشف قيمة مصاريف كورونا، ويطلب بـ: المزيد من الدول العربية وغيرها بسحب الأموال لتأمين مستلزمات العلاج، وعلى هذا الأساس، فإن صندوق النقد الدولي يتوقع تعافياً اقتصادياً غير متكافئ في المنطقة العربية والإسلامية أفضل من غيرها. من خلال شروطه المجحفة التي قد تُلحق الضرر بالشعوب الفقيرة اقتصادياً لما تفرضه من شروط تستنفد منها بغية شراء العلاج وتأمين نفقات المواجهة لهذا الوباء اللعين^(١).

(١) استضافة الاعلامية لين الرفاعي في حلقة تلفازية من برنامج "ضيف الاقتصاد" السيد جهاد أزغور/ مدير إدارة الشرق الأوسط وآسيا الوسطى في صندوق النقد الدولي، للحديث عن تداعيات جائحة كورونا على اقتصادات الدول العربية وأفق الخروج من الأزمة، وحديث حول توزيع اللقاحات في المنطقة العربية، وحول احتمال إقراض صندوق النقد الدولي تونس. للمزيد يُنظر:

<https://www.france24.com/ar/%D8%A8%D8%B1%D8%A7%D9%>

قال ابن الخطيب عن الوباء وطبيعته بما نصه: " هو مرض حاد، حار السبب، سمّي المادة، يتصل بالروح بدءاً بوساطة الهواء، ويسري في العروق، فيفسد الدم، ويحيل رطوبات إلى السمية فتتبعه الحمى ونفث الدم... له سبب أقصى: وهو الأمور الفلكية من القرانات التي تؤثر في العالم، حسبما يزعمه أرباب صناعة النجوم ويأخذها الطبيب مسلماً عنهم. وسبب أدنى: وهو فساد الهواء الخاص بمحل ظهوره ابتداءً أو انتقالاً " (١).

أما من قالوا إن الطاعون من أسبابه فساد الهواء، فهم أذكى علماء أهل الطب، لأن الناس يشتركون في تنفسه واستنشاقه، وفساده يعني هلاكهم على الأعم الأغلب، ويتفق معهم الطبيب المسلم الأندلسي ابن زهر (٢) في هذا الرأي (٣).

لقد أسهم العلماء العرب قديماً وحديثاً في مكافحة الأوبئة والأمراض، ولم يبخلوا بجهودهم لهذا العمل الإنساني الذي أمرهم به الله تبارك وتعالى، وعلى ما نرى فإن هناك من المستشرقين اعترف بفضل العرب، ومنهم على سبيل المثال لا الحصر المستشرقة الألمانية (سيغريد هونكه) في كتابها: شمس العرب تسطع على الغرب، بما قدمه العلماء العرب المسلمين آنذاك من

تاريخ الدخول في الموقع: ٢٠٢٠/٦/١٥ م.

(١) مقتعة السائل عن المرض الهائل، ٦٧.

(٢) هو: عبد الملك بن زهر بن عبد الملك بن الفقيه محمد بن مروان، يكنى أبو مروان،

ويعرف بـ: ابن زهر الإشبيلي الآيادي، طبيب مسلم معروف في الأندلس (ت:

٥٥٧هـ/١١٦٢م). يُنظر: ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ٥١٧.

(٣) يُنظر: ابن زهر، عبد الملك بن زهر بن عبد الملك بن الفقيه محمد بن مروان (ت:

٥٥٧هـ/١١٦٢م)، النشاط والقوة والشفاء في الأغذية وهو كتاب الأغذية، وضع حواشيه:

محمد أمين الضناوي، (دار الكتب العلمية، بيروت، (د. ت.))، ١٤٣.

علوم، لاسيما في مجالي الطب والصيدنة، والمستشرق البريطاني ويليام مونتجمري وات وغيرهما التي وردت في مصادر ومراجع التاريخ سواء أكانوا في التاريخ القديم أم الوسيط أم الحديث أم المعاصر أم الفقه وغيرها من العلوم النافعة التي كان للعرب شأنًا كبيراً وفضلاً على تطور العلوم في أوروبا حينذاك.

ولا يخفى على القارئ الكريم مدى رغبة الدول العظمى بالسيطرة على الدول الضعيفة من خلال نشر الأوبئة بطرق عدة، ويبدو بسبب تحكم هؤلاء في قسم من القيادات الرئيسية لتلك الدول العربية أو الإسلامية، أو بسبب الظروف الاقتصادية التي تمرّ بها، الأمر الذي يتطلب أن تقوم هذه الدول بطلب القروض المالية الكبيرة، إذ تصبح خاضعة لهيمنة الدول الكبرى قانوناً.

انتشار الأوبئة المعدية والحد منها:

سنحاول بيان طرق انتقال العدوى بشكل عام من دون الخوض بالتفاصيل، إذ أن هناك طرق لانتقالها سابقاً ولاحقاً ومنها:

١. هضمية.
 ٢. تنفسية.
 ٣. بولية (تناسلي).
 ٤. جلدية (تماس مباشر وحشرات).
- تنقل الحشرات الوباء إلى البراغيث وهي المسبب المرضي، لذلك يتطلب الأمر مكافحة هذه الحشرات الضارة للإنسان منزلياً.

فضلاً عن البعوض الذي ينقل الوباء، وتسبب الحمى الصفراء والملاريا، مما تدعو الحاجة إلى مواجهتها بوسائل تقضي عليها للحفاظ على البشر من نقل الأوبئة إليه.

وهناك عدوى مباشرة من خلال التماس المباشر، ومن المحتمل أنها قد تسبب أمراض عدة ك: الجدري والجذام وغيرها من الأمراض التي قد تسهم في نقلها حشرات موجودة سابقاً، وستكون سبباً لأمراض شتى مستقبلاً. ومن طرق انتقال العدوى المباشرة كثيراً ما تكون عن طريق الجهاز الهضمي من خلال الطعام والشراب الملوث، وبالتالي انتشار الأوبئة، ومنه وباء الكوليرا أو من خلال الاتصالات الجنسية المحرمة في كثير من الأحيان كما في الزهري والإيدز^(١).

ولغرض علاج هذه الظاهرة الشاذة فمن: "الواجب على الأسر المسلمة التعاون لإقامة سُنّة الزواج صوناً لها من الفساد وانتشار الأوبئة والأمراض، ومن الواجب عليها التآزر لتحطيم قيود الزواج التي فرضتها العادات الظالمة فيها ولن يكون ذلك إلا بالوعي الإسلامي واقتناء أثر السلف الصالح، وكما ذكرت آنفاً ليكن المهر وسطاً بين الإفراط والتفريط"^(٢).

وقيل: أن فيروسات الإيدز دخلت في الطور الثالث، ولم يكتشف بعد علاجاً للطور الأول، والمرض يزداد تعقيداً ويكتشفون أن بعض الأدوية التي كانت تعطى للكثير من المرضى لا تنفعهم وتودي بهم إلى الهزل

(١) للمزيد يُنظر: المحسني، محمد آصف، الفقه والمسائل الطبية، (د. ط)، قم/إيران، (د. ت)، ٣٠١.

(٢) الصاغري، الشيخ أسعد محمد سعيد، النكاح، (د. ط)، (د. م)، (د. ت)، ٦.

البدني والوفاة " وهكذا عقاب الله لهذه البشرية الضالة التي تاهت عن أمر الله ورسوله [ﷺ]" (١).

وكثيراً ما تحصل وتقع أمراض عدة تنتشر بشكل واسع في مناطق أو بلدان متنوعة، وسبب الانتشار قد يكون من عوامل عدة أهمها:

١. الإنسان السبب الأول في انتشار ونقل الأمراض الذي كثيراً ما يهمل النظافة في مواطن عدة، ويتبع اساليب لا تمت بصلة بطبيعة الحياة، وابتعاده عما يصيبه من أمراض، ومنها أيضاً عدم اهتمامه في بدنه وملبسه وتلوث طعامه وشرابه، وعدم حفظه بوسائل تضمن عدم تعرضها للأمراض المحيطة به.

٢. يقع انتشار الأمراض عندما تتعرض البلاد والعباد إلى حروب داخلية وخارجية، إذ أنها تهلك الحرث والنسل، فضلاً عن حصول مجاعات تقتل الكثير من المرضى والأصحاء مما يسبب تعفن الجثث، وصعوبة التقرب منها أو دفنها، فتكون عاملاً مساعداً في انتشار الأوبئة والأمراض وانتقالها بطرق عدة.

وبغية الحد من انتشار العدوى يجب مراعاة ما يلي:

١. تحديد انتقال الناس من خلال استخدام الحجر الصحي، والإشراف بشكل دوري على ذلك من جهة سلطة اتخاذ القرار.

٢. ضرورة الدفن الإجباري للمتوفى المصاب في حفر خاصة، لاسيما إذا كان من الأمراض المعدية القاتلة مستقبلاً، ويمكن تغطيتها بالجير الاسود.

(١) المنجد، محمد بن صالح، ٣٣ سبباً للخشوع في الصلاة، ((د. ط)، (د. م)، (د. ت))،

٣. عزل المرضى من ذوي الأمراض المعدية في مستشفيات خاصة بعيدة عن المرضى المصابين بأمراض غير معدية لضمان عدم انتشار الوباء.

٤. فرض الرسوم والضرائب عند وقوع الوباء وتفعيل مبدأ التكافل الاجتماعي، وهو مبدأ إنساني إسلامي^(١) للإسهام بتقديم أفضل الخدمات، لاسيما عالية الجودة للحد من انتشار الوباء؛ بغية الحد من وقف الموت السريع.

وأخيراً تقديم كل أنواع المساعدة لمن تعرّض لهذه الأوبئة، وإعادتهم للحياة بعد الشفاء لممارسة نشاطهم العملي بصورة جيدة، كي لا يتعرضوا إلى أمراض نفسية قد تلحق بهم الأذى لاحقاً.

وعلى سبيل المثال فقد أمر الخليفة يعقوب المنصور الموحّدي (ت: ٥٩٥هـ/١١٩٩م) عندما أصاب وباء الجذام مناطق عدة من بلاده، فأقام ممرات خارج المدن جمع فيها المصابون، إذ عرفت فيما بعد بـ: ممرات الجذام بغية الحد من انتشاره^(٢).

وبناء على ما تقدم فقد أكد الإسلام على الاهتمام بـ: البدن لقول رسول الله محمد (ﷺ): "الفطرة خمس الختان، والاستحداد وقص الشارب، وتقليم الأظافر، ونتف الآباط"^(٣)، فضلاً عن ذلك يتطلب على الإنسان، لاسيما المسلم الاهتمام بأسنانه وتنظيفها قبل وبعد الطعام أو في أيام المناسبات

(١) ينظر: مشالي، علي عبد، التكافل الاجتماعي في الدولة العربية الإسلامية حتى نهاية العهد الأموي، (مطبعة تموز، دمشق، ٢٠١٧م)، ١٢.

(٢) بو لقطيب، الحسين، جوائح وأوبئة مغرب عهد الموحدين، (منشورات دار الزمن، المغرب، (د. ت.))، ٥٦.

(٣) ابن حجر، فتح الباري في صحيح البخاري، ١١/٥٤٠.

والأعياد وغيرها، لقول رسول الله (ﷺ): "معاشر المسلمين إن هذا يوم جعله الله لكم عيداً فاغتسلوا وعليكم بالسواك" (١).

كما أوصى رسول الله المسلمين ضرورة الحفاظ على إخوانهم بقوله: "إنكم قادمون على إخوانكم فأصلحوا رجالكم وأصلحوا لباسكم حتى تكونوا كأنكم شامة في الناس، فإن الله لا يحب الفحش ولا التفحش" (٢).

لقد اسهمت الأمراض بوجه عام والأوبئة بشكل خاص إمكانية الانتشار بين الناس عندما تجد خلل واضح في طبيعة الحياة اليومية، فضلاً عن استهلاك الطعام الجيد والصالح الذي يمثل استمرار حياة الفرد وبقائه في الطبيعة، إذ أن هناك من لم يهتم بهذا الأمر، ويتناول الطعام الرديء أو الذي أصابه العفن جزءاً أو كلاً لضرورة البقاء، ونرى أن هذا قد يتحملة ولاية الأمر أولاً بسبب الفقر المدقع الذي قد يعانيه الفقراء لسوء استخدام السلطة والإنسان ثانياً الذي لا يبالي بحياته ويؤيد ذلك الطرح ما ذكره المقرئ في مصر بقوله: "إن الغالب على أهل مصر الأغذية الرديئة، وليس تغير مزاجهم ما دامت جارية على العادة، وهذا أيضاً من ما يؤكد أمرهم في السخافة وسرعة الوقوع في الأمراض" (٣).

(١) الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي (ت:

٣٦٠هـ/٩٧٠م)، المعجم الأوسط، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، وعبد المحسن

بن إبراهيم، (دار الحرمين، القاهرة، (د. ت.))، ٣/٣٧٢.

(٢) أبو داود، سنن أبي داود، ٢/٢٦٧.

(٣) المقرئ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقرئية، ١/٨٤.

ومن الجدير بالذكر فإن نقص الوعي صحياً يمثل عقبة كبيرة في إصابة الناس بالكثير من الأمراض، وهذا قد يكون نتيجة الجهل المركب من جهة، وعدم وجود اهتمام بنشر الوعي الصحي من جهة أخرى^(١).

فضلاً عما تقدم فهناك أمراض وأوبئة تنتشر من خلال تعاطي المخدرات مثل: الحشيشة التي من نتائجها ولوج الناس في فساد أخلاقي، وهذا ما يسهم في سهولة انتشار الأمراض لاحقاً من التي لا تحمد عقباها على الأجيال الناشئة بعد أن تعددت مصادرها وأنواعها لسهولة النقل والعمل البعيد عن روح الإنسانية والمحبة للعيش الرغيد.

قال المقريزي عن هذه النبتة المؤذية بما نصه: "ومن القنب نوع ثالث يقال له القنب الهندي، ولم أره بغير مصر، ويزرع في البساتين، ويقال له الحشيشة عندهم أيضاً، وهوي سكر جداً إذا تناول منه الإنسان قدر درهم أو درهمين، حتى أن من أكثر منه يخرج إلى حدّ الرعونة، وقد استعمله قوم فاختلت عقولهم، وأدى بهم الحال إلى الجنون، وربما قتلت. ورأيت الفقراء يستعملونها على أنحاء شتى، فمنهم من يطبخ الورق طبخاً بليغاً ويدعكه باليد دعكاً جيداً، حتى يتعجن، ويعمل منه أقراصاً، ومنهم من يجفّفه قليلاً ثم يحمصه ويفرّكه باليد، ويخلط به قليل سمس مقشور وسكر ويستفه ويطيل مضغه، فإنهم يطربون عليه ويفرحون كثيراً، وربما أسكرهم فيخرجون به إلى الجنون أو قريب منه، وهذا ما شاهدته من فعلها، وإذا خيف من الإكثار منه فليبادر إلى القيء بسمن وماء سخن، حتى تبقى منه المعدة، وشراب الحامض لهم في غاية النفع"^(٢).

(١) يُنظر: موافي، أحمد ثابت، صحة الفلاح، بحث في الطب الوقائي والصحة الاجتماعية،

(د. ط)، القاهرة، ١٩٤٠م)، ٥١.

(٢) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، ٢/٢٩٣.

إن المعاصي تسبب الوقوع في الابتلاء، وهذه تغضب الله تبارك وتعالى، فينزل البلاء والوباء بين المجتمع عموماً، إذ يصيب برحمته من يشاء، ولم يكن هذا فقط، بل هناك ممن وقع في الحرام أي يمارسون الزنا، وهو علاقات محرمة على النساء والرجال، ومن خلالها تنتشر أمراض خبيثة عدة، وفي مقدمتها كما يعيش العالم اليوم مرض الإيدز -كما أسلفنا- أي (نقص المناعة المكتسبة) الذي قد ينشأ نتيجة الشذوذ الجنسي.

قال أحد الباحثين: " وهذا دليل على إسرافهم في اللذات، وتجاوزهم حدود الفطرة والعقل، وجهالتهم عواقب الأمور، فهم لا يقدرّون ضرر ذلك على الصحة والحياة، فهو مرض مميت، كما دلّت إحصاءات موتى الإيدز (فقد المناعة) في الحاضر أكثر من مائة ألف، وفي نهاية القرن العشرين أربعة ملايين، دون اكتشاف علاج له" (١).

وكانت هذه الأمراض آنفة الذكر منتشرة في بعض الدول الإسلامية للأسف، وإلى اليوم، والشاهد على ذلك، قال المقرئزي بما نصه: " وكان يجلس به في الليل بغايا يقال لهنّ زعيرات الشماعين، لهنّ سيماً يُعرفن بها، وزيّ يتميزن به، وهو لبس الملاءات الطرح وفي أرجلهنّ سراويل من أديم أحمر، وكنّ يعانين الزعارة ويقفن مع الرجال المشالقين في وقت لعبهم، وفيهنّ من تحمل الحديد معها" (٢).

ومن الإشارات الواردة في المصادر ما كان في جزيرة بولاق والجزيرة الوسطانية وهي من أحياء القاهرة، في سنة (٧٤٧هـ/ ١٣٤٦م) اجريت عليها بناء كان الهدف منه تجميع البغايا وتناول الخمر، قال المقرئزي بما

(١) الزحيلي، وهبة بن مصطفى، التفسير الوسيط، (دار الفكر، دمشق، ١٤٢٢هـ)، ٦٨٩/١.

(٢) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقرئزية، ٢٥٣/٢.

نصه : " فاجتمع فيها من البغايا والأحدا [الأحداث] وأنواع المسكرات ما لا يمكن حكايته "(١).

وهناك ممارسات شاذة مع الغلمان، وقسم من الرجال الفاسدين أي ممارسة (الواط) الذي حرّمه الله تبارك وتعالى في محكم كتابه الكريم في قوله تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالَّذِينَ * إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ ﴾ (٢)، وهذه الظواهر السلبية موجودة وإن كانت مقننة في المجتمع العربي الإسلامي، ولكن بسبب كثرة الغلمان وضعف المحتسب، والسلطات الشرعية المؤيدة في الباطن لأسباب عدة، وفي مقدمتها ضعف الإيمان ب: الله تبارك وتعالى من هؤلاء الشواذ، أو من سبباي الحروب، فضلاً عن تجارة الرقيق هذا من جهة (٣).

ومن جهة أخرى هناك مشاكل اجتماعية وهي من الابتلاء، ويعاقب الله عباده الفاسدين على ذلك، فضلاً عن انتشار الأمراض ألا وهو ظاهرة السحاق التي تنتشر بين النساء حصراً، وهذه موجودة وأسبابها عدة في مقدمتها ضعف الوازع الديني، ورغبة قسم من الأزواج ب: الغلمان المردان من دون النساء، الأمر الذي يؤدي إلى ابتعادهم عن زوجاتهم، أو قد تكون لأسباب منها حالات مرضية ونفسية لدى قسم من الرجال والنساء بممارسة الحرام، والابتعاد عما أحلّه الله تعالى لهم.

ذكر الصفدي أن هناك رجال يشهرون علاقتهم بالغلمان، إذ يصف أحدهم في قوله : " وكان أبو بكر القهستاني لهجا بالغلمان شديد الميل إليهم، وكان لمحمد بن محمود بن سبكتيكن [ت: ٣٨٧/٩٩٧م] سبعمائة

(١) المقرئزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ١٢٤/٢.

(٢) سورة القمر، الآية: ٣٣-٣٤.

(٣) يُنظر: الصفدي، الوافي بالوفيات، ١٩٩/١٢.

غلام في خيله، فعلق العميد أحدهم وأحبه حبا مفرطاً، سبعمائة غلام في خيله، فعلق العميد أحدهم وأفرط في حبه ^(١)، وقال واصفاً آخر أنه: "مفرطاً في حب الغلمان مجاهراً بذلك" ^(٢)، ونرى أن هذا البلاء شائع قديماً وحديثاً لأسباب لا مجال الخوض فيها.

خلاصة ما تقدم فإن أغلب الأمراض قد تأتي بسبب المجاعات وهذه قد لا تتحصر بزمن محدد أو مكان معين، فـ: كل الأزمنة، والأماكن تكون قابلة لحدوث هذه الكوارث الإنسانية، وقد تصبح الأسباب الكامنة وراء حدوثها متعددة، ولعل أبرز هذه الأسباب فساد قسم من الحكام وولاية الأمور، أو الصراعات السياسية التي بسببها قد تندلع الحروب والقتال، أو الكوارث الطبيعية غير المتوقعة، وزيادة أعداد السكان التي قد تسبب الفقر الشديد فيواجه المجتمع برمته فترة قاسية من الجوع والمرض الشديدين، ومن ثم يفقدون حياتهم وعوائلهم، بسبب ما يعانونه من ذلك في كثير من الأحيان، لاسيما في بعض بلدان ومدن العالم لقلة الموارد الاقتصادية أو الجفاف، الأمر الذي يؤدي إلى انحراف قسم من الناس فيمارسون الزنا واللواط والسحاق والعياذ بـ: الله، وكلها قد تكون سبب في انتشار الأمراض، كالطاعون والإيدز وكورونا وغيرها سواء أكانت قديماً أم حديثاً، لقلة العلاجات أولاً، ونفور المجتمع منهم على حدٍ سواء ثانياً.

(١) الحموي، معجم الأدباء، ٤/١٦٧٩؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ٢٠/٢١٠.

(٢) الصفدي، نفس المصدر، ٧/١٧.

المبحث الثالث الوقاية من الأوبئة

كانت وما تزال مؤلفات العرب المسلمين في علوم الحياة " لها حظ كبير في نشر الطب العربي الذي كان راقياً في ذلك العهد، ويثبت التاريخ أن الكتب تُدرس من القرن الحادي عشر [الهجري] إلى القرن السابع عشر [الميلادي]، أي طيلة سبعة قرون" (١).

ويرى أحد الباحثين أن الأطباء العرب هم من عرّفوا أسس علم الحصانة من الأوبئة والأمراض من خلال طرق عدة استفادوا منها في الوقاية والعلاج على حدٍ سواء (٢).

إذ كانت قسم من الأعراض تظهر على الناس بصورة مفاجئة، ومنها ارتفاع درجات الحرارة والغثيان المستمر، فضلاً عن قيام المريض مضطراً بالبصق دماً ثم يموت من حاله، ولم يتوقف الحال على هذا الفرد الميت؛ بل يتبعه من كان معه من أهله في الدار أو عائلته الذي يفشي المرض بينهم ولا يشعرون، ويموتون واحداً تلو الآخر خلال ليلة أو ليلتين على الرغم من جهود الأطباء في معالجة حدة الوباء، إذ لم يتقبل الجسم أي علاج بسبب عدم تشخيص الوباء أو المرض.

(١) الجابري، رياض، السيرة الذاتية والتراث، (دار المعارف، حمص ١٩٩٥م)، ١٥٨؛ وذكر خمسة قرون، يُنظر: الماحي، التجاني، مقدمة في تاريخ الطب العربي، (مطبعة مصر (سودان) ليمتد، القاهرة، ١٩٥٩م)، ١١٧-١١٨.

(٢) محمد، محمود الحاج قاسم، البيئة والأوبئة في التراث الطبي العربي الإسلامي، ٤٩.

ومن تلك الأعراض الظاهرة على المريض ظهور بثور خلف الأذن وأورام تحت الابط، وقد أشار أحد المؤرخين لمثل هذه الحالات، ومنها أن الكثير من المرضى في بغداد تظهر عليهم طلوع في وجوههم وهذه الطلوع مجرد أن يلمسها المريض يتوفى في الحال^(١) ولم يحدد نوع هذا المرض القاتل فجأةً والله أعلم.

وإذا استمرت معه الحياة يبصق دماءً لونها مائلاً للاصفرار، فضلاً عن صعوبة التنفس، لاسيما إذا كان يصيح من الألم، ويبدو أن الأمر أصبح في الرئتين ووجهه أي المريض مصفراً وتبقى الحرارة مرتفعة، والغثيان مصاحب له، وإذا أطال فلا يزيد على يومين لا أكثر حتى يتوفاه الله تعالى.^(٢)

أما من وقع له استفراغ دموي أو شرياني فأفرط وحدث به تشنج رديء وكذلك إن حدث به فواق فهو قاتل، وعلى الطبيب المعاينة إن كان مغشياً مع فواق، لأن هذه العوارض قد تسبب الموت العاجل أو الهذيان، واختلاط العقل رديء، فإن قارن التشنج فهو قاتل في الأكثر^(٣).

ومن هنا قد نستفد في طرق الوقاية والعلاجات الناجعة التي ذكرها العلماء العرب والمسلمون في مؤلفاتهم سابقاً من التي اطلعنا عليها في كتب التراث، وفي أغلبها علاجات تسهم في الوقاية من الأوبئة ومنها الشبيه بوباء كورونا (كوفيد-١٩) الذي يعاني من مخاطره الناس في أغلب دول

(١) يُنظر: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ١٩٥/١٩ - ٢٢٣.

(٢) للمزيد يُنظر: ابن حبيب، حسن بن عمر بن الحسن (ت: ٧٧٩هـ/١٣٧٧م)، تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه، تحقيق: محمد محمد أمين، مراجعة: سعيد عبد الفتاح عاشور، (مطبعة دار الكتب، القاهرة، ١٣٩٦هـ/١٩٩٦م)، ٣/١١٠-١١١؛ المقرئ السلك لمعرفة دول الملوك، ٨١/٤ - ٨٥.

(٣) العمري، عبد الله، تاريخ العلم عند العرب، (دار مجدلاوي، عمان، ١٩٩٠م)، ١٠٢.

العالم، لاسيما الدول الفقيرة منها، بسبب افتقارها إلى القواعد الصحية السليمة في كثير من الأحيان بسبب ضعف القدرات المالية لتأمين الأجهزة والمعدات باهظة الثمن، الأمر الذي يعني فقدان حياة الكثير من الناس بسبب هذا الوباء الخطير وغيره من الأمراض الفتاكة.

ومن خلال المتابعة لهذه الدراسة أطلعنا على معلومة تشير إلى نقاش لباحثين ونشطاء عرب مؤخرًا، بعد إن ظهر مقطع فيديو من (فيلم روسي قديم) أنتج عام (١٣٧٦هـ/١٩٥٦م) يسلط الضوء على تنبؤات الطبيب المسلم ابن سينا عن أعراض وعلامات وباء شبيه فيروس كورونا قبل (١٠) قرون، الأمر الذي دفع البعض للحديث عن ذلك التنبؤ، قائلاً: توصلت أن الأمراض المعدية تنتقل بمواد صغيرة جدا غير مرئية، أعدادها هائلة وتسبب الحمى وغيرها تلتصق باليد والوجه والشعر والملابس، والمرض يبحث عن الجبناء، ومن لا يخاف المرض فالمرض يخافه، فالرعب يجعل الناس يموتون، عقموا بالخل، ويمضغ الشيخ، واجلسوا في بيوتكم وامرحوا واسمعوا الموسيقى والمرح فالموت يهرب منها، والمريض الواحد يقضي على مئة من الأصحاء، ومن أراد أن لا يمرض عليه التفرق عن المساجد والجلوس في البيوت لحين القضاء على الوباء (١).

ومن ذلك قال ابن سينا: توصلت إلى استنتاج مفاده أن جميع الأمراض المعدية تنشأ وتنتشر من خلال مواد صغيرة جداً [ويقصد الفيروسات]، وهي غير مرئية للعين المجردة، أعدادها هائلة وتسبب الحمى والموت الأسود، إذ

(١) فيلم: ابن سينا "تنبأ" بوباء "كورونا" قبل ١٠ قرون.

الدخول في الموقع: ٢٠٢٠/٧/٣١ م.

تلتصق هذه المواد بكل شيء سواء أكانت في يديك أم وجهك أم شعرك أم ملابسك (١).

ومن خلال هذا العرض يمكن المحافظة على المجتمع والوقاية من الأوبئة باستخدام:

الطب الوقائي: وهو علم الحفاظ على الفرد والمجتمع في أفضل حالاته الصحية، ويمكن بيان ذلك بطريقتين هما:

١. وقاية الفرد والمجتمع من الأمراض قبل حدوثها، ومنع انتشار العدوى في حالة حدوثها.

٢. المحافظة على صحة الفرد بتحسين ظروفه المعيشية والإنسانية، ووقايته من الحوادث وتأمين مستلزمات الحياة، وأسباب التوتر العصبي والنفسي ويتحمل ذلك الدولة والمجتمع.

ولغرض توضيح ذلك يمكننا بيان الطب الوقائي على وفق ما جاء به في الإسلام وبايجاز:

لم يأت الإسلام ليشفي الأمراض الجسدية، والقرآن الكريم ليس كتاباً طبياً أو كتاب صيدنة، لكن الإسلام الذي جاء به محمد (ﷺ) ليبين أنه دين التوحيد للعالم أجمع، لقوله تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (٢)، فضلاً عن بناء مجتمع مثالي على سطح الأرض، يكون فيه المجتمع متكاملًا في جميع النواحي الأخلاقية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية والصحية وغيرها، ولذلك فقد حرص الإسلام على أن يعطينا

(١) <https://www.alquds.co.uk> ؛

يُنظر: <https://es-es.facebook.com/Newslebanonflam>؛

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.

الإرشادات والتعليمات الطبية الوقائية التي تؤدي إلى ما نسميه اليوم بـ: المجتمع السليم من الأمراض بأنواعها.

إن تعاليم الإسلام الصحية تناولت أبواب وفروع الطب الوقائي جميعها ومن أهمها:

أولاً: الاهتمام بالنظافة الشخصية بما في ذلك نظافة الجسم واليدين والأسنان والأظافر والشعر، ونظافة الملابس، ونظافة الطعام والشراب، والصرف الصحي في البيئة التي يعيشها المسلمون وغيرهم، فضلاً عن نظافة الشوارع والمنازل والمدن، ونظافة المياه، مثل الأنهار والآبار وغيرها من الخدمات.

ثانياً: التوصية بتنفيذ أوامر الوقاية من الأمراض المعدية، بعد معرفة علم الأوبئة، وتشمل الحجر الصحي، وعزل المريض، وعدم دخول البواء، وعدم الهروب منه، وتعقيم اليدين قبل الدخول على المريض وبعد خروجه، وطلب الأدوية النافعة، والتطعيم من أجل الوقاية والعلاج.

ثالثاً: الاهتمام بتعليمات التغذية، لاسيما الأطعمة المضرة بالصحة كـ: اللحوم الميتة والدم ولحم الخنزير ونبذ المخدرات التي أشار الله تبارك وتعالى لها في محكم كتابه العزيز، فضلاً عن الابتعاد عن المشروبات الكحولية، والتشجيع على أكل اللحوم سواء أكانت لحوم برية أم بحرية التي أحلها الله وكل المنتجات النافعة الأخرى، وشجع على تناول ما له قيمة غذائية، والاهتمام بجودة ونوعية الطعام، بعد التأكيد على النظام الغذائي، مثل منع الإفراط في الأكل والشرب، أو الأكل من دون جوع، لقوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾^(١).

(١) سورة الأعراف، الآية: ٣١.

خامساً: بث الوعي الإسلامي والإنساني في المجتمع بغية السيطرة من الناحيتين العقلية والنفسية في التعلم والعمل للوقاية من أسباب التوتر العصبي، أو من خلال قناعة الإنسان بالإيمان بـ: الله وما يصيبه في حياته، والصبر على الضيق، أو الشقاء أو التعرض للمرض، وتحريم الانتحار وعدم اليأس في الحياة، والأمر بالمعروف والتعاون مع الناس كلاً بحسب طاقته لتخفيف أعباء الحياة، ومنع كل عوامل التوتر في المجتمع والإسراف المالي غير المشروع، مثل: الملاهي والصالات الخاصة بالقمار، وعدم العمل بالربا، وتأمين وسائل الترفيه البريء والمفيد للكبار والصغار رجالاً ونساءً.

سادساً: تشجيع تطوير اللياقة البدنية، والبناء الجسدي السليم، من خلال العمل والجهد والعمل اليدوي والحركة، وتشجيع الرياضة غير القاسية، وركوب الخيل، وتعلم الرمي والسباحة، والسباقات بأنواعها، وكراهية السمنة، ورفض الخمول. قال (ﷺ): "علموا أولادكم السباحة والرمية"^(١).

سابعاً: استخدام الغرغرة بالماء والملح لما لها من أهمية علمية، لاسيما قبل النوم، فضلاً عن الوضوء بالماء مرات عدة في اليوم الواحد كفيلة بالتخلص والقضاء على التصاق الفيروسات بدنياً، وقراءة القرآن بصوت مسموع للقارئ يعطيه موجات تساعد على قوة المناعة والتغلب على الأمراض جميعها، فالقرآن الكريم قادر على شفاء المرضى ممن يعانون من

(١) ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد (ت: ٨٥٢هـ/١٤٤٨م)، الإصابة في معرفة الصحابة، تحقيق: علي محمد البجاوي، (دار نهضة القاهرة، القاهرة، ١٣٩٩هـ-١٩٨٢م)، ٤٥٤/١. وهناك من يرى ضعف هذا الحديث.

أمراض قد تكون مستعصية والله أعلم، لقوله تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ (١).

خلاصة ما تقدم فإن هذا غيظ من فيض لما حلّ ويحلّ، فلا عجب ولا غرو فيما نعيشه اليوم، وقد يحمل أمران:

أولهما: علاقة قسم من الناس بـ: الله تبارك وتعالى قد تكون شبه منقطعة إلى الحد الذي غضب على عباده لما يقومون به من معاصي ظاهرة يعرفها ويراهها ويسمعها القاصي والداني.

وثانيهما: لما يقوم به قسم من البشر بأفعال منطلقاً من التطور العلمي الهائل في عصرنا الحاضر، لأسباب هدفها التغلب على الشعوب والبلدان؛ بغية فرض السيطرة وتغيير الأنظمة السياسية بالقوة، أو الاستحواذ على الأموال أو احتلال الأرض (٢)، إذ قتلوا الكثير من الأنفس المحترمة رجالاً ونساءً عمداً وخطأً وغير ذلك، وكل هذا وذاك غير مقبول لأن الله عزّ وجلّ خلق الأرض لتكون في خدمة عباده الصالحين، إذ كره الله الظلم للإنسان،

(١) سورة الإسراء، الآية: ٨٢.

(٢) كما حصل في دول منها أفغانستان، فضلاً عن العراق الذي تم غزوه بقرار من الولايات المتحدة الأمريكية ودول مساندة لها سنة (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م) من دون موافقة مجلس الأمن الدولي. فوقعت معارك عدة بين الجيوش استمرت أكثر من (٢٠) يوماً مخلفةً الكثير من القتلى والجرحى والمعاقين رجالاً ونساءً وأطفال ممن لا ذنب لهم في ذلك الأمر، فضلاً عن تدمير البنى التحتية. للمزيد يُنظر: بريمر، بول، عام قضيته في العراق، ترجمة: عمر الأيوبي، (دار الكتاب العربي، لبنان، ٢٠٠٦م)، ٣٥؛ الغامدي، أحمد بن سعد بن غرم، الأمة الإسلامية من جديد وليس الشرق الأوسط الجديد، ((د. ط)، (د. م)، (د. ت))، ١٢/١، ٤٦٨/٧، ١٣٢/١٢.

ويطلب منه أن لا يظلم أخيه الإنسان، قال تعالى: ﴿ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ (١).

ومن الجدير بالذكر أن هناك أمراض تم تشخيصها من العلماء العرب والمسلمين، لاسيما التي أصيب بها الناس صيفاً، وعلى ما يبدو، فإن السبب هو فساد الهواء الذي قد يستنشقه الإنسان السليم فيمرض أو بسبب وجود حرارة شديدة، فضلاً عن ذلك فهناك المعاناة النفسية للمريض وهي مهمة جداً، قال الرازي بما نصه: " أن صاحب المزاج الحار الرطب أسرع براء من الاستسقاء من صاحب المزاج الحار باليابس منه " (٢)، فضلاً عن الانفعالات والقلق المرافق للأصحاء أو المرضى مما قد يتسبب للإنسان قلة النوم ليلاً، وهناك من يصاب بالإلام من دون غيره بسبب كثرة تناول الأطعمة والأشربة بشرهة من دون النظر إلى صحته وعمره الذي يؤدي به فيما بعد إلى التخمة أو الفساد الهضمي الذي ينتج عنه المرض أو قد يسبب له الموت لاحقاً (٣).

كما أن هناك الكثير من العلماء أبدعوا في تشخيص الأوبئة والأمراض، ومنهم على سبيل المثال الرازي (ت: ٣٢٠هـ/٩٣٢م)، الذي دون معلوماته

(١) سورة النحل، الآية: ١١٨.

(٢) الثامري، داود، تأهيل بعض الحقائق العلمية في كتاب القيء أو الاسهال للرازي، بحوث الندوة القطرية الخامسة لتاريخ العلوم عند العرب، (مركز احياء التراث العربي، مطبعة الرشاد، بغداد، ١٩٨٩م)، ٤١٥.

(٣) يُنظر: ابن رين الطبري، أبو الحسن علي بن سهل (ت: ٣هـ/٩ق م)، فردوس الحكمة في الطب، تح: محمد زبير الصديقي، (معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية، جامعة فرانكفورت الألمانية، ١٩٩٦م)، ٢٨٥؛ جالينوس (ت: ٢١٦ ق. م)، كتاب جالينوس في فرق الطب للمتعلمين، ترجمة وتحقيق: محمد سليم سالم، (الهيئة المصرية العامة، القاهرة، ٢٠١٧م)، ٣٩؛ حسين، محمد كامل، الموجز في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب، (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، القاهرة، (د. ت.))، ٤٣.

وتجاربه في كتابه (الحاوي في الطب)، فيصفه أحد الحديثين بأنه: "من روائع الطب الإسلامي"^(١)، فضلاً عن ابن سينا (ت: ٤٢٨هـ/١٠٣٦م)^(٢)، الذي دون علومه الطبية في كتاب (القانون في الطب)، وبرع ابن النفيس (ت: ٦٨٧هـ/١٢٨٨م)^(٣)، والزهرائي (ت: ٤٥٣هـ/١٠٦١م)^(٤) وغيرهم الكثير من الأطباء العرب^(٥).

ولفائدة القارئ الكريم وتبيان الأفكار العلمية التي جاء بها الأطباء العرب والمسلمون رجعنا إلى كتاب (القانون في الطب) للعالم المسلم ابن سينا، بغية الاختصار والرجوع إلى ما يراه في هذه الأوبئة، والوقاية منها من

(١) طوقان، قدري حافظ، تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك، (دار الشروق، بيروت، ١٩٦٣م)، ٢٢٠.

(٢) أبو علي الحسين بن عبد الله بن علي، المعروف بالشيخ والرئيس، ولد في بخارى عام (٣٧١هـ/٩٨١م)، وعني بالدراسة ورغب تعلم الطب فبرع فيه. ثم انتقل إلى الري من إيران، إذ كتب الكثير من المؤلفات الطبية، فضلاً عن المؤلفات الفلسفية الأخرى، للمزيد يُنظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١١٨/١١.

(٣) علاء الدين علي بن أبي الحزم القرشي المصري، ولد في قرش، بلدة فيما وراء النهر، قرأ الطب في دمشق، طبيب مشارك، فضلاً عن علمه بالفقه والأصول. يُنظر: كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين، تراجم مُصنّفي الكتب العربية، وهي الطبعة المصورة على الطبعة الثانية التي طبعت في مطابع الترقى بدمشق، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت)، ٥٨/٧.

(٤) أبو القاسم خلف بن العباس الأندلسي، ولد بالزهراء، قرب قرطبة بالأندلس، من أشهر جراحي العرب، نال شهرة واسعة، لاسيما بين النصارى، فضلاً عن رسمه للكثير من الآلات الجراحية التي اخترعها، يُنظر: ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ٥٢/٢.

(٥) يُنظر: مشالي، علي عبد، دور الأطباء العرب المسلمين في تشخيص الأمراض البشرية في الدولة العربية الإسلامية: دراسة انتقائية، (مجلة الأستاذ، جامعة بغداد، كلية التربية ابن رشد، العدد ١٤٥، لسنة ٢٠١١م)، ١٢٥ وما بعدها.

خلال معرفة أعراضها وأسبابها قديماً وحديثاً، لاسيما التي تلتبس على قسم من الأطباء، وعدم تمكنهم من تشخيص ذلك الوباء المنتشر وعلاجه سابقاً ولاحقاً. إذ ناقش علامات ودلالات وأعراض يمكن للمرء أن يتخذ منها وسيلة للوقاية من الأمراض والأوبئة في عالم اليوم.

فهناك أمراض مُعدية مثل: الجدام والجرب والجدري والحمى الوبائية، والقروح العفنة، لاسيما إذا ضاقت المساكن وارتفعت الأبنية، وكذلك إذا كان المجاور في أسفل الريح مثل: الرمذ وخصوصاً إلى متأمله بعينه ومثل الضرس حتى إن تخيل الحامض يفعلُه ومثل السبل ومثل البرص أو أمراض تتوارث في النسل مثل: القرع الطبيعي والبرص والنقرس والسبل والجدام وغيرها (١).

وقال ابن سينا: قد يعقب ذات الرئة والجنب كـ: الخدر في مؤخر عضد صاحبه وأنسيه وساعده إلى أطراف الأصابع، وقد يحمل على جهة القلب فيعرض منه خفقان يتبعه الغشي إلى جانب الدماغ (٢).

أما إذا كانت المسام منسدة فقد يساعد ذلك كله فساد الهواء في نفسه أو مجاورة المجذومين المصابين، فإن العلة ستكون مُعدية وقد تقع بالإرث، فضلاً عن مزاج النطفة التي منها خلق في نفسه لمزاج لها أو مستفاد في الرحم بحال لها مثل أن يتفق أن يكون العلوق في حال الحيض. فإذا اجتمعت حرارة الهواء مع رداءة الأغذية، لاسيما من جنس السمك والقديد واللحوم الغليظة أو لحوم الحمير، والعدس كان بالحري أن يقع الجدام كما كثر بالإسكندرية على سبيل المثال (٣).

(١) القانون في الطب، ١/١١١.

(٢) نفس المصدر، ٢/٣٤٢.

(٣) ابن سينا، القانون في الطب، ٢/١٨٨.

واعلم أن القيء المنقى بالرفق دواء عجيب لمن تسقط منه الشهوة عن الحلو والدسم ويقتصر على الحامض والحريف. وأما الكائن بسبب ضعف حسّ المعدة فيجب أن يعالج الدماغ وبيراً السبب الذي أدخل الآفة في فعله (١).

والفواق الذي يدخل في علامات البحران ربما كان علامة جيدة وربما كان علامة رديئة بحسب ما نوضحه، وأنه إذا لم يسكن القيء الفاق وكان معه حمرة في العين، فهو رديء يدل على ورم في المعدة أو في الدماغ، وقيل في كتاب علامات الموت السريع أنه إذا عرض لصاحب الفواق ورم في الجانب الأيمن خارج عن الطبيعة من غير سبب معروف وكان الفواق شديداً خرجت نفسه من الفواق قبل طلوع الشمس، وفي ذلك الكتاب من كان مع الفواق مغص وقيء وكزاز وذهل عقله فإنه يموت قطعاً، فضلاً عن ذلك فإذا كان بالإنسان أورام وقروح لينة فذهب عقله مات (٢).

وقد قيل أيضاً في علامات (الموت السريع) أن من كان به خوانيق فتغير لون مؤخر عنقه عن حمرة المعتادة تغيراً إلى البياض أو إلى الخضرة وعرق إبطه وأرنبته عرقاً بارداً فإنه يموت في أحد يوميه (٣).

وكثيراً ما يشتدّ بهم السعال ويؤدي إلى نفث الدم المتتابع فإن عولج سعالهم بالموانع للنفث هلكوا مع خفة يصيبونها وإن تركوا يسعلون ماتوا نزفاً بالموت السريع. فإن عرض الاختلاط ودامت الرقة دلّ على موت سريع بسبب أن المواد تحمل على الدماغ فيتعطل النفس (٤).

(١) نفس المصدر، ٤٥٧/٣.

(٢) نفس المصدر، ٢٧٣/٥.

(٣) نفس المصدر، ٢٩٠/٢.

(٤) ابن سينا، القانون في الطب، ١٣٤/٣.

أنواع الأعراض المرضية:

وهذه الأعراض بمجملها يمكن أن تقسم إلى قسمين:

١. عرضية: تحدث بسبب مرض ناتج عن ورم أو إصابة أو بسبب حرارة الشمس أو عن حركات غير اعتيادية وغيرها ك: الإسراف في الطعام^(١).
٢. مرضية: تكون في أشكال ثلاث عندما يسخن جسم المصاب، بسبب ارتفاع درجات الحرارة في جميع أجزاء البدن، لذلك قال العلماء العرب والمسلمون تعليقاً على ذلك بما يأتي:
 - أ. إذا كان مبدؤها تعلقها بالروح سميت حمى يوم، لأنها كثيراً ما يشفى منها المريض خلال يوم إلى ثلاثة أيام.
 - ب. قد تكون مبدأ تعلقها بالأخلاق، ولذلك سميت عفنية، وهذه العفنية أربعة أنواع هي: الصفراوية والسوداوية، والبلغمية والدموية.
 - ج. أمّا إن كان مبدأ تعلقها بالأعضاء الصلبة الأصلية فتسم: حمى دق، فضلاً عما تقدم فإن هناك أصناف أخرى غيرها.وقد ينتفع البدن بالحمى انتفاعاً عظيماً لا يبلغه الغذاء والدواء، وكثيراً ما يكون حمى يوم. وحمى العفن سبباً لإنضاج مواد غليظة لم تكن تتضج بدونها، وسبباً لتفتح سدود لم تكن تصل إليها الأدوية المفتحة مهما كان الفائدة منها جيدة^(٢).

(١) يُنظر: ابن قيم الجوزية، الطب النبوي، ٢٠ - ٢١.

(٢) للمزيد يُنظر: ابن قيم الجوزية، الطب النبوي، ١٩ - ٢٠.

إن هذه التقسيمات التي بيّناها قد أشار لها قسم من الأطباء العرب والمسلمين منذ قرون خلت، وشخصوها بحسب الأعراض والعلامات التي تبدو على جسم المريض ونفسيته (١).

وأغلب هذه الأعراض التي تظهر على المريض منها شعوره بثقل البدن بوجه عام، ومعاناته من الآلام في بعض المفاصل، وارتفاع شديد في درجة حرارة الجسم مع جفاف الفم، فضلاً عن التعرق الغزير والشكوى من بطء حركة الجسم عموماً مع ذبول البدن، والأهم في ذلك هو سرعة نبضات القلب وكمودة لونه مما يدعو بأنه نذير شؤم، إذ تُعد هذه الأعراض من أسوأ أعراض الحمى التي قد يعاني منها المريض حينذاك، وهو لا يعرف ما هو المرض الذي يعاني منه أو الوباء الذي أصيب به، لعدم وجود إجراءات وفحوص مختبرية طبية بتقنيات عالية كما هو حاصل اليوم (٢).

إمّا من الأعضاء الحاملة لها ك: ذات الجنب وذات الرئة، فمن أعراضها الصرع، وإما من أسبابها ك: قولنا: مرض سوداوي، وإما من التشبيه ك: قولنا: داء الأسد وداء الفيل، وإما منسوباً إلى أول من ذكر أنه عرض له ذلك ك: قولهم قرحة طيلانية منسوبة إلى رجل يسمى: طيلانس، وإما منسوباً إلى بلدة يكثر حدوثها فيه، ك: قولهم القروح البلخية نسبة إلى بلخ،

(١) للمزيد يُنظر: ابن هبل البغدادي، مهذب الدّين أبي الحسن علي بن أحمد التبريزي (ت: ١٠٦١هـ/١٢١٣م)، المختار في الطب، تحقيق: هاشم الندوي، (دار ومكتبة بيبليون، لبنان، (د. ت)، ١٥٩-١٦٠.

(٢) للمزيد يُنظر: ابن رين الطبري، فردوس الحكمة في الطب، ٥٨٤-٥٨٥؛ حسين، الموجز في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب، (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، القاهرة، (د. ت)، ٢٩٢-٢٩٣؛ الحموي، شمس الدّين محمد بن أحمد بن يوسف بن أحمد الميداني الشافعي (ت: ١٠٣٣هـ/—١٦٢٣م)، البيان في كشف علم الطب للعيان، (المكتبة البريطانية، مخطوطات، رقم: ١٥٠٧١٠١٥)، ورقة ٢٩٩.

وإما منسوباً إلى من كان مشهوراً بالإنجاح في معالجاتها كـ: القرحة
السيروتية، في حين قيل: " إن الأمراض أمّا ظاهرة فتعرف حساً وإما باطنة
سهلة الوقوف عليها كـ: أوجاع المعدة والرئة أو عسرة الوقوف عليها كـ:
آفات الكبد ومجاري الرئة، وإما غير مدركة إلا بالتخمين كـ: الآفات
العارضة لمجاري البول" (١).

وقال ابن سينا في هذا المجال عن أعراض المصاب، لاسيما عند النظر
ومعرفة البول، بما نصه: " حال البول ينذر بعلّة في الكلى والبراز العادم
للصبغ فوق العادة ينذر ببيرقان، وإذا طال حرق البول أنذر بقروح تحدث في
المثانة والقضيب ... والوجع في الأطراف ينذر بالقولنج، والحكاك في
المقعد أن لم يكن ديدان صغار بها ينذر بالبواسير" (٢).

وهناك تداخل بين أعراض لأمراض عدة مع أعراض كورونا (كوفيد-
١٩) المستجد، ولكيلا تلتبس على الناس الكثير من الأمور، فقد أوصى
أحد الأطباء المعاصرين (٣) توصيات شخصية وصفية يرى أنها مفيدة من
خلال معرفة الأعراض التي تظهر على المريض قائلاً:

١. السعال الجاف + العطس = يعني تلوث الهواء.

٢. السعال + المخاط + العطس + سيلان الأنف = يعني نزلات البرد

(١) ابن سينا، القانون في الطب، ١/١٠٠.

(٢) نفس المصدر، ١/٢٦٠.

(٣) هو: الدكتور حامد اللامي، إذ كانت له لقاءت مباشرة مع القنوات الإعلامية، والمرضى
المصابين بوباء كورونا، وقد قيل إنهم خرجوا مطمئنين بسبب ما قدم لهم من نصائح طبية
وغذائية نافعة. يُنظر لقاء قناة صوت العرب:

تاريخ <https://www.facebook.com/watch/?v=3907886695893519>

الدخول في الموقع: ٢٠٢٠/٩/١٩ م.

٣. السعال + المخاط + العطس + سيلان الأنف + وجع الجسم + الضعف + الحمى الخفيفة = يعني الإنفلونزا.

٤. سعال جاف + عطس + ألم في الجسم + ضعف + حمى عالية + صعوبة في التنفس + فقدان حاسة الشم + والتذوق = يعني فيروس كورونا (كوفيد-١٩) المستجد.

إما إذا شعر الإنسان أنه مصاب بـ: فيروس كورونا فعليه مراجعة أقرب وحدة صحية متخصصة بهذا الوباء، إذ تم تحديد مواقع رسمية تهتم بفحص ومعالجة وعزل المصابين في أغلب البلدان التي تعاني من انتشار الوباء. وهناك قسم من أعراض وباء كورونا (كوفيد-١٩) المستجد قد تظهر على المصاب منها:

١. تبدأ الأعراض الأولية من اليوم الثاني لليوم الخامس تقريباً من الإصابة بالوباء.

٢. الأعراض تكون ارتفاع درجة الحرارة، ونحول عام بالجسم وتعب وضيق بالتنفس.

٣. تزداد الأعراض للمصاب، وتشتد من اليوم الخامس لليوم العاشر.

٤. تزداد ارتفاع درجة حرارة الجسم، وقد يرافقها الإسهال مع ضيق بالتنفس أكثر من السابق، ونحول ووجع بالجسم ويفقد المصاب الشهية.

٥. بعد اليوم العاشر تبدأ الأعراض بالتقلص تدريجياً وتخف.

٦. أمّا بعد اليوم (١٤) تقريباً من الإصابة، فمن المحتمل أن تنتهي الأعراض جميعها، ويستمر بتناول العقاقير الطبية التي تساعد على التخلص من المرض الذي أصيب به.

وذكر أن من المفيد تناول مشروبات وأطعمة تساعد على تقوية المناعة، منها الغرغرة بالماء والملح، وتناول عصير البرتقال، وتناول الثوم واللبن والتعرض لأشعة الشمس لمدة زمنية يحددها الطبيب المختص.

كما نرى أن الوقاية بوجه عام ضرورية وتبدأ من العودة إلى الله تبارك وتعالى، والتقرب إليه بالعمل الصالح، وتأمين مستلزمات الوقاية من الأمراض استناداً إلى ما ينشر من تبليغات مهمة صادرة عن الجهات الرسمية ذات العلاقة، فإنها تسهم في الحد من انتشار الوباء والأمراض.

كذلك من الأهمية بمكان يتطلب الأمر التوقف كلياً عن كل فعل من شأنه صناعة الأوبئة والأمراض الجرثومية التي تلحق الأذى بالناس الأبرياء؛ بغية تحقيق مصالح دنيوية أو شخصية على حساب الغير أولاً، وبعيدة عن رضى الله تبارك وتعالى ثانياً، وهؤلاء سيحاسبون عاجلاً أم آجلاً عن كل نفس بريئة زهقت من غير ذنب في أرض الله تعالى المعمورة.

التأمين الصحي:

يُمثل عقد بين طرفين وهما الأول المستشفى أو ما شابهها، إذ تلتزم به بعلاج الطرف الثاني سواء أكانوا فرد أم جماعة، ممن أصيبوا بمرض معين أو بذل ما بوسعهم من أجل وقايتهم من وباء أو مرض مقابل مبلغ مالي تحدده تعليمات من جهة اتخاذ القرار تلتزم به الجميع الأول والثاني على وفق ضوابط حددت مسبقاً.

ويمكن تسميته بمعاوضة المال لقاء منفعة قائمة أو من المحتمل القيام عند وجودها، ويسمى هذا من باب العقود على المنافع المباحة بين الناس.

لذلك نجد أن من تحمل مسؤولية التأمين الصحي مثل: المستشفى، فهي لا تدفع نقوداً للمؤمن له عند وقوع ضرر في بدنه كـ: المرض أو الوفاة،

وإنما تتم معالجته بكل الوسائل المتاحة مقابل ما دفعه من نقود لها جراء التأمين، وتكون الدولة هي الجهة التي تعمل على تنظيم ذلك بقوانين تحمي المجتمع من الفناء (١).

ومن الوسائل الكفيلة بالوقاية من الأوبئة تعيين جهات تتولى تأمين مستلزمات معالجة الأمراض الوبائية، خاصة من النوازل التي ظهرت في هذا العصر ولم تكن معروفة من قبل على أن تكون الدولة صاحبة القرار في ذلك الأمر من خلال لجان مختصة، ولا بد من عرض تلك القضايا على الأدلة والقواعد الشرعية، إذ ما من قضية إلا مبادئ وقيم الإسلام فيها حكم يسهم في علاجها والحد منها بعد أن يضع الإنسان نفسه وضميره في خدمة البشرية جميعاً.

ويجد الناس من الأحكام بقدر ما يحدثونه من أحداث وقضايا، ذلك أن النصوص في الكتاب والسنة محصورة ومتناهية، أما القضايا والحوادث فغير متناهية، بل هي في تزايد مضطرد وأهل العلم الشرعي المجتهدون هم الذين يبيّنون أحكام النوازل والمستجدات التي تنزل بالأمة في كل عصر وفي كل زمان ومكان (٢).

ومن اللافت أن كل مرض يقع ويسبب قتل الناس قيل عنه طاعوناً، وقد يكون ليس طاعوناً بل شبيهه بأعراض وباء كورونا (كوفيد-١٩) المستجد الذي انتشر اليوم في عالمنا المعاصر إلا أنهم لم يعرفوا قديماً سوى مرض الطاعون القاتل حينذاك إلا في قرون متأخرة. ونتيجة التطور الهائل في

(١) للمزيد يُنظر: الطيار، عبد الله بن محمد و عبد الله بن محمد المطلق ومحمد بن إبراهيم الموسى، الفقه الميسر، (مدار الوطن، الرياض، ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م)، ٨٦/١٢.

(٢) الفنيسان، الشيخ سعود، التأمين الصحي في المنظور الإسلامي، ((د. ط)، (د. م)، (د. ت))، ١.

التقنيات العلمية ضرورة وضع برامج للتأمين الصحي، بغية معالجة الأمراض التي قد تؤدي بحياة الكثير من الناس لسوء استخدام السلطة للإجراءات الصحية وإهمال ذلك التأمين الحيوي.

المبحث الرابع العلاج بالأعشاب

من خلال الاطلاع على تراث الأمة الخالد نجد أن كثيراً ما تنتشر أوبئة تؤدي إلى الهلاك السريع دون معرفة أسباب ذلك (١)، أما حديثاً فقد " تمثل العولمة واحدة من الحدود الجديدة للأمراض المعدية، وهذا خطر لم يتوقعه سوى القليلون قبل عقود قليلة فأشباح الإرهاب البيولوجي، ومقاومة المضادات الحيوية، والتأثير المحتمل لتغير المناخ تُعدّ مشاكل جديدة، وتكاد القدرة على فهمها أن تنعدم؛ حتى أن تلك الأمراض المعروفة يمكن أن تتطوي على المفاجآت، فلم يتوقع أحد أن يسبب فيروس زيكا كل هذا الضرر ... ومنذ عام ٢٠١٠ تم اكتشاف ٨٧ نوعاً جديداً من الأمراض المعدية" (٢).

قال ابن سينا: "العلاج: يجب أن يتلطف في حبس الطبيعة بما هو معلوم في أبوابه وأن يُغذى العليل بما يقوي أكثر مقدار ما يهضم بما يبرد ويرطب، وقد جعل فيه قوابض، ويجعل على المعدة الضمادات والنطولات المقومة مسخنة غير مفترية، فإن كل فاتر يرخي ويحلل القوة، ومن هذه

(١) تواء، فادي الياس، المناخ والأسعار والأمراض في بلاد الشام عهد المماليك، ٦٤٨ - ٩٢٢هـ = ١٢٥٠ - ١٥١٦م، (د. ط)، بيروت، ١٩٩٨م، ٣٧٩.

(٢) <https://www.rcrcmagazine.org/2017/08> / تاريخ الدخول في الموقع: ٢٥/٥/٢٠٢٠م.

الجملة صوفة مغموسة في دهن الناردين أو دهن أبرد منه مطيب ويعصر حتى يفارقه أثر الدهن ويجعل على القلب والكبد ما يبرد^(١).

وفي كتاب ابن سينا علاجات كثيرة تسهم في الوقاية من الأوبئة والأمراض منها على سبيل المثال لا الحصر:

علاج النزلة التي قد تكون بداياتها شبيهةً بأعراض كورونا، فيرى أنها محصورة في أعراض النقصان من المادة، وقد تنتقل وتتطور بعض الأمراض إلى أمراض أخرى، فيصير الحال لذلك أشد رداءً مثل انتقال ذات الجنب إلى ذات الرئة، وانتقال العلة المعروفة بقرانيطس إلى ليثرغس^(٢).

ولعلاج أمراض الرئة مثلاً: يمكن خلط (١٠٠) غم من العسل وبنفس الوزن زيت الزيتون وبنفسه زيت الأوز، و (١٠٠) غم من الكاكا، و (١٥) غم من الصبر، وجميعها توضع وتخلط على النار وتترك النار قبل الغليان، ويأخذ المريض ملعقة كبيرة مع كأس حليب مرتين صباحاً ومساءً سيبراً بإذن الله تعالى^(٣)، وقيل أيضاً أن: عسل الملكة ينفع لعلاج الرئة^(٤).

وذكر قسم من الأطباء العرب المسلمين أن مثل هذه الحالات أيضاً قد ينفع للعلاج شراب الأجاص بعد طبيخه وهو نافع عظيم^(٥)، فضلاً عن

(١) القانون في الطب، ١٠/٣؛ الثامري، تأهيل بعض الحقائق العلمية في كتاب القيء أو الإسهال للرازي، ٤١٠.

(٢) القانون في الطب، ٧٩/١.

(٣) كيم، ف، موسوعة الطب الشعبي عند مختلف الشعوب، ترجمة: سعيد العمر، (دار دمشق، ط٢، سوريا، ٢٠٠٤م). ١٢٦.

(٤) للمزيد يُنظر: ابن سينا، القانون في الطب، ١٤٢٦؛ كيم، ف، موسوعة الطب الشعبي، ١٢٦؛ العلوي، محمد، العلاج بالقرآن المسمى ب: التحفة العلوية في علاج السحر والحسد والأعمال الشيطانية، (مؤسسة البلاغ للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٤م)، ٥١٧.

(٥) يُنظر: ابن البيطار، ضياء الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد المالقي (ت: ٦٤٦هـ/١٢٤٨م)، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، (دار الكتب العلمية، بيروت،

الاستعانة بنبات الكشوت، وهو أصفر اللون يتعلق بالنبات مثل الخيط ويشرب من ماء النبتة، ولا تمتد جذوره في الأرض، ولا يخرج منه ورقاً، وهو في نهاياته ثمر لطيف وكثيراً ما يوجد في الكروم ويتشابك معه ^(١). إذ أن ماءه نافع، لاسيما لعلاج الحميات المركبة في البلغم والصفراء، وهناك شرابات عدة كلها تشفي مرض الحميات، ومنها عصير التمر الهندي، وبزر الهندبا، والمتطاولة والخيار البارد الرطب وغيرها الكثير ^(٢).

ومن علاجات الأمراض الشبيهة بأعراض كورونا (كوفيد-١٩) هو نبات عصا الراعي الذي يسمى البطباط، ويتكون من نوعين ذكر وأنثى يساعد على شفاء مرض الإسهال المصاحب لنفق الدم من الصدر ^(٣). فضلاً عن تناول مواد من أعشاب كما وصفها أحد الأطباء من إيران، ومنها: نعناع، بابونج بيضاء، وبطنج، وزعتر، وميرمية وتخلط مع الماء ... وتشرب بعد التصفية فإنها شفاء بإذن الله تعالى.

كما ذكر قسم من الأطباء علاجات نافعة أيضاً بعيدة عن الأدوية ومركباتها التي تنفع جزء من بدن المريض، وتلحق الضرر بأجزاء أخرى

١٤١٢هـ—١٩٩٢م)، ١٣/١؛ ابن النفيس، علاء الدين علي بن أبي الحزم القرشي المصري، (ت: ٦٨٧هـ/١٢٨٨م)، الشامل في الصناعة الطبية والأدوية والأغذية، تحقيق: يوسف زيدان، (المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٢م)، ١/٢٠٣.

(١) يُنظر: العمري، شهاب الدين أحمد بن فضل الله (ت: ٧٤٩هـ/١٣٤٨م)، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تح: المستشرقة دوروتيا كرافولسكي، (دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٠م)، ١٩/٢٢.

(٢) يُنظر: ابن الورد، سراج الدين أبو حفص عمر بن المظفر البكري القرشي المعري ثم الحلبي (ت: ٨٥٢هـ/١٤٤٧م)، خريدة العجائب وفريدة الغرائب، (مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٤٢٨هـ)، ٣١٥؛ العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ٢٠/٢٢، ٧٨، ٨٤.

(٣) يُنظر: ابن البيطار، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، مجلد ٢-٣/١٢٤.

من خلال الاستفادة بالكثير من النباتات والاشجار. وعلى سبيل المثال: القرنفل والثوم والبصل وغيرها الكثير في بلاد المسلمين، علماً أن الله عزّ وجلّ ذكر قسماً منها في محكم كتابه العزيز، لقوله تعالى: ﴿تُثْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا﴾^(١).

وعوداً على بدء، عليه يتطلب من المصابين ضرورة الحمية هم وعوائلهم، قال الأصفهاني: "الحمية طابع الصحة. وقيل للحرث بن كعدة: ما الدواء الأكبر. فقال: الأزم. وقيل: حمية شهر أيسر من سهر ليلة، وإن تصبر على الحمية شبراً خيراً من أن تقاسي العلة فترة. وقيل: لا تأكل ما تشتهي فيصيرك إلى ما لا تشتهي. وقيل للسري: قد تركت الشهوة. فقال: تركت ما أحب لأستغني عن العلاج بما لا أحب. واحتفى أحمد بن المعدل^(٢) (ت: ٣٣٨هـ/٩٤٩م) لعدة به فبراً فقال: الحمية صالحة لأهل الدنيا تبرئهم من المرض، ولأهل الآخرة صالحة تبرئهم من النار. وقال عمر رضي الله عنه: عزم الرجل بحميته وحزمه بمتاع بيته. وقال المأمون لطبيبه: ما الذي يذهب بأكل الطين. فقال: عزمة من عزمات الرجال. قال:

(١) سورة البقرة، الآية: ٦١.

(٢) أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن دينار المعدل الزاهد، وهو من أهل نيسابور، وقدم بغداد حاجاً وحدث بها. ثقة فقيهاً عارفاً بمذهب أبو حنيفة. علماً أنه متفقه على مذهب مالك. ينظر: ابن حبان، الثقات، ١٦/٨؛ الأبيشي، بهاء الدين (أو شهاب الدين) أبو الفتح محمد بن أحمد بن منصور المحلي (٨٥٠هـ/١٤٤٦م)، المستطرف في كل فن مستظرف، (دار ومكتبة الهلال، (د. م)، (د. ت))، ٨٤٣/٢.

صدقت. فتركه بعد ذلك ولم يعاوده. قيل للصاحب يوماً: تحتمي وتشرب الأدوية. فقال: أفعل ذلك بغضاً في الحمية وشرب الأدوية^(١).

وهناك من تحدث عن معلومات قيل استفاد بها الكثير من المرضى كعلاج أولي لدرء الوباء، لاسيما من الذين أكرمهم الله تعالى وتعافوا من فيروس كورونا (كوفيد-١٩) المستجد، ونشرت في مواقع التواصل الاجتماعي مفادها:

- كل يوم كان يمرُّ علينا في المستشفى نحصل على الآتي:

١. فيتامين ١٠٠٠-C.
٢. فيتامين E (هـ).
٣. من الساعة (١٠ إلى ١١) الجلوس في أشعة الشمس لمدة ١٥-٢٠ دقيقة.

٤. وجبة البيض مرة واحدة.

٥. نأخذ قسطاً من الراحة/ النوم ٧-٨ ساعات كحد أدنى.

٦. نشرب ١،٥ لتر ونصف من الماء يومياً.

٧. ويجب أن تكون كل الوجبات دافئة (وليست باردة).

هذا ما قاموا به في المستشفى سواء أكانوا أفراداً أو جماعات ضمن ردهات الحجر الصحي. ولذلك كل ما يتعين على المريض القيام به للقضاء على الفيروس هو استهلاك المزيد من الأطعمة القلبية فوق مستوى الحموضة في الفيروس مثل:

* الليمون الأخضر -٩،٩ درجة حموضة

(١) الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل (ت: ٥٠٢هـ/١١٠٨م)،

كتاب محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، (شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم،

بيروت، ١٤٢٠هـ)، ١/١٩١.

* الليمون الأصفر - ٨,٢ درجة الحموضة

* الأفوكادو - ١٥,٦ درجة حموضة

* الثوم - ١٣,٢ درجة حموضة

* مانجو - ٨,٧ درجة حموضة

* المندرين - ٨,٥ درجة حموضة

* الأناناس - ١٢,٧ درجة حموضة

* الجرجير - ٢٢,٧ درجة حموضة

* البرتقال - ٩,٢ درجة حموضة

كما ذكر في باب معالجة الوباء عند أهل البيت (عليه السلام)، إذ قال الإمام أبي الحسن موسى بن جعفر (عليه السلام) لدفع الوباء بعدما جاءه كتاب من سائل فأجيب به:

كل التفاح، فأكل السائل وعوفي. أمّا البصل فقال أيضاً: كلوا من بصل المدينة التي أنتم فيها، فإنه يذهب عنكم وبائها (١).

وقال الطبرسي عن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) (ت: ١٤٨هـ / ٧٦٥م) بما نصه: "مشط الرأس يذهب بالوباء، ومشط اللحية يشد الأضراس" (٢).
ذكر البرقي قائلاً بما نصه:

(١) الكليني، الفروع من الكافي، صححه وقابله وعلق عليه: علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٦٧هـ، ٣٥٦/٦؛ الشاهرودي، علي المازي، مستدرك سفينة البحار، تحقيق وتصحيح: حسن بن علي النمازي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ١٤١٩هـ، ٢٣٤/١٠.

(٢) الطبرسي، مكارم الأخلاق، (منشورات الشريف الرضي، (د. ط)، (د. م)، ١٩٧٢م)، ٧٠.

" قال أبو عبد الله [جعفر الصادق] (عليه السلام): التفاح يفرج المعدة، وقال: كل التفاح فإنه يطفئ الحرارة، ويبرد الجوف، ويذهب بالحمى. وفي حديث آخر يذهب بالوباء" (١)، ويفضل التفاح الأخضر (٢).
قال أحد الباحثين نقلاً عن المصادر التاريخية بما نصه: "أصاب الناس وباء ونحن بمكة فأصابني فكتبت إليه، فقال فكتب إليّ كل التفاح فأكلته فعوفيت" (٣).

نستنتج مما تقدم أن للغذاء أثر هام في مواجهة الوباء والأمراض، وإذا انخفض استهلاك الأغذية في الأسر التي تتعرض للإصابة بوباء. ومنها أنها لا تجد الطعام ولا وسائل إعداده، لاسيما عندما يموت رب الأسرة أو أحد البالغين فيها، فتكون النتائج مؤثرة سلباً في صحة ونفسية الأحياء في تلك المواقع صغيرة أم كبيرة.

كما أن انعدام الأمن الغذائي وسوء التغذية تُعد من أهم المشكلات المباشرة التي واجهتها الأسر المنكوبة والفقيرة المصابة بالوباء، لذا فإن سوء التغذية والوباء قد يشكل حلقة أساسية في المعالجة، فنقص التغذية يزيد من فرص التعرض للإصابة، وبالتالي يزيد من حدة المرض وانتشاره داخل وخارج الأسرة الواحدة، وقبل أن تظهر على الشخص أعراض المرض، يحاول استهلاك الغذاء، لأن الإصابة بالوباء قد يؤثر على الحالة التنفسية

(١) البرقي، أبو جعفر أحمد بن محمد بن خالد بن عبد الرحمن بن محمد بن علي (ت: ٢٧٤هـ/٨٨٧م)، المحاسن، تحقيق: السيد جلال الدين الحسيني المشتهر بالمحدث، (دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٧٠هـ)، ٥٥١/٢.

(٢) نفس المصدر، ٥٥٢/٢.

(٣) الأصفهاني، محمود، رمز الصحة، (مطبعة الآداب، النجف الأشرف، العراق، ١٤٠٣هـ)،

فيما بعد، إذ يفقد الشخص شهيته، ويعجز عن امتصاص العناصر المغذية، وتبدأ حالته في التدهور.

فالتغذية السليمة أمر مهم في مقاومة الأوبئة والأمراض قبل وبعد العلاج، فالرعاية والدعم الغذائي قد يساعدان في وقف تدهور الحالة الصحية وفقدان الوزن والهزال مع المحافظة على قوة الجسم وقدرته على القيام بوظائفه، وصورته الخارجية بغية الشفاء من الوباء.

إن أفضل نصيحة نراها اليوم هي ما يقدمها الأطباء في المؤسسات الصحية تلافياً لتداعيات الوباء المنتشر هي اتباع نظام غذائي صحي ومتوازن للحفاظ على صحة غذائية جيدة.

ومن المعلوم أن من يعانون من ضعف وظائف الرئة هم أكثر عرضة للإصابة بأعراض فيروس كورونا (كوفيد-19) المستجد، بما في ذلك كبار السن رجالاً ونساءً، لاسيما المصابون بأمراض الجهاز التنفسي المزمن أو مرضى السكري أو أمراض ارتفاع ضغط الدم وأمراض القلب وغيرها. لذلك فإن اتباع نظام غذائي كثيراً ما يحافظ على وظائف الرئة الجيدة، الأمر الذي قد يساعد في تقليل التطور الخطير لأعراض فيروس كورونا.

كما أظهرت الدراسات الأخيرة في الولايات المتحدة الأمريكية، وأماكن أخرى من العالم أن النظام الغذائي الغني بالألياف ك: الخضروات والحبوب الغنية بالألياف والمكسرات أغلب نتائجها الصحية هي ترتبط بوظيفة الرئة الجيدة وتتعتها^(١).

وعلى ما يبدو فقد أبدع العلماء الأوائل في التركيز على الكثير من الحقائق العلمية، لاسيما في قسم من علاج الأوبئة والأمراض، باستخدام

(١) <https://www.aljazeera.net/news/healthmedicine/2020/7/6/%D9>

تاريخ الدخول في الموقع: ٢٨/٨/٢٠٢٠م.

الأعشاب والنباتات الصالحة للعلاج والعمل على إيجاد حلول ناجعة لغيرها قدر المستطاع، ومنها الأوبئة الفتاكة من غير ادعاء ولا إسراف ولا إسفاف، على الرغم من عدم توفر الخبرات والتحليلات والأجهزة والمعدات الفنية التي تسهم في تشخيص الحالة الصحية للمريض كما هو الآن في عالمنا المعاصر، مع ذلك فهناك من الأطباء قد تعذر عليهم معرفة أسباب هذه الأوبئة والأمراض المؤذية وعلاجها الدقيق، وبالتالي جعل المختصين يفكرون بإنقاذ الأمة الإسلامية وغيرها ممن تعاونوا معهم لضمان مستقبلهم من الأذى والهلاك.

ومن الجدير بالذكر فقد طُرح عقار للشفاء من فيروس كورونا وهو: ديكساميثازون، ونشر أنه قد ينقذ حياة مرضى في حالات حرجة. ومن اللافت أن العقار الجديد لا يستخدم لعلاج المرضى ذوي الأعراض الخفيفة، وبإمكان هذا العقار رخيص الثمن والمتاح على نطاق واسع المساعدة في إنقاذ حياة مرضى بـ: فيروس كورونا، لاسيما ممن وصلوا إلى حالة حرجة.

وقال خبراء في المملكة المتحدة إن العلاج باستخدام جرعة قليلة من عقار ديكساميثازون أتى بنتائج تعتبر تطوراً كبيراً في المعركة ضد الفيروس القاتل.

ويقلل هذا العقار الجديد بعد فحصه نهائياً من احتمال وفاة المرضى الموضوعين على أجهزة التنفس الصناعي بحدود الثلث تقريبا. كما يقلل نسبة الوفاة بين المرضى الذين يحصلون على الأوكسجين إلى الخمس أيضاً^(١)، وهناك المزيد من الدراسات والبحوث المتطورة الفاعلة وفي كل

(١) للمزيد يُنظر: <https://www.bbc.com/arabic/science-and-tech>

٥٣٠٦٨٥٨٦. تاريخ الدخول في الموقع: ٢٥/٨/٢٠٢٠م.

دول العالم؛ بغية الوصول إلى علاج شافي إن شاء الله تعالى يقضي على الوباء وجذوره^(١). وهناك المزيد من هذه الدراسات التي نأمل الاستفادة منها بعلاج الأمراض المتنوعة بحسب كل حالة^(٢).

ونرجو أن يتحرك عقلائها في عصرنا الحاضر كما فعلوا علمائها الأفاضل سابقاً، وإعادة حضارتها من جديد هيبَةً للإسلام والمسلمين بعدما ضحوا من أجلها في قرون خلت، ونحن على يقين أن كل مستلزمات النهوض الحضاري متوفرة، إذا سعينا جميعاً جاهدين حقاً لذلك التطور.

(١) <https://www.skynewsarabia.com/technology/١٣٧١٥٨٤-٦>

تاريخ الدخول في الموقع: ٢٧/٨/٢٠٢٠م.

(٢) أبو كبدة، إيمان بشير، علاج الأمراض بالأعشاب، ((د. ط)، (د. م)، (د. ت))، ١٤٩-

١٥٠. وهناك كتاب للمؤلفة إيمان بشير أبو كبدة بعنوان: علاج الأمراض بالعصائر

الطبيعية، يمكن الاستفادة منه.

المبحث الخامس

الحالة النفسية

اهتم العلماء العرب المسلمين كثيراً بالحالة النفسية، وتحديد مفاهيمها وأسبابها وطرائق التدبير من خلال معرفه الاضطرابات الجسمية، و النفسجسمية، ومنهم الطبيب ابن سينا الذي دأب على تصنيفها بحسب الأسباب العصبية والدماعية التي تؤثر على الحركات الإرادية تأثيراً شديداً. مبيّناً وجود علاقة وثيقة بين العمليات النفسية والعمليات البدنية، ويرفض نظريات الماديين اليونانيين الذين يفسرون الظواهر النفسية المختلفة بالتغيير المادي الآلي.

ذكر أن هناك أربع انفعالات تسبب المشكلات النفسية هي: الغضب، والخوف، والحزن، والوسواس كما أسهم في هذا المجال ابن الجزار وغيره في علاج أمراض عدة تتعلق بعلم النفس المرضي بعد أن شخص الأعراض لذلك المرض.

كتب ابن الجزار كتابه في هذا المجال وسماه (الفرق بين الاشتباهات والعلل) الذي ما زال مخطوط، إذ اعتمد الأطباء في مصنفاتهم في تشخيص الأمراض النفسية التي دونوها في كتب التراث العربي والإسلامي على الملاحظات السريرية الحية والتجربة العلمية، وتسجيل البيانات وتوثيقها بشكل دقيق لمعرفة هذه الحالات المرضية النفسية^(١).

إن العامل النفسي مهم جداً عندما يسمع الإنسان بظهور وباء وانتشاره، فيكون سبب جوهري في القوة والضعف، لاسيما عند الخوف الشديد من

(١) يُنظر: الخليفة، عمر هارون، علم النفس التجريبي في التراث العربي الإسلامي، (المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠١م)، ٢٣٤-٢٤٢.

المرض والوفاة، الأمر الذي قد يسبب اضطراب النوم والقلق للكثير من أفراد المجتمع، فتضطرب وظائف الجسم المختلفة مما يكون سبباً وعرضة للإصابة بالأوبئة والأمراض الفتاكة والقاتلة على حدٍ سواء، فضلاً عن عدم اهتمام السلاطين والحكام وسلطة اتخاذ القرار بمعالجة ذلك الظرف الطارئ وتأمين ما يحتاج لمواجهة الوباء^(١).

وفي حالة الإصابة بالأوبئة، لاسيما من الذين لا يستقر نفسياً بسبب القلق، إذ ينتشر فيه المرض بسرعة وبطريقة ملموسة وقد تكون مميتة. ومن هنا يحاول الكثير من الناس الوقاية في أسرع وقت، فيتعاونون ويتساندون ويعملون متكاتفين لوقف الوباء اللعين.

ولكن الأوبئة لها تأثيرات نفسية على الفرد ذات طبيعة أخرى تماماً، فنجد أن النفس بطبيعتها مصدر استجابة من الجسم، والمناعة الجسدية سببها الحالة النفسية اللاشعورية عندما توجد فهي تستطيع أن تقاوم الوباء والمرض أو على الأقل تخفف من حدته القاتلة على مدى أجيال مع توفر العلاج الناجع^(٢).

(١) يُنظر: رضوان، أبو الحسن علي بن رضوان بن علي بن جعفر (ت: ٤٥٣هـ/—١٠٦٧م)، دفع مضار الأبدان بارض مصر، تح: رمزي الاطرقجي، (مكتبة جامعة اليرموك، الأردن، ١٩٨٦م)، ورقه ١١؛ الحموي، شمس الدين محمد بن أحمد بن يوسف بن أحمد الميداني الشافعي (ت: ١٠٣٣هـ/—١٦٢٣م)، البيان في كشف علم الطب للعيان، (المكتبة البريطانية، مخطوطات، رقم: ١٥٠٧١٠١٥)، ورقة: ٢١-٢٢.

(٢) قطب، محمد، قبسات من الرسول صلى الله عليه وسلم، (المطبعة الشرعية، طه، القاهرة، ١٣٩٨هـ)، ٩٣.

لقد أسهم الكثير من العلماء بعلاج الحالات النفسية وعلى سبيل المثال عالج أخوان الصفا^(١) قسم من الأمراض النفسية بقولهم: أعلم أن لمرض النفوس علاجات وطباً تداوى به، كما أن لمرض الأجساد طباً يعالج به وعقاقير يداوى بها، ولها كتب وضعتها الحكماء موصوف فيها علاجاتها. كما شخص ابن سينا أعراض الأمراض النفسية بوجه عام في قوله: "ظن رديء وخوف بلا سبب وسرعة غضب وحب التخلي ... وقد يكون للأمور الماضية في ذلك تأثير، ومع ذلك فقد يتخيلون بين أعينهم، وربما تخيلوا أنفسهم إنهم صاروا ملوكاً أو سباعاً، أو شياطين، أو طيوراً، أو آلات صناعية"^(٢).

إن هذه الأمراض الكثيرة منها ما يصعب تشخيص حالتها بسبب ارتباطها الذاتي بالنفوس البشرية، فضلاً عن عدم معرفة أسبابها؛ لعدم توضيح ذلك من المريض نفسه، وقد أشار الغزالي (ت: ٥٠٥هـ/١١١١م) إلى ذلك في قوله: "ثم فتشيت علمي فوجدت نفسي عاطلاً من علم موصوف"^(٣)، ويقصد طبيعة النفس البشرية وما تحمله من أوصاف تختلف

(١) جماعة من فلاسفة المسلمين من أهل القرن (٣) الهجري و (١٠) الميلادي بالبصرة اتحدوا على أن يوفقوا بين العقائد الإسلامية، والحقائق الفلسفية السائدة. قال الخليفة المأمون العباسي: الإخوان ثلاث طبقات: طبقة كالغذاء لا يستغنى عنه أبداً، وهم إخوان الصفا ... يُنظر: ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ٨٧/٣؛ القفطي، إخبار العلماء بأخبار الحكماء، ٦٧.

(٢) القانون في الطب، ١٠٦/٢.

(٣) الغزالي، أبو حامد، محمد الغزالي الطوسي النيسابوري الصوفي الشافعي الأشعري (٥٠٥هـ/١١١١م)، المنقذ من الظلال والموصل إلى ذي العزة والجلال، تح: محمد محمد أبو ليلة، ونور شيف عبد الرحيم أحمد، (نشر جمعية البحث في القيم والفلسفة، واشنطن، ٢٠٠١م)، ٢٨٦.

من شخص لآخر قد تكون عليه سلبية أم إيجابية في وجود الوباء والله أعلم.

ذكر الكثير من المؤرخين ان ما أصاب الناس قديماً ^(١) هو الطاعون والجذري وغيرها ممن وثقوه وعرفوا نوعه، ولكن هناك إشارات ضعيفة أيدت حصول أوبئة وأمراض لم تعرف أو تحدد مصادرها من حيث النوع والعوارض، لذلك استخدموا مصطلحات عدة، منها: الفناء، والوباء، والموت، والبلاء، والوخم الذي أصاب الناس آنذاك وغيرها كثير، قال ابن الجوزي: "ومات من الصبيان والرجال والنساء بالجذري ما زاد على حد الإحصاء، حتى لم تخل دار من مصاب" ^(٢).

ونرى أن السبب في كثرة انتشار الوباء هو الخوف الذي نشأ نتيجة ظروف معينة صاحبة الأفراد، إذ تكونت أمراض نفسية انعكست سلباً على البدن، وبالتالي قد تكون هذه الأمراض متقاربة بين الناس من حيث الصفات والجينات الوراثية التي يحملونها. لذلك يلعب الأعلام المضاد دوراً كبيراً في تصعيد الأزمة الوبائية سواء أكان ذلك بالصورة المرعبة للعاملين في هذا الحقل الطبي أم البيانات الصادرة من جهات عدة بما يولد حالة من الرعب وبالتالي انعكاسها سلباً على المرضى أولاً، وعلى المجتمع ثانياً، لأسباب منها حقيقية أو لغايات سياسية قد تعلمها السلطات صاحبة الشأن.

ولم يقتصر هذا الوباء على أهل المدينة؛ بل قضى على الكثير من سكان البادية الذين اتخذوا لبيوتهم شعر الإبل وغيره، فضلاً عن إصابة

(١) هناك كتب ورسائل عدة -كما أسلفنا- ومنها بلغات أعجمية: "في علاج الوباء والطاعون على أصول الطب القديم رسالة فارسية لبعض حذاق أطباء الأصحاب توجد عند العلامة السيد محمد علي هبة الدين الشهرستاني". الطهراني، بزرگ، آقا، الذريعة، (دار الأضواء، بيروت، ١٩٨٣م)، ١/١١٨.

(٢) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ١٥/٢٣٠.

الكثير من الدواب ونفوقها. وذكر ابن تغري بردي أن مدينة بلبيس امتلأت مساجدها وفنادقها وحوانيتها بجثث الموتى من دون معرفة سبب هذا الوباء (١).

وهناك مؤلفين لم يهتموا لسرد تلك الحوادث وأسبابها وكيفية خلاص المجتمع منها للاستفادة من تلك التجارب الواقعية نفسياً، ومنهم ابن خلكان الذي لم يتطرق إلى المصاعب التي عاصرت حياة المجتمع إلا القليل منها في قوله عند ترجمته للخليفة الفاطمي المستنصر، فيأتي على ذكر المجاعة التي اشتهرت في حكمه بمصر سنة (٤٦٢هـ/١٠٦٩م)، إذ قال بما نصه: "حدث في أيامه الغلاء العظيم الذي ما عهد مثله منذ زمان يوسف عليه السلام، وأقام سبع سنين وأكل الناس بعضهم بعضاً... وآخر الأمر توجهت أم المستنصر وبناته إلى بغداد من فرط الجوع وذلك في سنة اثنتين وستين وأربعمائة [للهجرة]" (٢).

ذكر أحد الباحثين (٣) أن للأطباء العرب والمسلمين أساهمات جادة في ميدان الطب النفسي الوقائي والعلاجي، ولكن لسوء الحظ لم يصل إلينا إلا القليل من مؤلفاتهم. وقيل إن أول من عالج موضوع الصحة البدنية - النفسية من العلماء العرب والمسلمين هو:

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ١٠/٢٠٣.

(٢) ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ٥/٢٣٠.

(٣) محمد، محمود الحاج قاسم، الوقاية من الأمراض النفسية وعلاجها في الطب العربي الإسلامي، (دار ابن الأثير، سلسلة الكتاب الجامعي: ٦١، جامعة الموصل، العراق، ٢٠١٣م)، ٨٦.

أبو زيد البلخي، أحمد بن سهل^(١) (ت: ٣٢٢هـ/٩٣٤م)، الذي ألف كتاب: مصالح الأبدان والأنفس^(٢). ومن اللافت فإن كلمة الصحة النفسية التي طرحها البلخي في الحضارة الغربية لم تظهر إلا على يد (مايير) التي اقترحها للدلالة على حركة التوعية التربوية التي تهدف إلى تغيير نظرة المجتمع إلى الأمراض النفسية، إذ تأسست بناءً على ذلك أول جمعية للصحة النفسية عام ١٩٠٨م^(٣).

كما أسهم الطبيب إسحاق بن عمران البغدادي (ت: ٣٢٠هـ/٩٣٢م) الملقب: مسلم النحلة، إذ كتب مقالة حسنة عن الماينخوليا، وهي وصف لبعض الأمراض النفسية^(٤).

وكتب ابن الهيثم أبو علي الحسن بن الحسن بن الهيثم (ت: ٤٣٠هـ/١٠٤٠م) عن تأثير الموسيقى وما لها من ترويح نفسياً، إذ له مخطوطة حول تأثير الأنغام على أرواح الحيوانات، التي تعد أقدم مخطوطة تتعامل مع تأثير الموسيقى في الإنسان والحيوان^(٥).

وَألف ابن جميع، هبة الله بن زيد بن حسن بن افرائيم المصري (ت: ٥٩٥هـ/١١٩٨م)، كتاب: الإرشاد لمصالح الأنفس والأجساد. وهو طبيب

(١) يُنظر: ابن النديم، الفهرست، ١٥٣؛ ابن العديم الغفيلي، كمال الدين أبو القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة (ت: ٥٦٥هـ/١١٦٩م)، بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق: سهيل زكار، (دار الفكر، بيروت، ١٩٨٨م)، ٧٤/١.

(٢) ابن النديم، الفهرست، ١٥٣. يُنظر: ابن العديم الغفيلي، بغية الطلب في تاريخ حلب، ٧٤/١.

(٣) محمد، محمود الحاج قاسم، الوقاية من الأمراض النفسية وعلاجها في الطب العربي الإسلامي، ٨٦.

(٤) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ٣١٩.

(٥) نفس المصدر، ٣٦٢.

مصري يهودي الذي كان في خدمة صلاح الدين الأيوبي (ت: ٥٨٩هـ/١١٩٣م) (١).

أما الرئيس ابن ميمون أبو عمران موسى القرطبي (ت: ٦٠٥هـ/١٢٠٨م) يهودي وهو أوجد زمانه في صناعة الطب، كتب رسالة سماها: مقالة في تدبير الصحة الأفضلية - مخطوطة، تشمل بحثاً في علاج الحالة النفسية، وقد سماها ابن ميمون الهبوط النفسي (٢).

على حين أن الرازي ألف كتاب: الحاوي في الطب، فقد وصف وصفاً دقيقاً لقسم من الأمراض العقلية، ومنها سقوط القوة والنفس الحسن (٣).

كما أسهم السمرقندي، نجيب الدين أبو حامد محمد بن علي بن عمر (ت: ٦١٩هـ/١٢٢٢م)، وهو عالم بالطب من معاصري الرازي، إذ كان من ألمع الأسماء في تاريخ الطب النفسي، وإليه يعود الفضل في وصف الكثير من الاضطرابات العقلية وصفاً دقيقاً مفصلاً ولتسعة أصناف من الأمراض العقلية، إذ شمل ثلاثين حالة مرضية، ومن ذلك أنه وصف حالة (هتر حسي مصحوب بسلوك شاذ)، قال الفراهيدي " والهتر: مزق العرض، أي رجل مستهتر لا يبالي ما قيل فيه، وما شتم به. وأهتر الرجل: فقد عقله من الكبر فهو المهتر. والتهتار من الحمق والجهل " (٤)، وحالات قلق اجتراري مصحوب بشك واضطراب وسواسي قهري، ونوعاً من المرض العقلي

(١) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ٣٨١.

(٢) نفس المصدر، ٣٨٤.

(٣) الرازي، الحاوي في الطب، ٦٩/٢.

(٤) الفراهيدي، أبو عبد الرحمن، الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الأزدي اليماني البصري

(ت: ١٧٠هـ/٧٨٦م)، العين، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، (مؤسسة دار

الهجرة، قم/إيران، ١٤٠٩هـ)، ٣٢/٤.

الاضطهادي، وطائفة من اضطراب الحكم تتضمن سلوكاً سايكوباتياً، فضلاً عن وصف حالات اكتئاب مصحوبة بقلق عميق وغير ذلك (١).

وفي مجال انتشار وباء كورونا المستجد (كوفيد-١٩)، أكد الخبير في مجال التفكير الإبداعي، حسن المزين، أن الحالة النفسية للمريض هي نصف العلاج من هذا الفيروس.

قال: لقد أثبتت الدراسات العديدة أن التوتر والقلق عاملان أساسيان في ضعف المناعة عند الإنسان، الأمر الذي يجعل جسمه أكثر عرضة لتقبل للأمراض، على عكس الحالة النفسية الإيجابية المؤمنة بقضاء الله وقدره، فهي التي تعد نصف العلاج إذا لم تكن غالبية.

ويعزز الخبير ذلك في قوله: أن الإنسان بحاجة إلى التفاؤل والأمل، لافتاً إلى أن كل ما هو مطلوب منه أن يعيش متفائلاً وعنده أمل. هذه هي الطريقة التي يجب أن يعيش بها كل الإنسان.

وأوضح الخبير في مهارات التفكير لقناة: سكاى نيوز عربية نحن أمام شعور بعدم اليقين، لذا يحتاج الإنسان لطمئنة النفس وبالتالي يرجع إلى أي معلومة. وأضاف المزين أن من يخاف من فيروس كورونا (كوفيد-١٩) المستجد عليه أن يبتعد عن الإشاعات من أجل أن يقاوم الفيروس.

وتابع قائلاً: "الخوف الذي يؤدي إلى الأخذ بالأسباب مطلوب، وهو نعمة من رب العالمين... لكن الخوف الزائد يُعد وكأنك تقدم هدية ليس فقط لفيروس كورونا بل لكل فيروسات العالم" (٢). وأوضح أن الخوف

(١) محمد، محمود الحاج قاسم، الوقاية من الأمراض النفسية وعلاجها في الطب العربي الإسلامي، ٥٥.

(٢) <https://www.skynewsarabia.com/technology/١٣٣٢٤٠١>

ضرورة، لكن يجب أن يتحول إلى شيء إيجابي لا سلبي على النفس بوجه عام.

وخلص إلى أن على مرضى كورونا أن لا يفقدوا الأمل، مشيراً إلى أن هناك أشخاص أصيبوا بأمراض أكثر فتكاً من كورونا، واستطاعوا التغلب عليها بالإرادة والأمل والإيمان.

والسبب في ذلك القول هو تزايد عدد الإصابات بـ: فيروس كورونا، ووقوع عدد من الوفيات، لاسيما من التي تنصدر العناوين والأخبار يومياً، من دون النظر إلى غفلة الناس عن التركيز على الجانب الأكثر أهمية وإشراق في محنة كورونا، وهو عدد الحالات المتعافية ونسبتها الكبيرة مقارنة بعدد الوفيات، بسبب صمود الحالات المرضية نفسياً وتحدي المرض بكل شجاعة وثقة بـ: الله أولاً، والنفس ثانياً^(١). ومن تلك الثقة بالله تبارك وتعالى، قال أحد الباحثين: هناك العناية الإلهية الغيبية التي يحصلون عليها الناس بالعبادة والمراقبة وجهاد النفس، وتلك الآثار الحميدة في طرد الذنوب وأدرانها، وفي علاج الأمراض النفسية والخلقية^(٢).

يتضح مما سبق أن قيام المؤسسات الصحية بعزل المصابين، وابقاءهم بمفردهم من دون وجود أحد من عوائلهم، الأمر الذي يسبب لهم القلق والتوتر، فضلاً عن نتيجة النظر لحالات عدة، منها الوفيات بين المصابين، والإعسار المالي للمصاب، هي بما يشبه عواصف قوية ومؤلمة تجتاح الصحة النفسية للناس بوجه عام.

(١) <https://www.skynewsarabia.com/technology/1332401>

(٢) بيضون، لبيب، تصنيف نهج البلاغة، (مطابع مكتب الاعلام الإسلامي، طهران،

١٤٠٨هـ)، ٢٧٥.

كما أن البطالة تسهل الإصابة بالتوتر والاكتئاب، فيلجأ قسم من الناس للتخلص من هذه المعاناة إلى تعاطي الكحول والمخدرات أو لعب القمار وغيرها، فضلاً عن دفع البعض إلى التشرد.

خلاصة الأمر يجب على المختصين والباحثين مراقبة القلق بأنواعه، وأسباب الاكتئاب، وعدم إلحاق الضرر بالنفس للظروف آفة الذكر، لأن قسماً منها تدعو للانتحار وغيرها من الأمراض النفسية التي لا تحمد عقباها.

الفصل الخامس

التعامل مع الوباء والمشاهير الذين قضى عليهم

المبحث الأول

كيف نتعامل مع وباء كورونا

المبحث الثاني

الحماية من الفيروسات والأوبئة المصنعة

المبحث الثالث

طبيعة المناخ

المبحث الرابع

مشاهير قضى عليهم الوباء

المبحث الأول

كيف نتعامل مع وباء كورونا

يجب أن نتعامل مع الوباء من خلال مصدري التشريع القرآن الكريم والسنة النبوية، وقبول الرضا والتسليم بما يقتض الأمر من قضائه الله وقدره، وعلى الناس الاستغفار والتوبة بما ارتكبه من معاصي أولاً، والأخذ بكل وسائل الوقاية والعلاج ثانياً. ونصبر على حكمه وتجنب أماكن العدوى ومساعدة المرضى وتأمين مستلزمات شفاؤهم من خلال اتباع الإرشادات الصحية بما تقتضيه مصلحة الدولة والمجتمع ثالثاً، وعدم الاستخفاف بالأوبئة والأمراض، لأنها تترك آثار سلبية على المجتمع عموماً والدولة خصوصاً. وبذل الجهد العلمي والعملية لإيجاد حلول ناجعة للسيطرة ومن ثم القضاء على الوباء، عند توفر العلاج السليم المحافظ على النفس المحترمة، وعدم إلحاق اضرار مستقبلية بها.

ولغرض الحد من هذا الوباء ونقصد كورونا أو (كوفيد-١٩) المستجد يتطلب الأمر ضرورة اتخاذ ما يأتي:

من بدت أو ظهرت عليه أعراض عدة كـ: السعال والبلغم، وإزراق الجسم لقلة الأوكسجين والشعور بالآلام الصدر عما كان طبيعياً^(١)، فالتحصين عن طريق تقوية جهاز المناعة وزيادة كفاءة التنفس للجميع سواء أكانوا مصابين أم غير ذلك، عليهم إجراء تمارين التنفس، لأن فيروس كورونا (كوفيد-١٩) المستجد يبدأ أسفل الرئة، ويرى ذلك عند إجراء فحص

(١) أبو زينة، سامح، موسوعة الأمراض الشائعة، (دار أسامة، عمان/الأردن، ٢٠٠٠م)،

المفراس تظهر تليفات في أطراف الرئة^(١). وبالتالي ازدياد خراج الرئة بسبب التجمع الصديدي المتقيح نتيجة هذه الالتهابات، فضلاً عن ضعف المناعة^(٢) التي قد تسبب ارتفاع درجة حرارة الجسم وعدم الشهية، وخروج بصاق كريه الرائحة^(٣)، فعليه استخدام وسائل العلاج والوقاية منه.

وسائل الوقاية:

ومن أهم وسائل الوقاية هي:

١. الاهتمام بالنظافة، لاسيما غسل اليدين والملابس والبدن، وعند تناول الطعام والشراب على أن تكون هذه الأطعمة ليس فيها فساد صحي أي منتهية الصلاحية أو مخزونة بطريقة خاطئة، فضلاً عن ذلك ضرورة نظافة المنزل وتهويته والسماح بدخول الشمس والتعرض لها، وكل ما له علاقة في إنعاش حياة الفرد والمجتمع صحياً. وزيادة عما تقدم يجب الاستعانة بالماء والصابون عند ملامسة المريض أو الاقتراب منه، لاسيما بعد المغادرة واستخدام الوسائل الحديثة ك: الكمادات والمواد المعقمة التي تساعد على قتل الفيروسات والجراثيم وغيرها.

٢. اتخاذ الاجراءات المناسبة لمنع انتقال العدوى من المرضى إلى الأصحاء، ومنها حجر المريض صحياً، وعزل كل ما يستخدمه من أدوات وأطعمة، وضرورة الابتعاد عن أي مدينة فيها وباء أو الخروج منها إلى

(١) alzewraapaper، الدكتور حامد اللامي .. الشخصية المثيرة للجدل، جريدة الزوراء،

(أغسطس ١٦، ٢٠٢٠م، ٣٦:٧م، العدد ٢٤٩٦). <https://alzewraapaper.com>

(٢) أحمد، عبد المنعم محمد، أمراض الجهاز التنفسي، (هيئة المؤسسة الجامعية،

الاسكندرية، (د. ت)، ١٣٤.

(٣) نفس المصدر، ١٣٢.

مدينة أخرى غير منتشر فيها مثل هذا الوباء، وبعكسه ستصاب الناس بسبب هذا الانتقال.

٣. هناك الكثير من الحشرات والحيوانات المسببة للأمراض التي تسهم في نقل العدوى، وعلى الفرد والمجتمع والدولة مكافحتها ومن هذه الحشرات على سبيل المثال: البراغيث والقمل والذباب بأنواعه، والحيوانات كالفئران والبق، فضلاً عن إبعاد الحيوانات ك: الكلاب إلا لأغراض الحراسة على أن تكون خارج المنزل وبعيدة عن طعام وشراب أهل الدار، وإبعاد الكلاب المريضة التي قد تؤذي الناس، فيجب التخلص منها من خلال الدولة ومؤسساتها الصحية البيطرية.

٤. الاهتمام بالأطعمة وضرورة الاستفادة من الحيوانات بعد إخضاعها للفحوصات الطبية البيطرية، وتشجيع المنتجات والمحاصيل المحلية من النباتات والخضراوات، وكل ما له من قيمة غذائية مع النظر إلى عدم تناولها لحد التخمة لأنها أحد أسباب الأمراض، إذ أن المعدة بحاجة للراحة الضرورية، لقول الطبرسي بما نصه: " وجمع نبينا صلى الله عليه وآله وسلم الطب في قوله: المعدة بيت الداء، والحمية رأس كل دواء، واعط كل بدن ما عودته "(١). ويمكن الاستفادة بما أمرنا الله تعالى به، ورسوله الكريم (ﷺ) من خلال الصوم لقوله (ﷺ): " صوموا تصحوا "(٢).

٥. ضرورة الاهتمام ومراعاة الحياة الجنسية للرجل والمرأة لما له من دور في حفظ الصحة البدنية والاستحمام من الجنابة على وفق ما أمرنا الله

(١) أبو علي الفضل بن الحسن (ت: ٥٤٨هـ / ١١٥٤م)، تفسير مجمع البيان، حققه وعلق عليه: لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين، وقدم له السيد: محسن الأمين العاملي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٤١٥هـ / ١٩٩٥م)، ٤/٢٤٥.

(٢) النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ٧/١٢٦.

تعالى به واستخدام كل ما ينفع الإنسان عند قضاء الحاجة، فضلاً عن ترك المعاصي ك: الزنا واللواط والسحاق والحشيشة وغيرها من الأمور المخالفة للشريعة الإسلامية والإنسانية على حدٍ سواء بغض النظر عما يمارسه الغير خارج شريعة الإسلام.

٦. الاهتمام بالحالة النفسية للفرد والمجتمع من خلال التثقيف على تجاوز أنواع التوتر بين الناس لأسباب بسيطة وتعاون الدولة معهم، بغية عدم الوقوع باليأس في متطلبات حياتهم وتجاوز الأزمات في الحياة العامة والخاصة بوجه عام، وما حصل من فقدان للموارد الاقتصادية من خلال تعطيل العمل وغلق المطاعم والمقاهي وغيرها، وعند النظر إلى قلة المتطلبات الصحية لمواجهة وباء كورونا (كوفيد-١٩) المستجد نرى تعرض الناس إلى حالات نفسية سببت لهم آلام عدة قد تدوم نفسياً لفترة طويلة لفقدان هذه الموارد.

لقد اهتم العرب قديماً بالطب النفسي للمريض إلا أن هناك قسم من الأمراض ناشئة من الوهم، وأخرى من مرض عضوي، فضلاً عن أهمية سماع الموسيقى للمريض في بعض الأحيان^(١)، إذ قد يشعر المصاب من خلالها بالسعادة والارتياح النفسي، وبالتالي الشفاء من المرض^(٢).

(١) يوجد خلاف فقهي بين العلماء بخصوص سماع الموسيقى. يُنظر: السلامة، فهد بن أحمد،

المعازف بين التحريم والإباحة، ١٧ رجب ١٤٣١هـ،
<https://almoslim.net/node/130312> تاريخ الدخول في الموقع:

٢٠٢٠/٣/٣١ م.

(٢) العمري، عبد الله، تاريخ العلم عند العرب، ١٠٦.

٧.تهيئه وسائل رياضية تنفع جميع الاعمار، لأنها تساعد على تقويه المناعة في الجسم، وبالتالي تصبح مقاومة الأوبئة، ومنها المُعدية والغير المُعدية جيدة، وبالتالي يتحصن المجتمع من عواقب الوباء.

٨.الاهتمام بالأسرة ورعايتها صحياً من جراء المعاينة وخلال مدة محدودة يتفق عليها، ومساعدة المرآه الحامل قبل و بعد الولادة لما لها من ظروف قد تعاني منها، لاسيما عندما تصاب بالوباء أو بسبب ما تنتجه حالة الولادة نفسها التي تسمى (اكتئاب ما بعد الولادة).

٩. هناك من يقوم بأعمال وإرشادات موافقة لصحة الإنسان، وقسم منها مخالفة وغير مقبولة؛ بسبب الاجتهادات، الأمر الذي قد يتعرض المصاب إلى الوفاة بسبب تدهور حالته الصحية، أو بسبب العلاجات الخاطئة، إذ يتحمل المعالج والمداوي بغير علم النتائج التي تقع على المريض كونه ضامن -كما أسلفنا- أي يتحمل ما قام به من عمل جنائي.

١٠.الاهتمام بما جاء به القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة من أحكام إسلامية تربط بين هذه العقيدة وتعليمات الجهات الصحية للحفاظ على المجتمع من انتشار الأوبئة أو الأمراض، لأن الإهمال قد يسبب قتل النفس المحترمة وهنا نقول لابد للمرء أن يستفد مما تعلمه في حياته اليومية.

١١.كانت هناك براستيمانات (أي مستشفيات) متنقلة تُرسل عند وقوع الأوبئة، وتحمل معها علاجات وغيرها على الجمال أو البغال، لاسيما في المناطق الجبلية ويرافقهم الأطباء لمعالجة المرضى المصابين بالوباء، على حين أن التطور الحديث قادر على الوصول إلى أي منطقة مصابة بالعالم وبسرعة لمواجهة الوباء والحد من انتشاره^(١).

(١) العمري، عبد الله، تاريخ العلم عند العرب، ١٠٢.

١٢. تُعد الهواتف النقالة، وسيلة فعالة مرادفة للتطور في العالم، وهناك عوامل وبرامج كـ: الإباحية على سبيل المثال، التي قد تنشأ من خلالها أمراض قادرة على إحداث مشاكل صحية لا تحمد عقباها ك: التوحد والعزلة وعدم ممارسة أي نشاط بسبب الجلوس ساعات طويلة لمتابعة البرامجيات الموجودة فيها. ويمكن القول إن أحد أسباب وجود الأوبئة والأمراض وانتشارها هو التطور العلمي التكنولوجي والبيولوجي في مجالات عدة.

١٣. الحد من انتشار الأمراض النفسية والجريمة المنظمة والانحراف والشذوذ الأخلاقي لكلا الجنسين وإيقاف التشجيع في استهلاك الخمر والمخدرات، لأنها باتت تهدد حياة مئات الملايين من سكان الكرة الأرضية، فضلاً عن الرغبة في تحقيق أقصى قدر من النهب والسلب لأموال الدول الفقيرة والصغيرة، وبالتالي عدم التورع عن استعمال أقصى قدر من العنف، وكما نرى في عالم اليوم تزايد قوة الأسلحة الفتاكة، الأمر الذي يجعلها في النهاية قابلة للانفجار سواء أكان من داخلها أم بالتصادم مع بعضها البعض، وإذا كانت الحرب العالمية الثانية سنة (١٣٦٥هـ/١٩٤٥م) التي نشأت بسبب التنافس على الأرباح بين دول كلها تنتمي إلى الحضارة الغربية قد أدت إلى قتل (٦٢) مليون إنسان معظمهم من الأوروبيين، فما هو المتوقع من هذا التطور البيولوجي في إمكانية إلحاق الضرر بالمجتمعات عموماً، بسبب التنافس الاقتصادي واستحواذ الأموال غير المبررة^(١).

(١) الصنقري، نصر بن محمد، الإسلام والغرب شقاق أم وفاق، ((د. ط)، (د. م)، (د. ت))،

وعلى ضوء ما تقدم فقد ذكرت إحدى المواقع (١) أن بعض الأمراض الأخرى، ومنها مرض السل الرئوي تتشارك في أعراض ملتبسة مع أمراض وأوبئة أخرى، لذا يصعب تشخيص الأخير بناءً على الأعراض فقط، والفيصل في التشخيص هو اكتشاف وجود البكتيريا المسببة للمرض الذي يكون عن طريق فحص مباشر له عن طريق البلغم ونحو ذلك، بجانب الاستعانة في عصرنا الحاضر بتقنية الأشعة السينية لمعرفة مدى تأثيرها في المريض.

كما توجد طريقة تشخيص حديثة يستعان بها تعرف باسم: جينكسبيرت، والمشكلة التي تواجه طرق الفحص التقليدية هي عدم دقتها فيما تتميز الوسائل الحديثة بالدقة المطلوبة ولكنها باهظة التكاليف.

غير أن ثمة مفاهيم حول هذا الوباء ونقص كورونا، إذ ينبغي إزالة اللبس عنها. وهذا هو ما عمدت إليه صحيفة -لوبيزيا- الفرنسية موضحة خمس شبهات حول الالتهابات الناتجة.

ومن خلال ما تقدم فإن الطبيب ابن سينا يرى ضرورة التركيز على ما هو خطر وغير خطر، مثل انبعاث الدم من الرئة ومن الأنف، فإن انبعاث الدم من الرئة خطر ومن الأنف غير خطر وكلاهما قد ينبعث عنهما دم كثير.

ومثل انبعاث الدم عن المثانة والرحم والكلية، فإنها لا ينبعث عنها دم كثير جداً جملة؛ بل ربما يكثر بطول المدة فيؤدي إلى عاقبة غير محمودة، ويختلف حال النزف من الشرايين فيكون في بعضها صعباً جداً خطراً مثل الشرايين الكبار على اليد والرجل، فإن أمثال ذلك يقتل في الأكثر فلا تحتبس، وفي بعضها سهلاً مثل شريان القحف، فإن حبس نزفها سهل

(١) <https://www.alkhaleej.ae> ؛ <http://ar.jamekurdi.com>

ويكفي فيه الشد وحده، وكثيراً ما يسيل من الشرايين الصغار دم ثم يحتبس من تلقاء نفسه وقد تعرف الفرق بين دم الشريان وغيره أن دم الشريان يخرج نزواً ضربانياً أرق وأشدَّ أرجوانية من غيره ليس إلى سواد دم الوريد وقتمته (١).

ومن المفيد معرفة الفرد بإصابته بوباء كورونا من عدمه، إذ نشرت الكثير من مواقع التواصل الاجتماعي عن كيفية التعرف أن الفرد مصاب بفيروس كورونا (كوفيد-١٩) المستجد من عدمه، من خلال أعراض أهمها (٢):

١ . حكة في الحلق.

٢ . جفاف الحلق.

٣ . السعال الجاف.

٤ . درجة حرارة عالية.

٥ . ضيق التنفس.

٦ . فقدان حاسة الشم.

وقيل يمكن استخدام الليمون مع ماء دافئ قد يقضي على الفيروس في أوله قبل الوصول إلى الرئتين بإذن الله تعالى.

ومن اللافت جداً أن العلاج لا يكون من دون استشارة طبيب مختص، كي يضمن حياته، وهناك رأي لأحد الباحثين قائلاً: " فأقسام المسؤولية

(١) ابن سينا، القانون في الطب، ٢١٩/٣.

(٢) <https://m.facebook.com/٥٠٧٦٨٣٦٢٢٧٤٩٩٨٥/photos/>؛

<https://twitter.com/alshammaryfahd1/status/>

الطبية هي: المسؤولية الطبية السلوكية والأخلاقية ... المسؤولية الطبية المهنية^(١).

خلاصة القول إن العلاج يمكن توفيره الظروف الطبيعية القادرة على أن تخلق المضادات للأوبئة، وبخلافها قد تفقد الناس قسم من أهلها، الأمر الذي يتطلب العمل على تشخيص الوباء لمعرفة الدواء، لاسيما إذا التبس على الناس والأطباء، وهذا وارد في كثير من الأحيان، وإذا تمكنوا من ذلك فهو خير، بغية الوقوف على أسبابه وما يخلفه من أضرار، فضلاً عن معالجته من دون خسائر بشرية أولاً وأخيراً.

(١) فتح الله، وسيم، الخطأ الطبي مفهومه وآثاره، ((د. ط)، (د. م)، (د. ت))، ٤.

المبحث الثاني الحماية من الفيروسات والأوبئة المصنعة

ذكر برناردشو في كتابه المعنون: حيرة الطبيب Doctors Dilemma قائلاً: عندما ابتدأت بريطانيا في استعمار ودخول دول العالم الإسلامي والبلدان التي يقطنها المسلمون، عملت على إجبار قسم من سكان جزر السندويتش على سبيل المثال ترك دين الإسلام، وعندما نجحت في ذلك حتى ابتدأت الأوبئة الفتاكة تظهر بينهم، وتقضي عليهم، بسبب تركهم لتعاليم النظافة في هذا الدين الحنيف^(١).

وذكر أحد الباحثين أن أوروبا أصابها وباء بسبب ما تمارسه من أعمال قد لا تتفق مع ما أراد الله تبارك وتعالى للبشرية جميعاً قائلاً بما نصه: " يؤكد العديد من علماء الغرب أنفسهم أن انتشار مرض الطاعون والذي حصد أكثر من عشرين مليون إنسان خلال أسابيع قليلة، يؤكدون أن هذا المرض إنما هو عقاب من الله، بسبب فساد الأخلاق وتفشي الفواحش، ونؤكد عزيزي القارئ أن هذا كلامهم أنفسهم"^(٢).

ونقلا عن أحد الباحثين أيضاً^(٣) مقالة بعنوان: هل تشهد الإنسانية نهاية حرب الذرة وبداية حرب الجراثيم، جاء فيها: " لقد ظهر في الأفق سلاح جديد أشد خطراً، وأكثر قسوة من الأسلحة النووية، وهو سلاح الجراثيم،

(١) الحمدان، سعيد بن صالح بن حسين، الطب الوقائي في الإسلام .. من صحة الأرواح إلى صحة الأجساد والبيئة، ((د. ط)، الدمام، (د. ت))، ١٠.

(٢) القماش، عبد الرحمن بن محمد، جامع لطائف التفسير العاجز الفقير، ((د. ط)، (د. م)، (د. ت))، ٣١٠/٧.

(٣) جريدة الأهرام المصرية، القاهرة، العدد ٢١، ٢ شباط ١٩٦٩م.

ونشر الأوبئة، وأن من آثار هذا السلاح أنه إذا مسّ الإنسان ذرة منه تقلصت عضلاته، وبرزت عيناه، ومات في الحال، وأن لدى أمريكا وبريطانيا معامل ومصانع تنتج هذا السلاح، وتعدانه إلى وقت الحاجة، فإذا ما اتفقت الدول على حظر انتشار الأسلحة النووية بسبب الضغط العالمي استعملت الدولتان أوبئة الفناء والدمار كبديل عن القنابل الذرية والهيدروجينية" (١). وهنا يؤكد أيضاً في قوله: هل يجتمع الإيمان بـ: الله مع النية والعزم على استعمال هذا السلاح، وهل صلاة الذين يؤازرون أصحاب هذه النية والعزم تجديهم نفعاً عند الله، والجواب كلا طبعاً (٢).

فعلى الإنسان أن يحترم أخيه الإنسان، فلا يظلمه أو يذله في الدنيا لأن الله تعالى خلق الناس جميعاً، وعلى الدول العظمى والكبيرة اقتصادياً أن تراعي الإنسان في مشارق الأرض ومغاربها. قال الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) للحكام عموماً بما نصه :

"وأشعر قلبك الرحمة بالرعية والمحبة لهم واللفظ بهم، ولا تكوننّ عليهم سبعاً ضارياً، يغتنم أكلهم، فإنهم صنفان:

إمّا أخ لك في الدين، وإمّا نظير لك في الخلق، يفرط منهم الزلل، وتعرض لهم العلل، ويؤتى على أيديهم في العمد والخطأ، فأعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحبّ أن يعطيك الله من عفوه وصفحه، فإنك فوقهم ووالي الأمر عليك فوقك، والله فوق من ولاك، وقد استكفأك أمرهم وابتلاك بهم.

(١) مغنية، محمد جواد، التفسير الكاشف، (دار العلم للملايين، ط ٣، بيروت، ١٩٨١م)،

٤٤٥/٤.

(٢) نفس المرجع، ٤٤٥/٤.

ولا تتصبّن نفسك لحرب الله، فإنه لا يدلك بنقمته، ولا غنى بك عن عفوهِ
ورحمته، ولا تندمّن على عفو، ولا تبجحنّ بعقوبة، ولا تسرعنّ إلى بادرة
وجدت عنها مندوحة، ولا تقولنّ إنّي مؤمّر أمر فأطاع^(١).
هذه الرسالة أكدت باختصار على أحقية واحترام حقوق الإنسان، وعدم
إلحاق الضرر به لمصالح دنيوية متناسين أن الله تعالى قادر على من
يشاء.

وهنا لابد من الإشارة إلى أن إحدى البحوثات^(٢) كشفت سبل حماية
النفس البشرية من الفيروسات المصنعة أو أي تدخل خارجي قد يؤثر على
القدرات العقلية ومجالها الحيوي من خلال تفعيل مراكز الطاقة في الجسم،
والاستفادة مما جاء به القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، إذ قالت:
المخ في الإنسان يصدر ذبذبات وهي عبارة عن (٥) مستويات من
الذبذبات أولها وأعلىها غاما (Γ) حين يكون المخ في نشاط عقلي مثل
مرحلة الخشوع في الصلاة وقراءة القرآن، وأن كل هذه النشاطات تدخل في
مجال هذه الذبذبات، وأي تأثير سلبي يدخل في هذا المجال أيضاً.
وذبذبات غاما (Γ) حين يكون المخ في نشاط عقلي يكون مجالها
الكهربائي حوالي (٤٠) هرتز وتليها ذبذبات بيتا (β) التي تتراوح ما بين

(١) ابن حمدون، محمد بن الحسن بن محمد بن علي بن حمدون (ت: ٥٦٢هـ/١١٦٦م)،
التذكرة الحمدونية، تحقيق: احسان عباس و بكر عباس، (دار صادر، بيروت، ١٩٩٦م)،
٣١٧/١.

(٢) محاضرة منشورة: حكيمة، شكروبة — الجزائر — ميديا نيوز، وفيها كلمة للدكتورة مايا
صبحي في علوم وخفايا الطاقة.

<https://www.mncdaily.com/%D9%81%D9%80%D9%8A> تاريخ الدخول في
الموقع: ٢٩/٧/٢٠٢٠م.

١٣ إلى ٣٠ هرتز تعمل في حالة التركيز وإيجاد الحلول، لكنه كلما زادت الذبذبات كلما وقع إجهاد في المخ.

وتطرقت الباحثة بشرح مفصل عن أهمية العلاج بالصوت وعلاقته بقراءة القرآن الكريم، وتقويم ما تم من خلل في جسم الإنسان، فالقرآن قادر على شفاء المريض من أمراض مستعصية، وهناك تجربة على الخلية الدماغية بالصوت اجريت لها وأن الخلية أكثر صوت تتفاعل معه هو صوت الإنسان نفسه أي ترددات صوته، وأن الخلايا السرطانية يمكن تدميرها بصوت الشخص الذي يثق في شفائه عن طريق طاقة إيجابية مثل الأدعية، وقراءة القرآن الكريم، لأنها ترى أن السرطان عبارة عن خلايا مختلة فتعالج التقطيب الداخلي، لقوله تعالى: ﴿ وَنُنزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ (١).

واكتشف العلم الحديث أن الضوء ينشط مسارات الطاقة التي تؤثر على الشياطين والأطياف النارية التي تسمى: محبس الدم الثلاثي الذي يؤثر على مسارات الدم، وإن النبي (ﷺ) قال: "إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم" (٢)، فالوضوء يعمل على تنشيط المسارات، ويحمي الجسم من الجن والشياطين ذات الاطياف النارية، فضلاً عما يسهم في مزج السوائل بالجسم (٣).

كما قدّم أحد الباحثين نظرية جديدة عن فوائد علم الراديسستيزيا Radiesthesia (وهو علم الإحساس بالطاقة أو علم الموجة الذاتية) في

(١) سورة الإسراء، الآية: ٨٢.

(٢) الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ١٠/٢٢٢.

(٣) القرشي، محمد بن أبي الخطاب (ت: ١٧٠هـ/٧٨٦م)، جمهرة أشعار العرب، (دار صادر، بيروت، (د. ت.))، ٢٤١.

فهم بعض أسرار الوضوء والصلاة، إذ قال: إن الطاقة الذبذبية تتجمع وتختزن في مناطق دهون الإنسان؛ لأن الدهون عازلة تعزل ما في داخل جسم الإنسان من رنين، وتتجمع فوقها أيضا الطاقة الذبذبية التي علقَت بجسم الإنسان خلال الحياة اليومية. وعند غسل مناطق الوضوء وهي تلك الأجزاء الظاهرة من جسم الإنسان التي تتعرض للطاقة الذبذبية الصادرة عن الآخرين والأشياء، فإن هذه الذبذبة تسقط مع ماء الوضوء، وهذا هو أحد أسرار الوضوء في تأهيل الإنسان للتركيز في الصلاة، إذ أن الوضوء يعيد توازن طاقة جسم الإنسان ويصلح خللها (١).

ومن اللافت أن الرجال أضعف مناعة من النساء، وأكثر إصابة بعدوى الأوبئة والأمراض المعدية وغير المعدية، مما يجعلهم أقل عدداً منهن، ويعزو قسم من علماء الحياة ذلك إلى ما تتميز به المرأة على الرجل بدنياً، وإلى أن الأمراض كلها تقريباً تهلك من الرجال أكثر مما تهلك من النساء (٢).

سبل مواجهة الأوبئة:

لابد من أخذ العبر من القرآن الكريم بضرورة إدارة الأزمات كـ: أسلوب لمواجهة المستقبل عند ضعف الموارد، والتكيف مع المتغيرات جميعها ممن لم تكن بالحسبان توقعها، وأشار الله تبارك وتعالى من خلال رؤية النبي يوسف (عليه السلام) عندما أشار الملك برؤياه، إذ وقعت فيما بعد مجاعة في بلاد مصر امتدت سنوات عدة بعد أن طرح النبي يوسف (عليه السلام) حلولاً عملية

(١) هو: الدكتور إبراهيم كريم. يُنظر:

<https://www.facebook.com/OsamaParapsychology/posts/1890110134345013>

٣٤٣٤٥٠١٣

(٢) الصدر، السيد محمد مهدي، أخلاق أهل البيت (عليهم السلام)، (دار الكتاب الإسلامي، (د. م.))،

٢٩٣، (١٣٩٠هـ).

قادرة على المواجهة والحد منها قدر الإمكان، لقوله تعالى: ﴿ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأْبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ ﴾ (١).

فالحلول المطلوبة عند الأزمات وعلى الدولة وضع برامج صحية تؤمن أي طارئ يحل كوباء أو جائحة على المجتمع عموماً، وعلى سبيل المثال فعندما حلت المجاعة في عهد الناصر لدين الله سنة (ت: ٣٥٠هـ/٩٦١م)، إذ أنه خلف أموال طائلة، قال المقري :

" قال ابن خلدون: خلف الناصر في بيوت الأموال خمسة آلاف ألف ألف ثلاث مرات، انتهى. وقال غير واحد: إنه كان يقسم الجباية أثلاثاً: ثلث للجند، وثلث للبناء، وثلث مدّخر، وكانت جباية الأندلس يومئذ من الكور والقرى خمسة آلاف ألف وأربعمائة ألف وثمانين ألف دينار، ومن السوق والمستخلص سبعمائة ألف وخمسة وستين ألف دينار، وأمّا أخماس الغنائم العظيمة فلا يحصيها ديوان" (٢).

فضلاً عن مساعدة المحتاجين في تلك الأزمة بتفعيل مبدأ التكافل الاجتماعي، والعمل على جمع وتوزيع الأدوية والأطعمة، وإيصال الصدقات لأهل الفاقة والتهياً والحيطة على توقع هذه الاحتمالات المفاجئة.

وهذا ما نعيشه اليوم بسبب وباء كورونا (كوفيد-١٩)، إذ يتطلب الأمر عدم التوقف في مناحي الحياة، لاسيما في البناء للنهوض بواقع الأمة والعالم أجمع، ومساعدة أي فرد من أفراد المجتمع من ذوي الفاقة والحاجة من خلال سياسة أخلاقية وإنسانية واقتصادية ناجحة تتجاوز كل العقبات

(١) سورة يوسف: الآية: ٤٧.

(٢) المقري، أحمد بن محمد المقري (ت: ١٠٤١هـ/١٦٣١م)، نفح الطيب من غصن الأندلس

الرطيب، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، (دار الكتاب العربي، بيروت،

١٣٦٧هـ/١٩٤٩م)، ٣٧٩/١.

كما مرّ ذكر ذلك سابقاً، وتلك الأيام يداولها الله تبارك وتعالى بين الناس،
وما علينا جميعاً ومن دون استثناء إلا أن نأخذ العِظة والعِبرة منها دولةً
وأفراد، وإلا فلا.

المبحث الثالث طبيعة المناخ

سنحاول إيصال معلومات عن أثر المناخ في تكاثر الأوبئة، ومنها التي عاصرتها المجتمعات في سابق عهدها، والملتبسة عليهم قسم من أعراضها سابقاً ولاحقاً وإلى يومنا هذا.

من البديهي أن المناخ يلعب دوراً مهماً سواء أكان في ارتفاع درجات الحرارة في أم في انخفاض درجات البرودة أم الجفاف أم الرطوبة وهذه جميعاً تسهم بشكل كبير في انتشار الأوبئة إذا لم تتوفر الوسائل الكافية لتأمين الحماية للبشر أولاً، والدواب ثانياً، والنباتات في بعض الأحيان ثالثاً. قال أحد الباحثين أن البلدان الحارة تُعد من أغلب المناطق التي قد تكثر فيها الجراثيم، فضلاً عن توالد الحشرات وتكاثرها، وهي في حد ذاتها تكون سبباً في نقل العدوى، لاسيما من الحيوان إلى الإنسان، وبالتالي انتشار الأوبئة بين الناس^(١).

ومن الأسباب أيضاً إصابة الإنسان من قسم من الأوبئة والأمراض التي تنتشر في كثير من الأحيان هو الانقلابات الفصلية التي تحدث تغييرات شديدة في الحرارة والرطوبة، لاسيما بين الشتاء والصيف^(٢).

(١) يُنظر: صادر، حبيب، الأمراض المعدية في الأقطار العربية، (مطبعة صادر، بيروت، د. ت)، ٧٨.

(٢) يُنظر: المقدسي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر الداودي التميمي (ت: ٣٨٠هـ/٩٩٠م)، مادة البقاء في إصلاح فساد الهواء والتحرز من ضرر الوباء، تح: يحيى شعار، (معهد المخطوطات العربية، القاهرة، ١٩٩٩م)، ٥١-٥٢.

ومن المفيد أيضاً وعلى الرغم مما تقدم فإن المرضى الذين يعانون كثيراً من الأمراض الصدرية قد تسبب لهم أعراض متعددة قد تؤدي بحياتهم مما يتطلب عليهم الإقامة بأماكن دافئة وجافة في فصل الشتاء^(١)، فضلاً عن ذلك فإن المدن الضيقة المرتفعة قد تكثر فيها الأوبئة لعدم تجدد الهواء، فتصبح عرضة لانتشار الأمراض من دون غيرها^(٢).

ويؤيد ذلك أحد الحكماء في قوله: "إذا دخلت مدينة، فرأيتها ضيقة الأزقة مرتفعة البناء، فاهرب منها لأنها وبيئة، لأن البخار لا ينحل منها كما ينبغي لضيق الأزقة وارتفاع البناء"^(٣).

لذلك فإن أهل هذه المدن يؤثرون على أي شخص قادم من مدينة إلى أخرى بسبب تخالط الهواء وعفونته، فتختلط أنفاسهم فيتنفسه الأصحاء، الأمر الذي يؤدي إلى إصابتهم بنفس الأمراض التي كانوا يعانون منها ولم يعودوا على ما كانوا أصحاء، إذ تسقط أبدانهم للسبب أعلاه^(٤).

قال ابن خلدون أن "الموتان يكون في المدن الموفورة العمران أكثر من غيرها كمصر بالمشرق"^(٥).

وقال أيضاً: "الناس في المدن لكثرة الازدحام والعمران يتشاحون حتى في الفضاء والهواء الأعلى والأسفل ومن الانتفاع بظاهر البناء مما يتوقع معه حصول الضرر في الحيطان فيمنع جاره من ذلك إلا ما كان له فيه

(١) يُنظر: الفنجري، الطب الوقائي في الإسلام، ٢٧.

(٢) يُنظر: المقرئزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقرئزية، ١٦٥/٢.

(٣) نفس المصدر، ٢٤٧/١.

(٤) يُنظر: رضوان، ورقة ١٠؛ حسين، الموجز في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب، ٤٣.

(٥) تاريخ ابن خلدون، والمسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ٣٧٧/١.

حق ويختلفون أيضاً في استحقاق الطرق والمنافذ للمياه الجارية والفضلات المسربة في القنوات^(١).

ويبقى الماء والهواء النقي من مصادر الحياة البشرية جميعاً على الرغم مما تعانيه في خضم هذا التطور الصناعي والزراعي والتكنولوجي.

وفي دراسة ظهرت عام ٢٠١٩م مفادها أن ١٢% من سكان العالم تقريباً يشربون مياهاً غير صالحة للشرب أي من مصادر غير محدثة وغير آمنة. كما يعيش أكثر من ٣٠% من سكان العالم، أو ٢،٤ مليار نسمة، من دون أي شكل من أشكال الصرف الصحي التي تعد من الأهمية في حياة الإنسان والبيئة على حدٍ سواء^(٢).

خلاصة ما تقدم أن فيروس كورونا المستجد والمناخ الذ نعيش فيه شكلاً أزمتان تغطي الواحدة على الأخرى، وأن تأثير تغيير المناخ بسبب أنشطة بشرية عالمياً سيؤثر سلباً على النظم التي تحافظ على ديمومة الحياة في هذا العالم سواء من أعلى قمم الجبال أم إلى أغوار المحيطات، وهذا بطبيعته سيؤدي إلى التعجيل في ارتفاع مستوى سطح البحر بوجه عام، وهذا بحد ذاته قد يترتب عليه آثار على أغلب النظم الإيكولوجية (الفيزيائية والبيولوجية)، فضلاً عن الأمن البشري والصحي.

وعلى ما يبدو فإن فيروس كورونا وطبيعة تغير المناخ تعدان أزمة خطيرة جداً يعاني منها العالم أجمع، على الرغم من وجود فرق جوهري بينهما، لأن الوباء مؤقت ولا بد أن يختفي، على حين تغير المناخ مستمر وموجود منذ الأزل، أو لعقود أو لقرون قابلة يعلمها الله تعالى.

(١) ابن خلدون، نفس المصدر، ٤٠٨/١.

(٢) يُنظر: <https://www.swissinfo.ch/ara/> تاريخ الدخول في الموقع:

٢٢/٦/٢٠٢٠م.

وعليه يتطلب منا جميعاً ضرورة العمل بمعالجة الأزمات الصحية
والمناخية لما تخلفان من آثار سواء أكانت اجتماعية أم اقتصادية أم سياسية
وغيرها، بغية العيش على كوكب الأرض بسلام وأمان من دون أن ننسى
أن الوقت لسباق وقف تغيرات المناخ فيها من التعقيد، وقد تتغير لأسباب
عدة، وقد يضيق فيلحق الضرر بالناس على وجه العموم.

المبحث الرابع مشاهير قضى عليهم الوباء

يُعد فقدان نخبة كبيرة من العلماء والفقهاء والأطباء ومن ذوي اللياقات البدنية الجيدة، خسارة بشرية كبيرة بسبب هذه الأوبئة، فتصبح الأمور معقدة كثيراً، وهذا ليس من السهل معالجته في نفسية الإنسان، وقد لمسنا ذلك عند فقدان الكثير من هؤلاء، فضلاً عن الوجهاء أو الشخصيات الاجتماعية وغيرهم، بسبب وباء كورونا، فيتترك آثاره السلبية على المجتمع جميعاً مما يصعب إقناعهم باستخدام العلاجات المتاحة بادئ الأمر، وهذا ما وقع (١).
أما فيما مضى فتعود أشهر مأساة حلت قديماً وقضت بسبب الوباء على الشاعر العربي أبي ذؤيب الهذلي، خويلد بن خالد (ت: ٢٧هـ/٦٤٨م) (٢).

(١) أعلن عن وفاة أكثر من (١٣) طبيب عراقي بوباء كورونا اللعين عدا الكوادر الأخرى، فضلاً عن الكثير من المشهورين، ومنهم: الكابتن أحمد راضي لاعب عراقي دولي، وناظم شاكر كابتن رياضي عراقي. والمدرّب الرياضي: علي هادي، ومن مصر، الفنانة: رجاء الجداوي، وغيرهم كثير رحمهم الله تعالى.

<https://www.alhurra.com/iraq/٢٠٢٠/٠٦/٢٨/%D٨%A٧%D٩%٨٤%D>

تاريخ الدخول في الموقع: ١٣/٨/٢٠٢٠م.

(٢) توفى في خلافة عثمان بن عفان (رضي الله عنه)، بطريق مكة، فدفنه ابن الزبير. وقيل: إنه مات بمصر منصرفاً من غزوة إفريقية، وكان غزاهما مع عبد الله بن الزبير ومدحه، فلما عاد ابن الزبير من إفريقية عاد معه، فمات، فدفنه ابن الزبير. وقيل: إنه مات غازياً بأرض الروم، ودفن هناك. وكان الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ندبته إلى الجهاد، فلم يزل مجاهداً حتى مات بأرض الروم. عاش في عصر ما قبل الإسلام دهرًا، وأدرك الإسلام فأسلم، ولم يلتقي بالرسول (ﷺ)، إذ كان يسمع عنه ويقول فيه شعراً مادحاً. يُنظر: ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ١٨٨/٥.

قال ابن حجر بما نصه: " مات هو وأربعة إخوة له بالطاعون في زمن عمر" (١)، إذ تسبب الطاعون بموت الشاعر الجاهلي بعد أن أدرك الإسلام واعتنقه، قال الراوندي توفى خلال خلافة الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) (ت: ٣٥هـ/٦٥٥م) (٢)، بعد أن قتل الطاعون خمسة من أولاده خلال سنة واحدة، ورتاهم بقصيدة مشهورة (٣)، تبدأ بـ:

أَمِنَ الْمُنُونِ وَرَيْبِهَا تَتَوَجَّعُ * وَالذَّهْرُ لَيْسَ بِمُعْتَبٍ مَنْ يَجْرَعُ
قَالَتْ أُمَيْمَةٌ: مَا لِجِسْمِكَ شَاحِبًا * مُنْذُ ابْتَدَلْتُ وَمِثْلُ مَا لِكَ يَنْفَعُ
أَمْ مَا لِجِسْمِكَ لَا يُلَائِمُ مَضْجَعًا * إِلَّا أَقْضَى عَلَيْكَ ذَاكَ الْمَضْجَعُ
أُودَى بَنِي فَأَعْقَبُونِي حَسْرَةً * بَعْدَ الرُّقَادِ وَعَبْرَةً مَا تَقْلَعُ

وهناك قسم من المؤرخين كتبوا عن الأوبئة، وآخرين ماتوا بسببها، إلا أن هناك من توفي بسبب تهاونه (٤)، وعلى سبيل المثال:

موت (ظالم بن عمرو) المعروف بـ: أبو الأسود الدؤلي (ت: ٦٩هـ/٦٨٨م)، وهو أحد علماء العربية، وأول من تكلم بالنحو. إذ كان وباء الطاعون سبباً في استشهاده، وقال عنه قسم من المؤرخين بما نصه: " إنه مات مصاباً بالطاعون الجارف" (٥).

(١) الإصابة في معرفة الصحابة، ٢/٢٩٦، ٣٥٨.

(٢) قطب الدين سعيد بن هبة الله (ت: ٥٧٣هـ/١١٧٧م)، الخرائج والجرائح، تحقيق: محمد باقر الموحّد الأبّطحي الاصفهاني، مؤسسة الإمام المهدي (عليه السلام)، قم/إيران، (د. ت)، ٢١/١.

(٣) نقلاً عن موقع: <https://www.mncdaily.com> تاريخ الدخول في الموقع: ٢٠٢٠/٨/١م.

(٤) ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ١/١٨٧.

(٥) ابن كثير، البداية والنهاية، ٣/٨، وقال الحموي أنه توفي سنة (٦٧هـ/٦٨٦م). يُنظر: أبو عبد الله شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي (ت: ٦٢٦هـ/١٢٢٨م)، معجم الأدباء، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د. ت)، ١/٤٩٤.

لقد أصبح الطاعون في تلك السنة جارفاً ومن كل صوب، بحسب مؤرخين عاصروه بل كتبوا فيه، وهي إحدى أمرّ السنوات على أبناء المجتمع الإسلامي وصولاً إلى بلدان مختلفة منها دمشق من بلاد الشام وما حولها، إلا معرة النعمان التي لم تصب به، فقتل فيه المؤرخ ابن الوردي، زين الدين عمر بن مظفر المتوفى سنة (٧٤٩هـ/١٣٤٨م)، الذي كتب في الطاعون، وقتل فيه بعدما ترك رسالة بعنوان: "النبأ عن الوباء" ^(١)، إذ بيّن شرحاً مفصلاً فيه وباستفاضة عن انتشار هذا الوباء القاتل في البلدان العربية والإسلامية من دون غيرها، إذ قال:

رأى المعرة عيناً زانها حورٌ
لكنّ حاجبها بالجور مقرونٌ
ماذا الذي يصنع الطاعونُ في بلدٍ
في كل يوم له بالظلم طاعونُ ^(٢)

وقد ضمّن ابن الوردي في تاريخه جزءاً من كتابه في الطاعون الذي ينتهي فجأة بدون تمهيد ملائم تختتم به الكتب عادة، إذ أصيب بالطاعون ومات فيه في ذات السنة التي كان يؤرخ لها وهي سنة (٧٤٩هـ/١٣٤٨م)، وكان آخر خبر أثبته في تاريخه قد تحدث عن وفاة قاضٍ أصيب بالطاعون.

وفي بلاد الشام من دمشق أنهى وباء الطاعون على حياة المؤرخ الصفدي سنة (٧٦٤هـ/١٣٦٢م) صاحب التاريخ الكبير المسمى:

(١) أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، ١٥٢/٤.

(٢) نفس المصدر، ١٥٢/٤.

الوافي بالوفيات، بعد عطاء كبير في التأليف بلغ الكثير من المجلدات،
وقيل إن له زهاء مئتي مصنف (١).

ولهذا فقد نقل أفسى الأشعار التي قيلت بالطاعون وما خلفه من مأسٍ
في عامة بلاد الشام سنة (٧٤٩هـ/١٣٤٨م)، قال صلاح الدين الصفدي بما
نصه:

قد قلت للطاعون وهو بغزة * قد جال من قطيا إلى بيروت
أخلت أرض الشام من سكانها * وأتيت يا طاعون بالطاغوت (٢)
ومن أبلغ وأشد ما قاله في الطاعون سنة (٧٤٩هـ/١٣٤٨م) الذي فتك
به لاحقاً بعد أن فتك بجماعة من أصحابه قال المقرئ:

لما افترست صحابي يا عام تسع وأربعينا
ما كنت والله تسعاً بل كنت سبعاً يقينا (٣)

ومن أوائل الكتب العربية التي أفردت في الطاعون، كتاب الحافظ أبي
بكر بن أبي الدنيا (ت: ٢٨١هـ/٨٩٤م)، بعنوان: كتاب الطواعين، الذي
يرى بعض المحققين أنه أول كتاب وضع في العربية بوجه مستقل مبيّناً
وباء الطاعون.

هذا، وأدى تفشي وباء الطاعون في ولايات عربية عدة بما فيها الأندلس
إلى قيام مؤلفين كثيرين بكتابة مصنفات عن الأوبئة، لاسيما الطاعون،
للوفاة منه ووصفه واتخاذ تدابير للحيلولة دون الإصابة به، وكانت أشهر
وقاية هي عدم دخول المكان المصاب، وعدم الخروج منه كما هو مأثور.

(١) الزركلي، خير الدين دمشقي، (ت: ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م)، الأعلام، قاموس تراجم لأشهر

الرجال والنساء، (دار العلم للملايين، ط٤، بيروت، ١٩٧٩م)، ٣١٥/٢.

(٢) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ٢١١/١٠.

(٣) المقرئ، السلوك لمعرفة دول الملوك، ١٥٨/٢.

وتشير قسم من الكتب القديمة أن منشأ وباء الطاعون إلى الصين، كما في كتاب (تحصيل غرض القاصد في تفصيل المرض الوافد)، لابن خاتمة الأندلسي (ت: ٧٥٠هـ/١٣٤٩م) الذي وضعه بسبب جائحة وقعت على البلاد والعباد سنة (٧٤٩هـ/١٣٤٨م) ذاتها، فضلاً عن وفاته بالوباء (١).

ولم يتوقف الوباء عن إصابة الناس بما فيهم العلماء الأعلام، ومن غرائب ما تركه الطاعون من مأس، أنه قتل مؤلفين عرباً كتبوا في الطاعون ومنهم السبكي، تاج الدّين عبد الوهاب المتوفى سنة (٧٧١هـ/١٣٦٩م)، ومن مؤلفاته سنة (٧٤٩هـ/١٣٤٨م) كتاب: جزء في الطاعون، الذي مات فيه مرغماً (٢).

وممن توفي بالداء والوباء شهاب الدّين أحمد بن يحيى بن أبي حجلة المالكي التلمساني (ت: ٧٧٦هـ/١٣٧٤م)، الذي وضع كتاب: "الطب المسنون في دفع الطاعون" (٣) إلا أنه ورغم تحفظه منه فقد قتله الوباء الذي ألف كتابه فيه.

وترك الطاعون مأساة أليمة في حياة المؤرخ ابن حجر العسقلاني (٧٧٣-٨٥٢هـ)، إذ تسبب هذا الوباء بموت ثلاث من بناته، وهنّ: عالية، وفاطمة، لاسيما في سنة (٨١٩هـ/١٤١٦م)، أمّ أبنته زين خاتون فقد توفيت في سنة (٨٣٣هـ/١٤٢٩م).

(١) لسان الدّين ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ٣١٣/١.

(٢) الصفدي، خليل بن آيبك، (ت: ٧٦٤هـ/١٣٦٢م)، الوافي بالوفيات، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م)، ٢١٠/١٩.

(٣) البغدادي، إسْمَاعِيلُ باشا بن محمد أمين بن مير سليم الباباني، إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكُتُب والفنون، طبع بعناية محمد شرف الدّين يالنتقايا ورفعت بيلكه الكليسي، وهي الطبعة المصورة على طبعة استانبول، وكالة المعارف التركية، (منشورات مَكْتَبَةِ المثنى، بغداد، ١٩٤٥م)، ٧٨/٢.

ويرجح بعض الكتاب، أن وفاة بناته بهذا المرض، كان من أحد أسباب تأليف كتابه: بذل الماعون في فضل الطاعون، وأن ما خلفه الطاعون يُعد مأساة عنيفة في حياة المصنف المشهور ابن حجر العسقلاني (١).

خلصت الدراسة بوجه عام إلى أنّ الأسباب الرئيسة للأوبئة والأمراض التي قد يقوم بها الإنسان لا تقل أهمية عن الأسباب الطبيعية التي قد تنشأ بسببها قسم من الأوبئة والأمراض، وأن الدراسة بيّنت أن تفاوت سلطة اتخاذ القرار في وقوع الأزمة الوبائية تكون مسؤولية الدولة في بعض الأحيان، وعليها تقديم المساعدات عند انتشار الوباء، على حين قسم من هؤلاء لم تكن لديهم برامج للحد من تلك المشاكل المعقدة، فضلاً عن مواجهتها بآليات فعالة؛ فترى أغلب الناس يعتمد الناس على جهوده الفردية، ومنها تقديم الطعام والدواء ومساعدة الفقراء، لاسيما أوقات المجاعة لإبعاد شبح الموت.

فضلاً عن أخذ العبر من الحلول التي دارت آنذاك على الرغم من تفاوت العصور، ولكن بما يتناسب مع معطيات عصرنا الراهن الذي نعيشه بوجود هذا الوباء اللعين كورونا (كوفيد-١٩)، وما تقدمه التقنيات الحديثة من عون في تشخيص وعلاج الوباء.

(١) حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله (ت: ١٠٦٧هـ/١٦٥٦م)، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، تحقيق: محمد شرف الدين، (دار إحياء التراث، ط٣، بيروت، ١٩٤٧م)، ٢٣٧/١.

الخاتمة:

بعد إنجاز هذه الدراسة بفضل الله تبارك وتعالى يمكننا القول إننا استعرضنا أغلب الأوبئة التي وقعت على مر العصور، لاسيما في المجتمع العربي الإسلامي، وما تحويه من آلام قد نستفد منها لمواجهة وباء كورونا (كوفيد-١٩) المستجد اللعين.

ويبدو أن الأوبئة كثيرة، وقسم منها عُرِفَت أسبابه واسمه وعلاجه، وأوبئة أخرى لم يفصح عنها؛ لعدم معرفة السبب الحقيقي لظهورها ولم يشخصها العلماء في حينها، والعلاج الذي يشفي ذلك الوباء في آن واحد، وهذا ما تم توضيحه خلال بيان الحُقب المتعددة التي مرّت على المجتمع العربي الإسلامي بوجه عام، إذ توصلنا إلى جملة من الاستنتاجات كان أهمها:

١. الأوبئة بوجه عام لها آثار سلبية كبيرة سواء أكانت إنسانية أم اجتماعية أم اقتصادية قد تؤثر على الدولة، والمجتمع برمته.

٢. كثيراً ما تقف السلطات الرسمية وغير الرسمية أي المجتمعية عاجزة عن معالجة الأوضاع الصحية إلا ما ندر في الدولة العربية الإسلامية لأسباب عدة.

٣. وردت هذه الإشارات في كتب قسم من المؤرخين، مثل كتاب: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم لابن الجوزي، وكتاب: الكامل في التاريخ لابن الأثير، وكتاب: القانون في الطب لابن سينا لتكون عبرة للأجيال القادمة؛ بغية الوقوف أمام هذه التحديات والعودة إلى الله سبحانه وتعالى من جهة، وتوفير مستلزماتها العلاجية من جهة أخرى، لاسيما بعد أن اشتدت نفوس مريضة من هذا العالم على المجتمع العربي والإسلامي في عالم اليوم، لأسباب لا مجال الخوض فيها، فضلاً عن الاخلال بما أمرهم الله من رشد

وتوجيهه، إذ يعملون بالكثير من المعاصي بأنواعها وأساليبها خلاف ما جاء به الإسلام الحنيف.

٤. هناك أسباب لحدوث الأزمات سواء الاقتصادية أو الاجتماعية منها: أولها: طبيعية وقد تحدث بفعل ظروف الطبيعة، إذ لا قدرة للإنسان على منعها أو عدم وقوعها، ولكن يمكنه العمل على التحولات منها قدر المستطاع أو من بعضها، والتخفيف من آثارها لاحقاً.

وثانياً: بشرية قد تحدث بفعل الإنسان وإرادته ورغباته التي لا يفكر في خلق السماوات والأرض، ويشجع ويشجع على الفساد الإداري والمالي وكثرة العطاء من دون استحقاق حفاظاً على سلطتهم الزائلة، فضلاً عن البذخ والترف والانحراف بكل معناه، الأمر الذي يسهم في تشجيع الاضطرابات السياسية والفتن والحروب الطاحنة كي يشغل الحاكم وحاشيته الناس عما هم فيه، لينعم بالفساد الذي يراه ناسياً أو متناسياً أنه زائل لا محال.

٥. قد يكون العامل البشري سبباً مهماً في إحداث الأزمات الاقتصادية بالتزامن مع العوامل الطبيعية بل أنه قد يساهم في حدوثها، وقد يتقاعس عن علاجها، لأنها تحقق مصلحته الشخصية أو الدولية أو الاستعمارية أو عدم رغبته بمشاهدة الإنسان على كوكب الأرض لأسباب شتى.

٦. أظهرت الدراسة أن الدولة واجبتها تأمين ظروف مناسبة لمواجهة الأزمات، ولكن في بعض الأحيان تقف عاجزة عن التصدي بمواجهة الأوبئة والأمراض الفتاكة، لذلك اعتمدت إجراءات من نفس المجتمع، كي ينقذ الكثير من أبناءهم، وعندما تنتهي الأزمة يهمل كل شيء، ولم تهتم الدولة إلى اتخاذ إجراءات عملية كما فعل أحد الولاة بتقسيم الواردات كي تسهم في تسيير شؤون الحياة، فضلاً عن منع وقوع الوباء من جهة ومواجهته من

جهة أخرى؛ بغية الحد من الضعف في الأزمات الجديدة التي قد تقع لا
سامح الله.

٧. إن الأوبئة بوجه عام مُعدية وقد تنتشر بالهواء، أو من خلال اللمس
والعطس وغيرها، وقد تبدو أسمائها وأشكالها مختلفة، إلا أنها كثيراً ما تكون
قريبة في قسم من الصفات والأعراض على الأعم الأغلب، إذ تظهر
علامات في أجزاء عدة من الجسد كـ: الاصفرار، والتقيؤ والكحة وغيرها.
وقد ترافق ذلك آلاماً بسبب ضعف الحالة النفسية التي تشكل نصف العلاج
أولاً، وضعف العلاج ثانياً بما يؤدي إلى الموت على الأغلب، على حين
كان بالإمكان تجاوز المحنة، لأن الأوبئة أغلبها ملتبسة بعضها على
البعض الآخر، ويمكن للإنسان أن يتجاوزها عند الصبر على البلاء، بعد
استخدام كل ما هو متاح لمواجهةته، فلكل إنسان أجلٌ قدره الله تبارك وتعالى
تقديرًا.

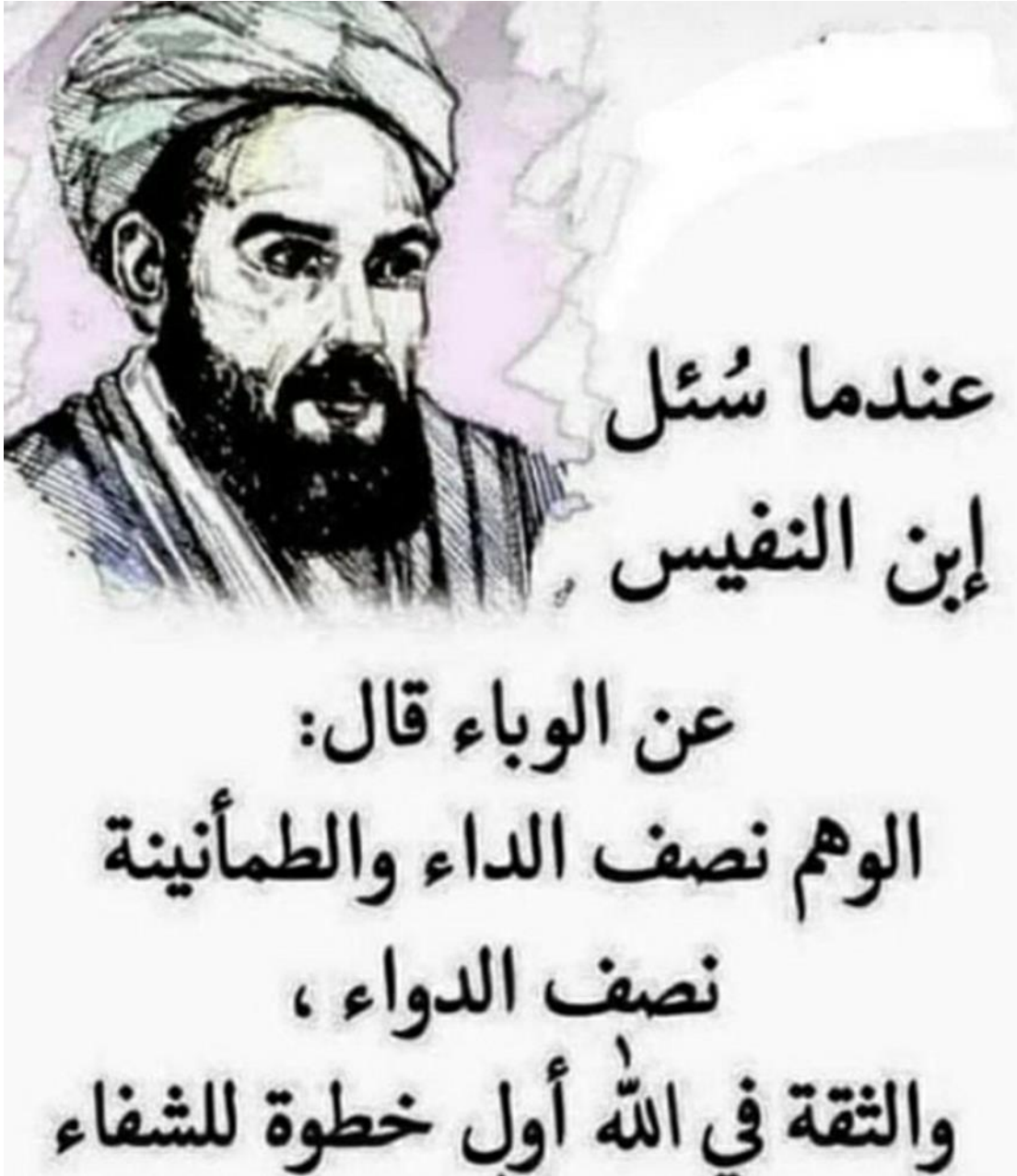
٨. كثيراً ما كانت الأوبئة تقسو على الإنسان من خلال فقدان الكثير من
الأُسْر، ولكن هذا الأمر أدى إلى ثبات المسلمين وعدم الترحيح عن عقيدتهم
الإنسانية والإسلامية، كما كانت ثقتهم بـ: الله تبارك وتعالى تزداد، وإيمانهم
يسمو لهذا القدر، على الرغم من فقدان الكثير من الصحابة والتابعين
وتابعي التابعين بسبب الأوبئة، ومنهم على سبيل المثال لا الحصر: أبو
عبدة عامر بن الجراح، ومعاذ بن جبل وغيرهم كثير، فضلاً عن الكثير من
العلماء والأدباء مثل: ابن خلكان، والصفدي وابن حجر والسبكي وغيرهم.

٩. لم نطلع في المصادر التاريخية على حالات ارتداد عن الإسلام أو
جزع، بسبب الأُلم إلا آنيًا؛ بل يطلب المسلمون، لاسيما ممن أصيبوا بالوباء
أن يبارك الله بهم، كونهم من الشهداء السعداء في دار الدنيا والآخرة، لدعاء

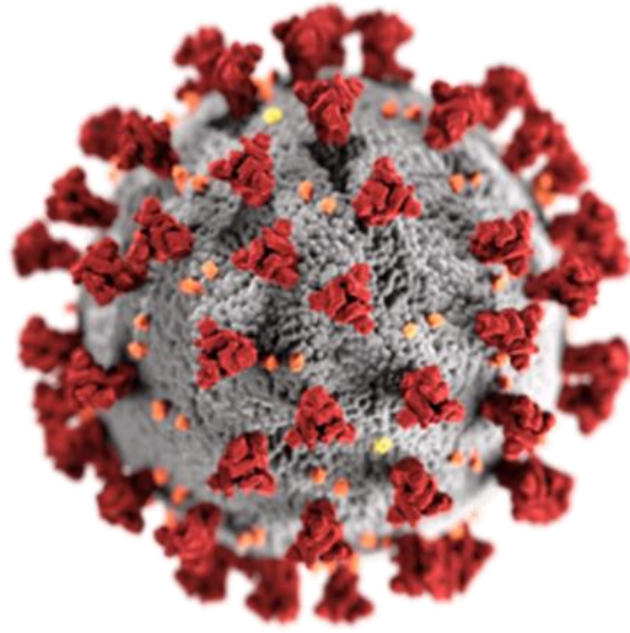
الرسول محمد (ﷺ) سالف الذكر عندما تواجه الأمة الإسلامية هذه الأوبئة القديمة والجديدة المستجدة.

١٠. إن الحالة النفسية للمريض هي نصف العلاج من هذا الفيروس وغيره. إذ أثبتت دراسات عدة أن التوتر والقلق عاملان أساسيان في ضعف المناعة عند الإنسان، الأمر الذي يجعل جسمه أكثر عرضة لتقبل الأمراض، على عكس الحالة النفسية الإيجابية، لاسيما المؤمنة بقضاء الله وقدره، إذ هي كفيلة أن تُعد نصف العلاج إذا لم تكن غالبيته.

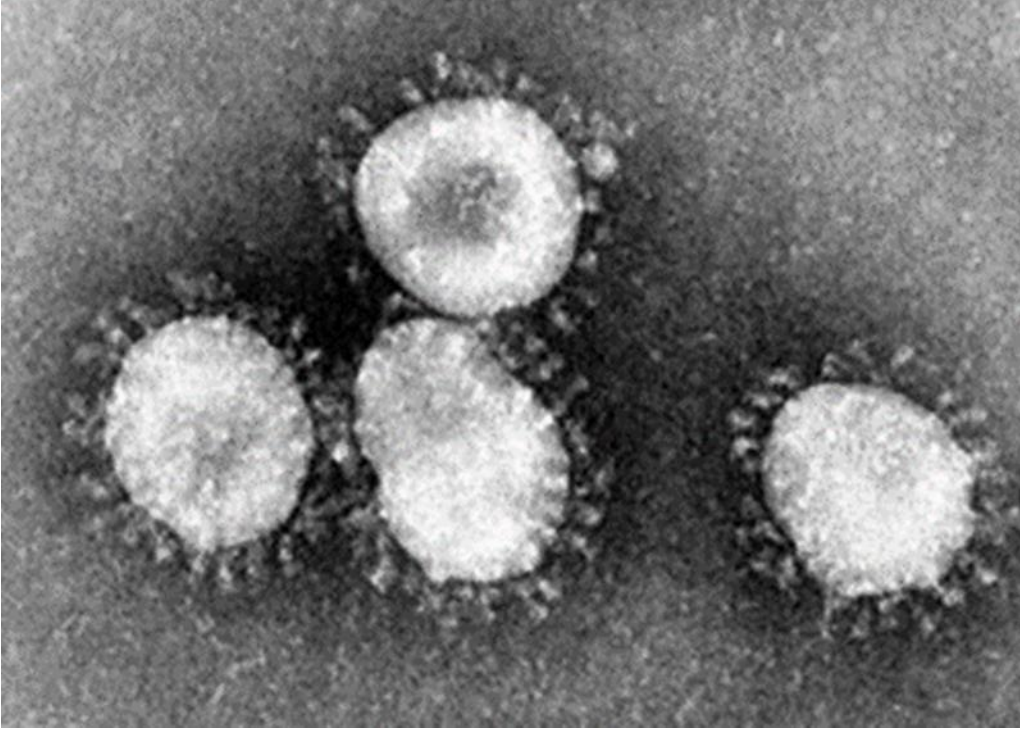
١١. كما يصاب الإنسان بالوباء تصاب الحيوانات والزرع، مما يؤثر في وقوع المجاعات لعدم توفر المعروض وارتفاع الأسعار، وهذا سببه وجود وتكاثر الحشرات من الطبيعة أو إهمال الإنسان نفسه وبدنه وبيئته.



حكمة ابن النفيس قبل وبعد العلاج نفسياً للمصاب بالوباء



تمثيل لـ: فريونات فيروس كورونا (كوفيد-١٩) المستجد



صورة مجهرية لـ: فيروس كورونا



كوادر طبية من الجيش الأبيض لعلاج المصابين بـ: وباء كورونا (كوفيد-١٩) المستجد

قائمة المصادر والمراجع

خير ما نبتدأ به:

* القرآن الكريم:

* المخطوطات:

١. الحموي، شمس الدّين محمد بن أحمد بن يوسف بن أحمد الميداني الشافعي (ت: ١٠٣٣هـ/١٦٢٣م)، البيان في كشف علم الطب للعيان، (المكتبة البريطانية، مخطوطات، رقم: ٠٧١٠١٥).

* المصادر الأولية:

٢. الأبشيهي، بهاء الدين (أو شهاب الدين) أبو الفتح محمد بن أحمد بن منصور المحلي (٨٥٠هـ/١٤٤٦م)، المستطرف في كل فن مستظرف، (دار ومكتبة الهلال، (د. م)، (د. ت)).
٣. ابن أبي أصيبعة، موفق الدّين أحمد بن قاسم (ت: ٦٦٨هـ/١٢٨٩م): عيون الأنباء في طبقات الأطباء، (مطبعة مكتبة الحياة، ط٢، بيروت، ١٩٦٥م).
٤. ابن أبي شيبة، أبي بكر عبد الله بن محمد (ت: ٢٣٥هـ/٨٤٩م)، المصنف في الأحاديث والآثار، تحقيق: سعيد اللّحام، (دار الفكر، بيروت، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م).
٥. ابن إسحاق، محمد بن إسحاق بن يسار المظلي (ت: ١٥١هـ/٧٦٨م)، سيرة ابن إسحاق، (دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت).
٦. ابن الأبار، محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي (ت: ٦٥٨هـ/١٢٦٠م)، الحلة السرياء، حققه وعلق حواشيه الدكتور حسين مؤن، (الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٣م).
- * ابن الأثير، عز الدّين أبو الحسن علي بن محمد الجزري الشيباني (ت: ٦٣٠هـ/١٢٣٢م):
٧. الكامل في التاريخ، عني به نخبة من العلماء، (دار الكتاب العربي، ط٣، بيروت، ١٩٨٠م).
٨. أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق: علي محمد معوض، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م).
٩. التاريخ الباهر، تحقيق عبد القادر أحمد طليحات، (دار الكتب الحديثة، مصر، القاهرة، ١٣٨٢هـ/١٩٦٣م).

١٠. ابن البيطار، ضياء الدّين أبو محمد عبد الله بن أحمد المالقي (ت: ٦٤٦هـ/١٢٤٨م)، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م).
١١. ابن الجعد، علي بن الجعد بن عبيد الجوهري البغدادي (ت: ٢٣٠هـ)، مسند ابن الجعد، تحقيق: عامر أحمد حيدر، (مؤسسة نادر، بيروت، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م).
- * ابن الجوزي، جمال الدّين أبو الفرج عبد الرحمن علي البكري (ت: ٥٩٧هـ/١٢٠٠م):
١٢. صفة الصفوة، تحقيق: محمود فاخوري، (دار المعرفة، ط٢، بيروت، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م).
١٣. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: محمد عبد القادر عطاء وآخرون، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م).
١٤. زاد المسير في علم التفسير، دار ابن حزم، (المكتب الإسلامي، الرياض، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م).
١٥. كشف المشكل من حديث الصحيحين، تحقيق: علي حسين البواب، (دار الوطن، الرياض، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م).
١٦. ابن الحراني، تحف العقول عن آل الرسول (ﷺ)، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، (مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم/إيران، ١٤٠٤هـ).
١٧. ابن الحمصي، شهاب الدّين أحمد بن محمد بن عمر (ت: ٩٣٤هـ/١٥٢٧م)، حوادث الزمان ووفيات الشيوخ والاقربان، تحقيق: عمر عبد السلام، (المكتبة العصرية، مصر، ١٤٠٥هـ).
١٨. ابن الذهبي، أبو محمد عبد الله بن محمد الأزدي العماني (ت: ٤٥٦هـ/١٠٦٣م)، كتاب الماء، تحقيق: هادي حسن حمّودي، (منشورات وزارة التراث القومي والثقافة في سلطنة عمان، لندن، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م).
١٩. ابن زهر، عبد الملك بن زهر بن عبد الملك بن الفقيه محمد بن مروان (ت: ٥٥٧هـ/١١٦٢م)، النشاط والقوة والشفاء في الأغذية وهو: كتاب الأغذية، وضع حواشيه: محمد أمين الضناوي، (دار الكتب العلمية، بيروت، (د. ت)).
٢٠. ابن العبري، غريغوريوس ابو الفرج بن أهرون (ت: ٦٨٥هـ/١٢٨٦م)، تاريخ الزمان، نقله إلى العربية: الأب إسحاق أرملة، تقديم: موريس فييه، (دار المشرق، بيروت، ١٩٩١م).
٢١. ابن العديم العُقيلي، كمال الدين أبو القاسم عمر بن احمد بن هبة الله بن أبي جرادة (ت: ٥٦٥هـ/١١٦٩م)، بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق: سهيل زكار، (دار الفكر، بيروت، ١٩٨٨م).

٢٢. ابن العماد الحنبلي، عبد الحي بن احمد بن محمد العكبري أبو الفلاح (ت: ١٠٨٩هـ/١٧٧٨م)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: محمود الأرناؤوط، (دار بن كثير، بيروت، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م).
٢٣. ابن الفرات، ابن الفرات، ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم (ت: ٨٠٧هـ/١٤٠٥م)، تاريخ ابن الفرات، مج ٨، مج ٩، تحقيق قسطنطين زريق، ونجلاء عز الدين، (المطبعة الأمريكية، بيروت، ١٣٥٦هـ/١٩٣٩م).
٢٤. ابن المجاور، جمال الدين (٦٩٠هـ/١٢٩١م)، صفة بلاد اليمن والحجاز، (مطبعة بريل، لندن، ١٩٥١م).
٢٥. ابن المزي، أبي الحجاج يوسف المزي (ت: ٧٤٢هـ/١٣٤١م)، الكمال في أسماء الرجال، تصنيف الحافظ، تحقيق: الشيخ أحمد علي عبيد وحسن أحمد أغا، (دار الفكر، بيروت، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م).
٢٦. ابن النديم، محمد بن اسحاق (ت: ٣٨٥هـ/٩٩٥م)، الفهرست، (دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م).
٢٧. ابن النفيس، علاء الدين علي بن أبي الحزم القرشي المصري، (ت: ٦٨٧هـ/١٢٨٨م)، الشامل في الصناعة الطبية والأدوية والأغذية، تحقيق: يوسف زيدان، (المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٢م).
٢٨. ابن الوردي، سراج الدين أبو حفص عمر بن المظفر البكري القرشي المعري ثم الحلبي (ت: ٨٥٢هـ/١٤٤٧م)، خريدة العجائب وفريدة الغرائب، (مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ١٤٢٨هـ).
٢٩. ابن إياس، محمد بن أحمد (ت: ٩٣٠هـ/١٥١٠م)، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق: محمد مصطفى، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م).
٣٠. ابن تغري بردي، أبو المحاسن جمال الدين يوسف الأتابكي (ت: ٨٧٤هـ/١٤٦٩م): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، (المؤسسة المصرية العامة للتأليف، مصر، د. ت).
٣١. ابن جُلجل، أبو داود سليمان بن حسان الأندلسي (ت: ٣٨٥هـ/٩٦٨م)، طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق: فؤاد سيد، (مطبعة المعهد العالي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٠٨م).
- * ابن حبان، أبو حاتم محمد بن حبان بن معاذ بن التميمي البستي (ت: ٣٥٤هـ/٩٦٥م):
٣٢. الثقات، تحقيق: شرف الدين أحمد، (دار الفكر، بيروت، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م).

٣٣. صحيح ابن حبان، تحقيق: شعيب الارناؤوط، (مؤسسة الرسالة، ط٢، بيروت، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م).
٣٤. ابن حبيب، حسن بن عمر بن الحسن (ت: ٧٧٩هـ/١٣٧٧م)، تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه، تحقيق: محمد محمد أمين، مراجعة: سعيد عبد الفتاح عاشور، (مطبعة دار الكتب، القاهرة، ١٣٩٦هـ/١٩٩٦م).
- * ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل احمد بن علي بن محمد بن احمد (ت: ٨٥٢هـ/١٤٤٨م): الإصابة في معرفة الصحابة، تحقيق: علي محمد البجاوي، (دار نهضة القاهرة، القاهرة، ١٣٩٩هـ-١٩٨٢م).
٣٦. إنباء الغمر بأبناء العمر في التاريخ، تحقيق: محمد عبد المعيد خان، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م).
٣٧. بذل الماعون في فضل الطاعون، تحقيق: أحمد عصام عبد القادر الكاتب، (دار العاصمة، الرياض، (د. ت)).
٣٨. تهذيب التهذيب، (دار المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن - الهند، (د. ت)).
٣٩. فتح الباري شرح صحيح البخاري، تعليق: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، (دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ/١٩٥٩م).
٤٠. ابن حمدون، محمد بن الحسن بن محمد بن علي بن حمدون (ت: ٥٦٢هـ/١١٦٦م)، التذكرة الحمدونية، تحقيق: احسان عباس ويكر عباس، (دار صادر، بيروت، ١٩٩٦م).
- * ابن حنبل، أحمد بن محمد (ت: ٢٤١هـ/٨٥٥م): مسند الإمام أحمد، (دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٣م).
٤٢. العلل ومعرفة الرجال، تحقيق: وصي الله بن محمد عباس، (الدار السلفية، بومباي، الهند، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م).
٤٣. ابن حيان القرطبي الأندلسي، أبو مروان حيان بن خلف بن حسين بن حيان (ت: ٤٦٩هـ/١٠٧٦م)، المقتبس من أنباء الأندلس، تحقيق: محمود علي مكي، نشر المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٣٩٠هـ).
٤٤. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد، أبو زيد الحضرمي (ت: ٨٠٨هـ/١٤٧٦م)، تاريخ ابن خلدون، والمسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق: خليل شحاته، (دار الفكر، ط٢، بيروت، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م).
٤٥. ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين محمد (ت: ٦٨١هـ/١٢٨٢م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، (دار صادر، بيروت، ١٩٧٧م).

٤٦. ابن ربن الطبري، أبو الحسن علي بن سهل (ت: ق ٣هـ/ق ٩م)، فردوس الحكمة في الطب، تح: محمد زبير الصديقي، (معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية، جامعة فرانكفورت الألمانية، ١٩٩٦م).
٤٧. ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع (ت: ٢٣٠هـ/٨٤٤م)، الطبقات الكبرى، أعد فهارسها: رياض عبد الله عبد الهادي، (دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٦م).
٤٨. ابن سينا، أبو علي الحسين بن علي، (ت: ٤٢٨هـ/١٠٣٦م)، القانون في الطب، تحقيق: محمد أمين الضناوي، (دار إحياء التراث، بيروت، ٢٠٠٥م).
٤٩. ابن شبة، أبو زيد عمر بن شبة النميري (ت: ٢٦٢هـ/٨٧٥م)، تاريخ المدينة المنورة، تحقيق: فهمي محمد شلتوت، (د. ط)، جدة، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م).
٥٠. ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري (٤٦٣هـ/١٠٧٠م)، الاستنكار، تحقيق: سالم محمد عطا، محمد علي معوض، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م).
٥١. ابن فهد، عز الدين عبد العزيز بن عمر بن محمد (ت: ٨٨٥هـ/١٤٨٠م)، غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام، (مطبعة جامعة أم القرى، جدة، ١٩٨٦م).
- * ابن قتيبة الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت: ٢٧٦هـ/٨٨٩م):
٥٢. المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط ٢، القاهرة، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م).
٥٣. عيون الأخبار، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ).
٥٤. ابن قيم الجوزية شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز (ت: ٧٥١هـ/١٣٥٠م)، الطب النبوي، دراسة وتحقيق: السيد الجميلي، (دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م).
٥٥. ابن كثير، أبي الفداء اسماعيل الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ/١٣٧٢م)، البداية والنهاية، (مكتبة المعارف، بيروت، ١٩٩٠م).
٥٦. ابن مفلح المقدسي، أبو عبد الله شمس الدين عبد الله محمد بن محمد المقدسي ثم الصالحي (ت: ٧٦٣هـ/١٣٦١م)، الآداب الشرعية، تح: شعيب الأرنؤوط، وعمر القيام، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م).
٥٧. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأفيقي المصري، (ت: ٧١١هـ/١٣١١م)، لسان العرب، (دار صادر، بيروت، ١٩٦٨م).

٥٨. ابن نجيم، زين الدّين بن إبراهيم بن محمد الحنفي (ت: ٩٢٠هـ/١٥١٤م)، البحر الرائق شرح كنز الدقائق، دراسة وتحقيق: احمد عزو عناية الدمشقي، (دار احياء التراث العربي، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م).
٥٩. ابن هبل البغدادي، مهذب الدّين أبي الحسن علي بن احمد التبريزي (ت: ٦١٠هـ/١٢١٣م)، المختار في الطب، تحقيق: هاشم الندوي، (دار ومكتبة بيبليون، لبنان، د.ت).
٦٠. أبو الفداء، عماد الدّين إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد بن عمر بن شاه نشاه بن أيوب، الملك المؤيد، صاحب حماة (ت: ٧٣٢هـ/١٣٣١م)، المختصر في أخبار البشر، (المطبعة الحسينية المصرية، القاهرة، د.ت).
٦١. أبو حيان، أثير الدّين محمد بن يوسف بن علي بن يوسف، الأندلسي الغرناطي النَّفْري (ت: ٧٤٥هـ/١٣٤٤م)، تفسير البحر المحيط، تحقيق: عادل أحمد وعلي معوض، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م).
٦٢. أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني (ت: ٢٧٥هـ/٨٨٨م)، سنن أبي داود، تحقيق: سعيد محمد اللحام، دار الفكر، (بيروت، ١٤١١هـ/١٩٩٠م).
٦٣. أبو عبد الرحمن السلمي، محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن خالد بن سالم النيسابوري (ت: ٤١٢هـ/١٠٢١م)، طبقات الصوفية، تح: مصطفى عبد القادر عطا، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م).
٦٤. الأزرق، إبراهيم بن أبي بكر (ت: القرن التاسع الهجري (الخامس عشر ميلادي)، تسهيل المنافع في الطب والحكمة: المشتمل على شفاء الأجسام وكتاب الرحمة، (مطبعة المشهد الحسيني، القاهرة، ١٨٩٨م).
٦٥. الأزرق، أبو الوليد محمد بن عبد الله بن احمد (ت: ٢٥٠هـ/٨٦٤م)، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تحقيق: رشدي الصالح ملحس، (دار الأندلس، بيروت، د.ت).
٦٦. الأشرف الغساني، (ت: ٨٠٣هـ/١٤٠٠م)، العسجد المسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك، (دار البيان، بغداد، د.ت).
٦٧. إخوان الصفاء، رسائل إخوان الصفاء وخِلاَّن الوفاء، الرسالة الثالثة عشرة، (دار صادر، بيروت، ١٩٥٧م).
٦٨. البخاري، أبي عبد الله محمد بن اسماعيل الجعفي (ت: ٢٥٦هـ/٨٦٩م)، صحيح البخاري، (دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م).

٦٩. البرقي، أبو جعفر أحمد بن محمد بن خالد بن عبد الرحمن بن محمد بن علي (ت: ٢٧٤هـ/٨٨٧م)، المحاسن، تحقيق: السيد جلال الدين الحسيني المشتهر بالمحدث، (دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٧٠هـ).
- *البهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي (ت: ٤٥٨هـ/١٠٦٥م):
٧٠. السنن الكبرى وفي ذيله الجواهر النقي، (مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند، حيدر آباد، ١٣٤٤هـ).
٧١. شعب الإيمان، تحقيق: مُحَمَّد السعيد بسيوني زغلول، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٠هـ).
٧٢. الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك السلمي (ت: ٢٧٩هـ/٨٩٢م)، سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د. ت)).
٧٣. التطيلي، بنيامين ابن الرابي يونة النباري الإسباني اليهودي (ت: ٥٦٩هـ/١١٧٣م)، رحلة بنيامين التطيلي، ترجمة: عزرا حداد، (المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٢م).
٧٤. التتوخي أبو علي الحسن بن أبي القاسم (ت: ٣٨٤هـ/٩٩٤م)، نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، تحقيق: عبود الشالجي المحامي، (د. ط)، بيروت، ١٣٩١هـ/١٩٧١م).
٧٥. جالينوس (ت: ٢١٦ ق. م)، كتاب جالينوس في فرق الطب للمتعلمين، ترجمة وتحقيق: محمد سليم سالم، (الهيئة المصرية العامة، القاهرة، ٢٠١٧م).
٧٦. الجرجاني، أبو أحمد عبد الله بن عدي (ت: ٣٦٥هـ/٩٧٥م)، الكامل في ضعفاء الرجال، تحقيق: يحيى مختار غزاوي، (دار الفكر، ط٣، بيروت، ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م).
٧٧. حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله (ت: ١٠٦٧هـ/١٦٥٦م)، كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون، تحقيق: محمد شرف الدين، (دار إحياء التراث، ط٣، بيروت، ١٩٤٧م).
٧٨. الحصفكي، علاء الدين الحنفي (ت: ١٠٨٨هـ/١٦٧٧م)، الدر المختار شرح تنوير الأبصار وجامع البحار، تحقيق: عبد المنعم خليل إبراهيم، (دار الكتب العلمية، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م).
- *الحموي، أبو عبد الله شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي (ت: ٦٢٦هـ/١٢٢٨م):
٧٩. معجم الأدباء، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د. ت)).
٨٠. معجم البلدان، (دار صادر، ط٢، بيروت، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م).
٨١. الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن مهدي (ت: ٤٦٣هـ/١٠٧١م)، تاريخ بغداد وذيوله، تح: مصطفى عبد القادر عطا، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م).

٨٢. ابن خياط، أبو عمرو خليفة بن خياط الشيباني الليثي العصفري (ت: ٢٤٠هـ/٨٥٤م)، تاريخ خليفة بن خياط، ضبط وتوثيق: مصطفى نجيب فواز وحكمت كشلي فواز، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م).
- *الذهبي، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (ت: ٧٤٨هـ/١٣٤٧م):
٨٣. تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، (دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م).
٨٤. سير أعلام النبلاء، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ومحمد نعيم العرقسوسي، (مؤسسة الرسالة، ط٩، بيروت، ١٤١٣هـ).
٨٥. العبر في خبر من غير، تحقيق: صلاح الدين المنجد، (مطبعة حكومة الكويت، ط٢، الكويت، ١٩٤٨م).
٨٦. الرازي، فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين (ت: ٦٠٦هـ/١٢٠٩م)، تفسير الرازي والمسمى: مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، (دار أحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م).
٨٧. الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل (ت: ٥٠٢هـ/١١٠٨م)، كتاب محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، (شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ١٤٢٠هـ).
٨٨. الرافعي، أبي القاسم عبد الكريم بن محمد (ت: ٦٢٣هـ/١٣٢٦م)، فتح العزيز شرح الوجيز أو الشرح الكبير للرافعي، تح: علي محمد عوض، وعادل أحمد عبد الموجود، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م).
٨٩. الراوندي، قطب الدين سعيد بن هبة الله (ت: ٥٧٣هـ/١١٧٧م)، الخرائج والجرائح، تحقيق: محمد باقر الموحّد الأبطحي الاصفهاني، (مؤسسة الإمام المهدي (عليه السلام)، قم/إيران، د.ت).
٩٠. رضوان، أبو الحسن علي بن رضوان بن علي بن جعفر (ت: ٤٥٣هـ/١٠٦٧م)، دفع مضار الابدان بأرض مصر، تح: رمزي الاطرقجي، (مكتبة جامعة اليرموك، الأردن، ١٩٨٦م).
٩١. الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني (ت: ١٢٥٠هـ/١٨٣٤م)، تاج العروس، تحقيق: مجموعة من المحققين، (المطبعة الخيرية، القاهرة، ١٣٠٦هـ).

٩٢. الزيلعي، جمال الدّين عبد الله بن يوسف (ت: ٧٦٢هـ/١٣٦٠م)، نصب الرّاية في تخريج أحاديث الهداية، تحقيق: أيمن صالح شعبان، (مطابع الوفاء، المنصورة، مصر، ١٩٩٥م).
٩٣. سبط ابن الجوزي، شمس الدّين يوسف بن قزواغلي بن عبد الله البغدادي ثمّ الدمشقي (ت: ٦٥٤هـ/١٢٥٦م)، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، (مطابع دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن، الهند، ١٣٧١هـ/١٩٥٢م).
٩٤. السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن محمد (ت: ٩٠٢هـ/١٤٩٦م)، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، (دار الجيل، بيروت، ١٩٩٢م).
٩٥. السيوطي، عبد الرّحمن بن أبي بكر (ت: ٩١١هـ/١٥٠٥م)، تاريخ الخلفاء، تحقيق: محمد مّحبي الدّين عبد الحميد، مطبعة السعادة، (مصر، ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م).
- * الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله (ت: ١٢٥٠هـ/١٨٣٤م):
٩٦. البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، (دار المعرفة، بيروت، (د. ت)).
٩٧. نيل الأوطار شرح منتهى الأخبار من أحاديث سيد الأخيار، تحقيق: مصطفى البابي الحلبي، ((د. ط)، القاهرة، ١٣٩٧هـ/١٩٧٣م).
٩٨. الصفدي، خليل بن آيبك، (ت: ٧٦٤هـ/١٣٦٢م)، الوافي بالوفيات، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م).
٩٩. الضحاك، أبو بكر أحمد بن عمرو بن أبي عاصم الشيباني (ت: ٢٨٧هـ/٩٠٠م): السّنة لابن أبي عاصم، تحقيق: ناصر الدّين الألباني، (المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٠هـ/١٩٧٩م).
١٠٠. الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي (ت: ٣٦٠هـ/٩٧٠م)، المعجم الأوسط، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، وعبد المحسن بن إبراهيم، ((دار الحرمين، القاهرة، (د. ت)).
- * الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن (ت: ٥٤٨هـ/١١٥٤م):
١٠١. تفسير مجمع البيان، حققه وعلق عليه: لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين، وقدم له السيد: محسن الأمين العاملي، (مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م).
١٠٢. مكارم الأخلاق، (منشورات الشريف الرضي، (د. ط)، (د. م)، ١٩٧٢م).
- * الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت: ٣١٠هـ/٩٢٢م):
١٠٣. تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (دار المعارف، ط٦، القاهرة ٢٠٠٩م).

١٠٤. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، قدم له: خليل الميس، ضبط وتوثيق وتخريج: صدقة حميد العطار، (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م).
١٠٥. العجلوني، إسماعيل بن محمد الجراحي الشافعي، (ت: ١١٦٢هـ/١٧٤٨م)، كشف الخفاء ومزيل الإلباس، تحقيق: أحمد القلاش، (مؤسسة الرسالة، ط٤، بيروت، ١٤٠٥هـ).
١٠٦. العمري، شهاب الدين أحمد بن فضل الله (ت: ٧٤٩هـ/١٣٤٨م)، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تح: المستشرقة دوروتيا كرافولسكي، (دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٠م).
١٠٧. العيني، بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى الغياوي (ت: ٨٥٥هـ/١٤٥١م)، عمدة القارئ شرح صحيح البخاري، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د. ت)).
١٠٨. الغزالي، أبو حامد، محمد الغزالي الطوسي النيسابوري الصوفي الشافعي الأشعري (٥٠٥هـ/١١١١م)، المنفذ من الضلال والموصل إلى ذي العزة والجلال، تح: محمد محمد أبو ليلة، ونور شيف عبد الرحيم أحمد، (نشر جمعية البحث في القيم والفلسفة، واشنطن، ٢٠٠١م).
١٠٩. الفاسي، تقي الدين أبو الطيب محمد بن أحمد بن علي (ت: ٨٣٢هـ/١٤٢٨م)، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٥٦م).
١١٠. الفراهيدي، أبو عبد الرحمن، الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الأزدي اليماني البصري (ت: ١٧٠هـ/٧٨٦م)، العين، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، مؤسسة دار الهجرة، قم/إيران، ١٤٠٩هـ).
١١١. الفيض الكاشاني، محمد بن مرتضى بن محمود بن محسن (ت: ١٠٩١هـ/١٦٨٠م)، الوافي، (مكتبة الامام أمير المؤمنين علي (عليه السلام)، أصفهان، ١٤٠٦هـ).
١١٢. القرشي، محمد بن أبي الخطاب (ت: ١٧٠هـ/٧٨٦م)، جمهرة أشعار العرب، (دار صادر، بيروت، (د. ت)).
١١٣. القرشي، يحيى بن علي (ت: ٦٦٢هـ/١٢٢٥م)، تحقيق: محمد خرشافي، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧-١٩٩٦م).
١١٤. القلقشندي، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن علي بن عبد الله الفزاري (ت: ٨٢١هـ/١٤١٨م)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، (بيروت، دار الكتب العلمية، (د. ت)).
١١٥. الكراجكي، أبو الفتح محمد بن علي (ت: ٤٤٩هـ/١٠٥٧م)، كنز الفوائد، (مطبعة غدِير، قم/إيران، ١٣٦٩ش).
- *الكليني، أبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق (ت: ٣٢٨هـ/٩٣٩م):

١١٦. الروضة من الكافي، تحقيق: علي أكبر الغفاري، (دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٧٧هـ/١٩٥٧م).
١١٧. الفروع من الكافي، صححه وقابله وعلق عليه: علي أكبر الغفاري، (دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٦٧هـ).
١١٨. مالك بن أنس (ت: ١٧٩هـ/٧٩٥م)، الموطأ، تحقيق: فاروق سعد، (د. ط)، بيروت، ١٩٧٩م).
- *المسعودي، ابو الحسن علي بن حسين (٣٤٦هـ/٩٥٧م):
١١٩. التنبيه والاشراف، تح: عبد الله اسماعيل الصاوي، (دار الصاوي، القاهرة، (د. ت)).
١٢٠. مروج الذهب ومعادن الجوهر، (منشورات دار الهجرة، ط٢، إيران، ١٩٨٤م).
١٢١. مسلم، أبو الحسن بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت: ٢٧١هـ/٨٧٤م)، صحيح مسلم، المسمى: المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله (ﷺ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د. ت)).
١٢٢. المقدسي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر الداودي التميمي (ت: ٣٨٠هـ/٩٩٠م)، مادة البقاء في إصلاح فساد الهواء والتحرز من ضرر الوباء، تح: يحيى شعار، (معهد المخطوطات العربية، القاهرة، ١٩٩٩م).
١٢٣. المقدسي، ضياء الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الواحد (ت: ٦٤٣/١٢٤٥م)، كتاب الأمراض والكفارات والطب والرقيات، حققه وخرج أحاديثه: أبو إسحاق الحويني، (دار ابن عفان، القاهرة، ١٤١٥هـ).
- *المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (ت: ٨٤٥هـ/١٤٤١م):
١٢٤. إتعاط الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، ج٣ تحقيق: محمد حلمي محمد أحمد، (مطبعة الأهرام التجارية، ط٢ القاهرة: ١٩٩٦م)،
١٢٥. السلوك لمعرفة دول الملوك، صححه: محمد مصطفى زيادة، (مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٥٣هـ/١٩٣٤م).
١٢٦. المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقرئية، (دار صادر، بيروت، (د. ت)).
١٢٧. المناوي، محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم القاهري (ت: ١٠٣١هـ/١٦٢١م)، فيض القدير شرح الجامع الصغير، تحقيق: أحمد عبد السلام، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م).
١٢٨. مؤلف مجهول، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، صححه: مصطفى جواد، ومحمد رضا شبيبي، (المكتبة العربية، بغداد، ١٣٥١هـ/١٩٣٢م).

١٢٩. مؤلف مجهول، ذكر بلاد الأندلس، أو تاريخ الأندلس، تحقيق: لويس مولينا، (المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، مدريد، ١٩٨٣م).
١٣٠. النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي (ت: ٣٠٣هـ/٩١٥م)، السنن الكبرى، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م).
- *النووي أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف (ت: ٦٧٦هـ/١٢٧٧م):
١٣١. المجموع شرح المذهب، (دار الفكر بيروت، (د.ت)).
١٣٢. المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، (دار الثقافة العربية، بيروت، ١٣٤٧هـ/١٩٢٩م).
١٣٣. النويري، أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي (ت: ٧٣٣هـ/١٣٣٢م)، نهاية الأرب في فنون الأدب، (دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م).
١٣٤. الهمداني، محمد بن عبد الملك (ت: ٥٢١هـ/١١٢٧م)، تكملة تاريخ الطبري، تحقيق: البرث يوسف كنعان، (المطبعة الكاثوليكية، ط٢، بيروت، ١٩٦١م).
١٣٥. الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر (ت: ٨٠٧هـ/١٤٠٤م)، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٨هـ-١٩٩٨م).
١٣٦. الياضي، أبو محمد عبد الله بن أسعد (ت: ٧٦٨هـ/١٣٦٦م)، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، ط٢، (منشورات مؤسسة الأعلمي، لبنان، بيروت، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م).
١٣٧. اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح الكاتب (ت: ٢٩٢هـ/٩٠٤م)، تاريخ اليعقوبي، (دار صادر، بيروت، ١٣٨٠هـ-١٩٦٠م).
١٣٨. اليونيني، قطب الدين أبو الفتح موسى (ت: ٧٢٦هـ/١٣٢٦م)، ذيل مرآة الزمان، (مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر اباد، الدكن، الهند، ١٣٧٤هـ/١٩٥٤م).

* قائمة المراجع الحديثة:

١٣٩. أبو زينة، سامح، موسوعة الأمراض الشائعة، (دار أسامة، عمان/الأردن، ٢٠٠٠م).
١٤٠. أحمد، عبد المنعم محمد، امراض الجهاز التنفسي، (هيئة المؤسسة الجامعية، الاسكندرية، (د.ت)).
١٤١. آدمز، روبرت ماك، أطراف بغداد، تاريخ الاستيطان في سهول ديالى، ترجمة: صالح أحمد العلي، وعلي محمد المياح، وعامر سليمان، (مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٨٤م).

١٤٢. أرنولد، دافيد، الطب الامبريالي والمجتمعات المحلية، ترجمة: مصطفى ابراهيم فهمي، كتاب: عالم المعرفة، (المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت، العدد: ٢٣٦، ١٩٩٨م).
١٤٣. الأسدي، طارق عبد الكاظم، مراجعة في اصول الطب العربي وكيفية انتقاله إلى اوربا وآثاره على المعرفة الطبية، بحوث الندوة القطرية الخامسة لتاريخ العلوم عند العرب، (مطبعة الرشاد، مركز إحياء التراث العربي، جامعة بغداد، ١٩٨٩م).
١٤٤. البار، محمد علي، العدوى بين الطب وحديث المصطفى، تقديم: عبد الحليم محمود، (دار الفتح للدراسات والنشر، عمان، ٢٠١١م).
١٤٥. آل شبيب، تحسين، مرقد الإمام الحسين (عليه السلام)، (دار الفقه للنشر، قم/إيران، ١٤٢١هـ).
١٤٦. البغدادي، إسماعيل باشا بن محمد أمين بن مير سليم الباباني، إيضاح المَكُون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكُتُب والفنون، طبع بعناية محمد شرف الدين يالتقيا ورفعت بيلكه الكليسي، وهي الطبعة المصورة على طبعة إستانبول، وكالة المعارف التركية، (منشورات مَكْتَبَة المثنى، بغداد، ١٩٤٥م).
١٤٧. البغدادي، عبد اللطيف، الشفاء الروحي والجسمي في القرآن، (الدار الإسلامية للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠٠٣م).
١٤٨. البكري، عادل، الطب الوقائي عند العرب، بحوث الندوة القطرية الخامسة لتاريخ العلوم عند العرب، (مركز إحياء التراث العربي، مطبعة الرشاد، بغداد، ١٩٨٩م).
١٤٩. باشا، أحمد حسن الزيات، مجلة الرسالة، ((د. ط)، (د. م)، (د. ت)).
١٥٠. بريمر، بول، عام قضيته في العراق، ترجمة: عمر الأيوبي، (دار الكتاب العربي، لبنان، ٢٠٠٦م).
١٥١. بو لقطيب، الحسين، جوائح وأوبئة مغرب عهد الموحدين، (منشورات دار الزمن، المغرب، (د. ت)).
١٥٢. بيضون، لبيب، تصنيف نهج البلاغة، (مطابع مكتب الإعلام الإسلامي، طهران، ١٤٠٨هـ).
١٥٣. تواء، فادي الياس، المناخ والأسعار والأمراض في بلاد الشام عهد المماليك، ٦٤٨-٩٢٢هـ=١٢٥٠-١٥١٦م، ((د. ط)، بيروت، ١٩٩٨م).
١٥٤. الثامري، داوود، تأهيل بعض الحقائق العلمية في كتاب القيء أو الاسهال للرازي، بحوث الندوة القطرية الخامسة لتاريخ العلوم عند العرب، (مركز إحياء التراث العربي، مطبعة الرشاد، بغداد، ١٩٨٩م).
١٥٥. الجابري، رياض، السيرة الذاتية والتراث، (دار المعارف، حمص، ١٩٩٥م).

١٥٦. جبارة، تيسير، تاريخ الدولة العثمانية، (مطبعة عمادة البحث العلمي والدراسات العليا، جامعة القدس، فلسطين، ١٩١٥م).
١٥٧. جودة، سعاد زكي، أمراض الليشمانيات في العراق عبر العصور، بحوث الندوة القطرية الخامسة لتاريخ العلوم عند العرب، مركز إحياء التراث العربي، (مطبعة الرشاد، بغداد، ١٩٨٩م).
١٥٨. جون هوبون، الجذور الشرقية للحضارة العربية، (دار الشروق، القاهرة، ٢٠٠٦م).
١٥٩. الحبيبي، محمد عاشق الرحمن القادري، سيوف الله الآجلة وعذاب الله المجدي، (مكتبة الحقيقة، إستانبول، (د، ت)).
١٦٠. حسن، الحارث عبد الحميد، فلسفة البحث العلمي وأخلاقياته، (منشورات جامعة بغداد، بغداد، ٢٠٠٥م).
١٦١. الحسني، إسماعيل، موسوعة الطب الباطني، (دار أسامة، عمان، ٢٠٠٤م).
١٦٢. حسين، محمد كامل، الموجز في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب، (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، القاهرة، (د. ت)).
١٦٣. الحمدان، سعيد بن صالح بن حسين، الطب الوقائي في الإسلام.. من صحة الأرواح إلى صحة الأجساد والبيئة، ((د. ط)، الدمام، (د. ت)).
١٦٤. حميش، عبد الحق، العلاج بالقرآن: حقيقته، أهميته، حكمه، وضوابطه، ((د. ط)، جامعة الشارقة/ الإمارات العربية، (د. ت)).
١٦٥. الخطيب، أحمد شفيق، معجم المصطلحات العلمية والفنية، (مكتبة لبنان، بيروت، ٢٠٠٣م).
١٦٦. الخليفة، عمر هارون، علم النفس التجريبي في التراث العربي الإسلامي، (المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠١م).
١٦٧. الدويهي، اسطفان، تاريخ الأزمنة، تحقيق: بطرس فهد، (دار لحد خاطر، ط٣، بيروت، ٢٠١٩م).
١٦٨. الزحيلي، وهبة بن مصطفى، التفسير الوسيط، (دار الفكر، دمشق، ١٤٢٢هـ).
١٦٩. الزركلي، خير الدين الدمشقي، (ت: ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م)، الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء، (دار العلم للملايين، ط٤، بيروت، ١٩٧٩م).
١٧٠. ابن الساعي الشنجا، أبي طالب علي بن أنجب (ت: ٦٧٤هـ/١٢٧٥م)، الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير، تعليق: مصفى جواد، (المطبعة السريانية الكاثوليكية، بغداد، ١٩٣٤م).
- *السامرائي، كمال:

١٧١. الطب العربي في أوروبا اللاتينية معالم تصلح للمناقشة، مركز إحياء التراث العربي، دراسة في فضل العرب في الطب على الغرب، (مطبعة العمال المركزية، جامعة بغداد، ١٩٨٩م).
١٧٢. مختصر تاريخ الطب العربي، (دار النضال، بيروت، ١٩٨٩م).
١٧٣. سعد الله، أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي - الطب والجراحة والصيدلة، (دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، ٢٠٠٧م).
١٧٤. الشاكري، الحاج حسين، الكبائر من الذنوب، (مطبعة ستارة، طه، قم/إيران، ١٤١٨هـ).
١٧٥. شلدون واتس، كتاب الأوبئة والتاريخ: المرض والقوة والامبريالية، ترجمة وتقديم: أحمد محمود عبد الجواد، (دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠١٠م).
١٧٦. الشاهرودي، علي المازي، مستدرک سفينة البحار، تحقيق وتصحيح: حسن بن علي النمازي، (مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم/إيران، ١٤١٩هـ).
١٧٧. الشيرازي، محمد الحسيني، الفقه، البيئته، (دار العلوم، بيروت، ٢٠٠٠م).
١٧٨. صادر، حبيب، الأمراض المعدية في الأقطار العربية، (مطبعة صادر، بيروت، د. ت. ت.).
١٧٩. الصاغري، الشيخ أسعد محمد سعيد، النكاح، ((د. ط. م. د. م. د. ت.)).
١٨٠. الصدر، السيد محمد مهدي، أخلاق أهل البيت (ع)، (دار الكتاب الإسلامي، د. م. م. هـ. ١٣٩٠).
١٨١. الأصفهاني، محمود، رمز الصحة، (مطبعة الآداب، النجف الأشرف، ١٤٠٣هـ).
١٨٢. الصنقری، نصر بن محمد، الإسلام والغرب شقاق أم وفاق، ((د. ط. م. د. م. د. ت.)).
١٨٣. ضيف، شوقي، تاريخ الأدب العربي، (دار المعارف، مصر، ١٩٦٠م).
١٨٤. الطهراني، بزرك، آقا، الذريعة، (دار الأضواء، بيروت، ١٩٨٣م).
١٨٥. طوقان، قدری حافظ، تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك، (دار الشروق، بيروت، ١٩٦٣م).
١٨٦. الطيار، عبد الله بن محمد وعبد الله بن محمد المطلق ومحمد بن إبراهيم الموسى، الفقه الميسر، (مدار الوطن، الرياض، ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م).
١٨٧. العاملي، السيد جعفر مرتضى، الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص)، (دار الحديث، قم/إيران، ١٤٢٦هـ).
١٨٨. العاملي، محسن عبد الكريم الأمين، أعيان الشيعة، تحقيق: حسن الأمين، طه، (دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ١٩٩٨م/١٤١٩هـ).

- ١٨٩.العاني، نوري عبد الحميد، العراق في العهد الجلائري، (دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٦م).
- ١٩٠.العدوي، أحمد، الطاعون في العصر الأموي، صفحات مجهولة من تاريخ الخلافة، (المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، ٢٠١٨م).
- ١٩١.عرب، مرسي محمد، دراسات في الشؤون الطبية من التراث الطبي العربي إلى المشاكل الطبية الحاضرة، (منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، ١٩٦٦م).
- ١٩٢.العلوي، محمد، العلاج بالقرآن المسمى بـ: التحفة العلوية في علاج السحر والحسد والأعمال الشيطانية، (مؤسسة البلاغ للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٤م).
- ١٩٣.علي، عبد الستار عارف، وفؤاد عبد العزيز أسس مكافحه الآفات الزراعية، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، (دار التقني للطباعة، بغداد، ١٩٦٨م).
- ١٩٤.العطار، فرحان، تسهيل الوصول لفوائد سير أعلام النبلاء، ((د. ط)، (د. م)، (د. ت)).
- ١٩٥.العمرى، عبد الله، تاريخ العلم عند العرب، (دار مجدلاوي، عمان، ١٩٩٠م).
- ١٩٦.العمرى، ياسين أفندي بن خير الله، غرائب الأثر في حوادث ربع القرن الثالث عشر، (دار ام الربيعين، الموصل، ١٩٤٠م).
- ١٩٧.الغامدي، أحمد بن سعد بن غرم، الأمة الإسلامية من جديد وليس الشرق الأوسط الجديد، ((د. ط)، (د. م)، (د. ت)).
- ١٩٨.فتح الله، وسيم، الخطأ الطبي مفهومه وآثاره، ((د. ط)، (د. م)، (د. ت)).
- ١٩٩.الفنجري، احمد شوقي، الطب الوقائي في الإسلام، (الهيئة المصرية للكتاب، ط٣، القاهرة، ١٩٩١م).
- ٢٠٠.الفنيسان، سعود، التأمين الصحي في المنظور الإسلامي، ((د. ط)، (د. م)، (د. ت)).
- ٢٠١.القائمي، علي، الأسرة وقضايا الزواج، (دار النبلاء، (د. م)، (د. ت)).
- ٢٠٢.القرني، أحمد حسنين، قصة الطب عند العرب، (الدار القومية للنشر، القاهرة، ١٩٦٥م).
- ٢٠٣.قطب، محمد، قيسات من الرسول صلى الله عليه وسلم، (المطبعة الشرعية، ط٥، القاهرة، ١٣٩٨هـ).
- ٢٠٤.القماش، عبد الرحمن بن محمد، جامع لطائف التفسير العاجز الفقير، ((د. ط)، (د. م)، (د. ت)).
- ٢٠٥.كحالة، عمر رضا، معجم المؤلفين، تراجم مُصنَّفِي الكتب العربية، وهي الطبعة المصورة على الطبعة الثانية التي طبعت في مطابع الترقى بدمشق، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د. ت)).

٢٠٦. كيم، ف، موسوعة الطب الشعبي عند مختلف الشعوب، ترجمة: سعيد العمر، (دار دمشق، ط٢، سوريا، ٢٠٠٤م).
٢٠٧. الماحي، التجاني، مقدمة في تاريخ الطب العربي، (مطبعة مصر (سودان) ليمتد، القاهرة، ١٩٥٩م).
٢٠٨. المحسني، محمد آصف، الفقه والمسائل الطبية، ((د. ط)، قم/إيران، (د. ت)).
- * محمد، محمود الحاج قاسم:
٢٠٩. البيئة والأوبئة في التراث الطبي العربي الإسلامي، (دار ماشكي للنشر، الموصل، ٢٠٢٠م).
٢١٠. الوقاية من الأمراض النفسية وعلاجها في الطب العربي الإسلامي، (دار ابن الأثير، سلسلة الكتاب الجامعي: ٦١، جامعة الموصل، العراق، ٢٠١٣م).
٢١١. مشالي، علي عبد، علوم الحياة في مؤلفات الأصمعي ومنهجه وموارده/ دراسة مقارنة (١٢٣-٢١٦هـ)، (دار الحدائث، بغداد، ٢٠١٩م).
٢١٢. مغنية، محمد جواد التفسير الكاشف، (دار العلم للملايين، ط٣، بيروت، ١٩٨١م).
٢١٣. المنجد، محمد بن صالح، ٣٣ سبباً للخشوع في الصلاة، ((د. ط)، (د. م)، (د. ت)).
٢١٤. موافي، أحمد ثابت، صحة الفلاح، بحث في الطب الوقائي والصحة الاجتماعية، ((د. ط)، القاهرة، ١٩٤٠م).
٢١٥. الوائلي، الشيخ أحمد، من فقه الجنس في قنواته المذهبية، (مطبعة أمير، قم/إيران، ١٤١٢هـ).
٢١٦. الورد، باقر أمين، حوادث بغداد في اثني عشر قرناً، (اتحاد الناشرين العراقيين، بغداد، ٢٠١٣م).
٢١٧. الياس سركيس، معجم المطبوعات العربية، (مكتبة آية الله المرعشي النجفي - قم/إيران، ١٤١٠هـ).

* الموسوعات العربية والأجنبية، والمجلات والجرائد المنشورة:

٢١٨. أبو الحب، جليل كريم، حبة بغداد، (مجلة المورد، وزارة الثقافة والاعلام، العدد ٨، بغداد، ١٩٧٩م).
٢١٩. أبو شويرب، عبد الكريم، لسان الدّين بن الخطيب ومخطوطته: مقنعة السائل عن المرض الهائل، (مجلة الجامعة المغاربية، ليبيا، مج ٥، العدد ١٠، ٢٠١٠م).

٢٢٠. أمين، محمد ووسن سمين، الكوارث الانسانية في مكة وآثارها الاقتصادية خلال المدة من القرن الرابع حتى القرن السابع الهجري، (مجلة آداب المستنصرية، بغداد، العدد ٨٥، آذار ٢٠١٩م).

٢٢١. جريدة الأهرام، (القاهرة، العدد: شباط، ١٩٦٩م).

٢٢٢. ضاحي، فاضل جابر، وعباس فاضل عبد علي، موقف الرأي العام تجاه الكوارث الطبيعية في العراق إبان العصر العباسي الاخير (٥٩٠-٦٥٦=١١٩٣-١٢٥٨م)، مجلة واسط، جامعة واسط، العراق، مجلد ١٦، العدد ٤٦).

٢٢٣. عنتر، سهيل تركي، أثر الكوارث الطبيعية على الوضع الاقتصادي في الدولة العربية الإسلامية، (مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإنسانية، الأنبار/ العراق، العدد ٢، حزيران ٢٠١٨م).

٢٢٤. مشالي، علي عبد، دور الأطباء العرب المسلمين في تشخيص الأمراض البشرية في الدولة العربية الإسلامية: دراسة انتقائية، (مجلة الأستاذ، جامعة بغداد، كلية التربية ابن رشد، العدد ١٤٥، لسنة ٢٠١١م).

٢٢٥. الموسوعة العربية الميسرة، إشراف محمد شفيق غربال وآخرون، (دار الجيل، ط ٢، الجمعية المصرية، ٢٠٠١م).

Encyclopedia Britannica. ٢٢٦

* مواقع الإنترنت:

٢٢٧. http://www.realinstitutoelcano.org/wps/portal/rielcano_es/conteni.

تاريخ الدخول في الموقع: ٢٠٢٠/٥/١٥م.

٢٢٨. <https://www.aljazeera.net/encyclopedia/encyclopedia->

healthmedicine/٢٠١٤/٨/١٠. تاريخ الدخول في الموقع: ٢٠٢٠/٥/١٥م.

٢٢٩. <https://school.kotar.cet.ac.il/kotarapp/index/Chapter.asp>

٢٣٠. <https://www.elkhabar.com/press/article>؛

٢٣١. <https://www.france24.com/ar/٢٠٢٠٠٤٢١> - تاريخ الدخول في الموقع:

٢٢٠/٤/٢٣م.

٢٣١. <https://www.aa.com.tr/ar/%D8%A7%D9%84%D8%AF%D9%8> تاريخ

الدخول في الموقع: ٢٠٢٠/١٠/١٨م.

٢٣٢. <https://www.aljazeera.net/news/cultureandart/٢٠٢٠/٣/٩> تاريخ الدخول

في الموقع: ٢٠٢٠/٥/١٧م.

٢٣٣. ٠٨/٠٣/٢٠٢٠/https://www.alarabiya.net/ar/politics تاريخ الدخول في الموقع: ٢٠٢٠/٤/١٥ م.

٢٣٤. ٠٦/٠٤/٢٠٢٠/https://www.alhurra.com/arabic-and-international تاريخ الدخول في الموقع: ٢٠٢٠/٥/١٥ م.

٢٣٥. ١٠/٠٣/٢٠٢٠/https://www.aljazeera.net/news/cultureandart تاريخ الدخول في الموقع: ٢٠٢٠/٥/٢٥ م.

٢٣٦. ٢٠٢٠/١٠/١٨/https://www.eajaz.org/index.php/Scientific-Miracles/Humanitie-and-legislative-governance تاريخ الدخول في الموقع: ٢٠٢٠/١٠/١٨ م.

٢٣٧. ٠٨/٠١٧/٢٠١٧/https://www.rcrcmagazine.org/ تاريخ الدخول في الموقع: ٢٠٢٠/٥/٢٥ م.

٢٣٨. ٠٩/١٧/٢٠٢٠/https://www.dw.com/ar/%D تاريخ الدخول في الموقع: ٢٠٢٠/٩/١٧ م.

٢٣٩. ٠٨/٠١/٢٠٢٠/https://www.mncdaily.com تاريخ الدخول في الموقع: ٢٠٢٠/٨/٠١ م.

٢٤٠. ٢٠٢٠/٠٣/١٧/https://www.alarabiya.net/ar/politics تاريخ الدخول في الموقع: ٢٠٢٠/٤/١٥ م.

٢٤١. ٢٠٢٠/٠٨/٠١/https://www.msf.org/ar تاريخ الدخول في الموقع: ٢٠٢٠/٨/٠١ م.

٢٤٢. ١١-١٩-covid-19-opening-remarks-at-the-media-briefing-on-covid-19-who-director-general-speeches/detail/ar/dg/https://www.who.int تاريخ الدخول في الموقع: ٢٠٢٠/٨/٠٣ م.

٢٤٣. ٠٨١/%D٩/ar.wikipedia.org/wiki/ تاريخ الدخول في الموقع: ٢٠٢٠/٩/١٧ م.

٢٤٤. ٢٠٢٠/٠٥/٠١/https://mhtwyat.com تاريخ الدخول في الموقع: ٢٠٢٠/٥/٠١ م.

٢٤٥. ١٩-infection-transmitted-over-networks-https://teknotel.info/٢٠٢٠/٠٥/٢٩/ تاريخ الدخول في الموقع: ٢٠٢٠/٦/١٥ م.

٢٤٦. ١٧/٠٣/٢٠٢٠/https://www.alarabiya.net/ar/aswaq/economy/ تاريخ الدخول في الموقع: ٢٠٢٠/٦/١٥ م.

٢٤٧. ٢٠٢٠/٠٥/٠١/https://www.dw.com/ar تاريخ الدخول في الموقع: ٢٠٢٠/٥/٠١ م.

٢٤٨. ٠٩/٠٨/٠١/٢٠٢٠/https://www.dw.com/ar/%D٨%B٢%D٨%B١%D٨%B٩ تاريخ الدخول في الموقع: ٢٠٢٠/٤/٢٢ م.

٢٤٩. ٠٩/٠٨/٠١/٢٠٢٠/https://www.dw.com/ar/%D٨%B٢%D٨%B١%D٨%B٩ تاريخ الدخول في الموقع: ٢٠٢٠/٤/٢٢ م.

٢٥٠. [https://www.who.int/ar/emergencies/diseases/novel-coronavirus-](https://www.who.int/ar/emergencies/diseases/novel-coronavirus-advice-for-public)
advice-for-public تاريخ الدخول في الموقع: ٢٠١٩/٥/١٥ م.
٢٥١. <https://www.syr-res.com/article/11471.html>. تاريخ الدخول في الموقع:
٢٠٢٠/٧/٢٥ م.
٢٥٢. <https://www.syr-res.com/article/11471.html>. تاريخ الدخول في الموقع:
٢٠٢٠/٥/٢٥ م.
٢٥٣. <https://ar.wikipedia.org/wiki/ليشمانيا> تاريخ الدخول في الموقع: ٢٠٢٠/٧/٢٥ م.
٢٥٤. <https://www.aljazeera.net/news/cultureandart/2020/3/10>. تاريخ الدخول
في الموقع: ٢٠٢٠/١٠/١٨ م.
٢٥٥. <https://www.facebook.com/HdthFyMthIHdhAlywm/photos/126528>.
% تاريخ الدخول في الموقع: ٢٠٢٠/٩/١٨ م.
٢٥٦. <https://alghad.com>. تاريخ الدخول في الموقع: ٢٠٢٠/٥/٢٥ م.
٢٥٧. <https://www.alukah.net/sharia/0/125392>. تاريخ الدخول في الموقع:
٢٠٢٠/٤/٢٢ م.
٢٥٨. <https://www.alarabiya.net/ar/last>. تاريخ الدخول في الموقع: ٢٠٢٠/٤/٣٠ م.
٢٥٩. <http://csg.uobabylon.edu.iq/lecture.aspx?depid=3&cid=71862>. تاريخ
الدخول في الموقع: ٢٠٢٠/٨/١ م.
٢٦٠. [http://www.emro.who.int/ar/health-topics/corona-](http://www.emro.who.int/ar/health-topics/corona-virus/information-resources.html)
virus/information-resources.html تاريخ الدخول في الموقع: ٢٠٢٠/٨/٣ م.
٢٦١. <https://www.mncdaily.com/%D9%81%D9%80%D9%8A>. تاريخ الدخول في
الموقع: ٢٠٢٠/٧/٢٩ م.
٢٦٢. [-http://www.realinstitutoelcano.org/wps/wcm/connect/ddf8219a](http://www.realinstitutoelcano.org/wps/wcm/connect/ddf8219a).
تاريخ الدخول في الموقع: ٢٠٢٠/٥/١ م.
٢٦٣. <https://www.who.int/ar/health-topics/coronavirus>. تاريخ الدخول في
الموقع: ٢٠٢٠/٨/١ م.
٢٦٤. <https://www.who.int/dg/tedros/biography/ar>. تاريخ الدخول في الموقع:
٢٠٢٠/٨/٣ م.
٢٦٥. حكيمة، شكروية. الجزائر. ميديا نيوز، وفيها كلمة للدكتورة مايا صبحي في علوم وخفايا
الطاقة. مقالة منشورة بالإنترنت.

٢٦٦. <https://www.mncdaily.com/%D9%81%D9%80%D9%8A> تاريخ الدخول في الموقع: ٢٩/٧/٢٠٢٠م.
٢٦٧. <http://www.emro.who.int/ar/index.html> منظمة الصحة العالمية، المكتب الإقليمي لشرق المتوسط. تاريخ الدخول في الموقع: ١٨/١٠/٢٠٢٠م.
٢٦٨. <https://www.alkhaleej.ae>. تاريخ الدخول في الموقع: ٢/١٠/٢٠٢٠م.
٢٦٩. <https://www.skynewsarabia.com/technology/١٣٣٢٤٠١>. تاريخ الدخول في الموقع: ٣٠/٤/٢٠٢٠م.
٢٧٠. <https://almoslim.net/node/١٣٠٣١٢>. تاريخ الدخول في الموقع: ٣١/٣/٢٠٢٠م.
٢٧٠. <https://www.msmanuals.com/ar/home/%D8%A7>.